

زينب موسى

في البدء بكيت..

# عم انت طيرت على السرطان



دارالمعارف

تصميم الغلاف : منال بدران

## إهداء

إلى كل امرأة فى بلادى عانت من هذا المرض  
الخطير ، وانزوت بعيداً عن الناس يملؤها الخوف  
والترقب وتخشى حتى مجرد الحديث عما  
أصابها .

إليها هذه التجربة الواقعية لامرأة وائتها الشجاعة  
لأن تتحدث على الملأ وبكل صراحة عن تجربتها  
مع هذا المرض ، وكيف اجتازت الخطر وعاشت  
حياتها بشكل أفضل .

إليها .. كى تعرف أنها ليست وحدها !! وكى  
تعلم كيف تتصر !!

**زينب موسى**



## مقدمة

في ٣٠ سبتمبر من عام ١٩٧٤ كانت إحدى المراسلات الصحفيات لمحنة التلفزيون الأمريكي إن . بي . سي ترسل تقريراً من معهد « جوتمان » لتشخيص أورام الصدر بنيويورك . وكانت تتحدث عن رد الفعل في أنحاء البلاد إزاء جراحة استئصال الثدي التي أجريت لزوجة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية . وكانت المراسلة تتحدث عن حالة الفزع التي انتابت النساء في أرجاء البلاد مما جعلهن يندفعن إلى أقرب أخصائي لعمل رسم للثدي بالأشعة . وكان تقرير هذه المراسلة يوضح أن هذا الخوف كان خوفاً إيجابياً دفع بكثير من النساء إلى المبادرة بإجراء الفحص اللازم .

وأمام الكاميرا كانت المراسلة ذاتها تقول : « إن ذلك الرعب الذي تشعر به هؤلاء النساء تجاه مرض السرطان ، هو نوع من الخوف المعقول الذي له ما يبرره ، ولكن الشيء غير المعقول فعلاً هو أن تكبت كثير من النساء ذلك الخوف بداخلهن معتقدات أنهن إذا ما تجنبن فحص أنفسهن فكأنما يتجنبن المرض نفسه » .

ولكن منذ أن عُرفت حالات لنساء شهيرات أمثال « بتي فورد » زوجة رئيس الولايات المتحدة ، استطاعت كثير من النساء الأخريات أن يحولن خوفهن من المرض إلى عمل إيجابي من الممكن أن ينقذ أرواحهن .

إذن فقد أدت الصحفية واجبها . وكانت تعلم أن الاكتشاف المبكر للمرض على درجة كبيرة من الأهمية . وأن معظم الأورام تكون في بادئ الأمر أوراماً حميدة في أغلب الحالات إذا ما تم اكتشافها مبكراً . وكانت تعلم كل شيء عن المرض وعن أنواع الجراحات المختلفة الجذرية والبسيطة وغيرها .. وكانت أيضاً على علم بالمناقشات الدائرة حول هذه العمليات والآراء التي تدور حولها .. كانت تعرف الكثير والكثير ولكن ... وهي تتحدث أمام الكاميرا لتقول للناس كل ما تعرفه عن سرطان الثدي ... كان

هناك شيء واحد لم تكن تعرفه ... ذلك هو أنها هي نفسها مصابة بهذا المرض الخطير .

وفي هذا الكتاب تتحدث « بتي رولين » المراسلة الصحفية الأمريكية عن تجربتها الشخصية مع هذا المرض بكل أمانة وصراحة . ولقد كان هدفها من ذلك - كما تقول - هو مساعدة النساء الأمريكيات اللاتي مررن بهذه التجربة الأليمة ولتشد من أزهرن ولتقول لهن : كيف اجتازت الخطر واستعادت نظرتها المتفائلة للحياة .

وأساءل إذا كانت النساء في أمريكا بكل الإمكانيات المتاحة لهن من خدمات صحية عالية المستوى ورعاية اجتماعية ونفسية وتوعية إعلامية ، وكل هذا الكم من الدعم والمساندة من جانب الحكومة والهيئات والجمعيات المتخصصة .. وترى الكاتبة أنهن في حاجة إلى المساعدة وتقرر أن تكتب لهن هذا الكتاب .. إذن فما بال النساء الطيبات في بلدى ضحايا هذا المرض والجهل به .. إنهن أحوج ما يكنن لمن يتحدث إليهن ليتعلمن وليعلمن أن لهن شركاء في هذه المحنة ولكي يخرجن من عزلتهن ويعشن الحياة بشكل أفضل .

وحين وقع هذا الكتاب بين يدي قررت على الفور أن أقوم بترجمته ونقله إلى العربية ربما يجدن فيه بعض السلوى .. وأيضاً بعض الشفاء !!

زينب موسى

## الفصل الأول :

كان هناك ورم كامن فى الثدي منذ سنة تقريباً . وكان شيئاً صغيراً صلباً فى حجم حبة العنب الصغيرة ، لا يمكن إدراك وجوده سوى باللمس . كان راقداً فى طرف الجانب الأيسر من الثدي الأيسر ، يسار حلمة الثدي تقريباً ، وكنت أعلم أنه موجود ، وكان زوجى الأول يعلم أنه موجود ، وكان طبيبى الخاص يعلم بوجوده أيضاً كما أن أخصائى رسم الثدي كان يعلم ذلك هو أيضاً . كان كل هؤلاء يعلمون أن هناك ورماً صلباً كامناً فى الثدي الأيسر وفى حجم حبة العنب الصغيرة . ورغم ذلك فإن واحداً فقط من بين هؤلاء الأربعة كان الوحيد الذى يزعمه وجود ذلك الشيء ، ألا وهو الزوج « آرثر هيرتزوج » وهو نفسه الذى كان أول من اكتشف وجوده فى إحدى أمسيات ربيع عام ١٩٧٤ أثناء لحظات من الوثام الزوجى ، عندما اصطدمت يده بذلك الشيء فصاح قائلاً :

- ما هذا ؟

- لا أعرف .

- أليس ورماً ؟

- لا أدرى .. تمتت بلا مبالاة وأنا أغلب النعاس ، ولكنه استمر

يقول :

- لماذا لا تذهين إلى الطبيب لفحصه .

- حسناً ، سأفعل . ثم استغرقت فى النوم .

وحينما حانت الفرصة للذهاب إلى الطبيب لفحص ذلك الشيء الذى أزعج زوجى أكثر مما أزعجنى أنا شخصياً ، قال لى الطبيب الذى سأطلق عليه هنا اسم « دكتور مميث » .

- إنه مجرد كيس دهني . واستطرد قائلاً : إن كثيراً من النساء لديهن مثل هذا الشيء فلا تقلقى .. على أية حال سأرسلك إلى أحد المختصين لعمل رسم للتدى بالأشعة .

وذهبت فيما بعد إلى المختص الذى أوصى به الدكتور سميت وأسّميه هنا الدكتور « إلبى » الذى قال لى وهو يضع الصور التى أخذها للتدى أمام الضوء ليفحصها إن هذا لا يقلقنى بالمرة ، عودى بعد عام لتلقى عليه نظرة أخرى .

وبالطبع لم أقلق أنا أيضاً ، ربما يكون قد اتباني شىء من القلق ولكننى كنت سعيدة لأننى قد انتهيت من هذه المهمة الثقيلة .

إن « الماموجرام » (رسم التدى بالأشعة) هو نوع من الأشعة أقل درجة من أشعة إكس ، وهو يظهر البناء الداخلى للصدر ويمكنه - نظرياً - تحديد مكان أى نسيج شاذ موجود بداخل الجسم مهما صغر حجمه . وهو بالطبع ليس تجربة سارة يمر بها المرء . إنها تجربة مماثلة لتجربة أخذ صورة أشعة للصدر وإن لم تكن تماثلها تماماً . فعند أخذ صورة أشعة للصدر ، يقف المرء أمام جهاز يقوم بكل العمل وحده . أما الماموجرام ، فإنه يتطلب نوعاً آخر من المشاركة قد يصعب تقبلها . وسأحكى لكم ما حدث معى .

فبعد أن جردونى من ملابسى التى تغطى الجزء الأعلى من جسدى ، دفعوا بى إلى حجرة أخرى باردة لا سقف لها . ثم أجلسونى على كرسى صغير أمام آلة ضخمة . وبعد ذلك حضرت سيدة شابة يبدو أنها فنية أشعة ، وكانت تتحرك بسرعة ولا تتكلم إلا قليلاً . أخذت التدى فى يدها ووضعت على لوح من الصلب وكأنه قطعة من اللحم ، ثم رفعت ذراعها لأعلى لتدفع لأسفل قطعة مماثلة من الصلب كى تطبق على التدى الرائد بين اللوحين كأنه ساتنويتش .

وشرعت بهذه السيدة الشابة وهي تؤدي هذا العمل في صمت وكأنها جزء من تلك الآلة وسمعتها تقول لى :

- تكلمى حين تشعرين بألم . وبمجرد أن انتهت من جملتها شرعت ببعض الألم ، فصدرت منى آهة خفيفة فتوقفت عن العمل قليلاً ثم قالت :  
- لا تتنفسى .

وكانما كان بمقدورى أن أتنفس ، ثم أسمع صوت الآلة .. كرانك - كرانك - كليك ثم تقول السيدة : تنفسى الآن .

ثم تكرر العملية كرانك - كرانك - كرانك « لا تتنفسى » . كرانك - كرانك - كليك « تنفسى » . وينتهى الأمر .

ولكن بعد كل هذا لا أستطيع الانصراف . فأذهب إلى حجرة الانتظار المليئة بنساء جالسات يقرأن فى مجلات قديمة عن ديكور المنزل وأعداد أخرى قديمة من النيوزويك ، أو لا يقرأن بل يحملن فى أى شىء . وهناك على المرء أن ينتظر حتى تظهر نتيجة الفحص . فإما أن يقال لك « إنه ليس سرطاناً » فتصرف هادئاً مستريح البال . وإما يستدعونك ثانية لأخذ صورة جديدة ومعنى ذلك « احتمال وجود سرطان » . ولكن كلمة السرطان لا تنطق عادة بهذه البساطة لا فى حجرة الفحص ولا فى حجرة الانتظار . إنها كلمة لا تنطق تماماً مثل حرف g الساكن فى كلمة Sign . كان خوفى من سرطان الثدي قد انتهى عملياً حينما قال لى دكتور « ألبى » إنه غير قلق . وتلاشى تماماً بعدها بأسبوع واحد حين قال لى الدكتور « سميث » وبعد أن اطلع على صور الماموجرام إنه أيضاً ليس قلقاً .

إن الدكتور « ألبى » هو إمبراطور الماموجرام كما يطلقون عليه فى منطقة نيويورك كلها فقد قال لى أحد الأصدقاء من الأطباء : إنه حتى الجراحين

أنفسهم يرسلون زوجاتهم إليه لمهارته . وأيضًا كان دكتور « سميث » هو طبيبي الخاص على مدى ثمانى سنوات وسمعته طيبة وثقتى به كبيرة . فإذا كان كل هؤلاء لا يشعرون بالقلق فلماذا أقلق أنا !! ؟  
وذات مرة صحت فى آرثر حينما عاد يتحدث فى هذا الموضوع من جديد بعد مرور حوالى شهر .

- لا تكن سخيًا . إن هذا الورم شىء تافه لا يثير القلق بالمره . وأنت تعلم أننى قد أجريت الفحص اللازم ، أليس كذلك ؟  
- بلى ، ولكنه صلب جدًا .

وقلت له مثل خبيرة بيواطن الأمور :

- من الطبيعى أن يكون صلبًا ، إنه كيس دهنى ، والأكياس الدهنية تكون صلبة فى العادة . كما أن كثيرًا من النساء لديهن مثل هذه الأشياء وهى ليست بالضرورة سرطانًا .

## الفصل الثاني :

واستمر الحال هكذا لمدة عام . وعلى الرغم من أنني لم أكن قلقة بسبب الورم ولكنني لم أستطع أبداً أن أنسى وجوده . فهو لا يزال هناك على أية حال ، وأحيانا كنت أتحمس مكانه من وقت لآخر مثلما يتحمس المرء موضع شامة أو كاللغو في جزء من جسده وكنت أدفعه بأصبع الإبهام إلى الداخل أحياناً . وفي كل مرة أتحمسه أجده في مكانه فأقول لنفسى : لا بأس ، فليكن مادام وجوده لا يعنى شيئاً خطيراً .

وفي إحدى المرات عندما كنت أستكمل موضوع سرطان الثدي في معهد « جوتمان » وبينما أنا أتناقش مع أحد الأطباء المتخصصين في الأورام ، تذكرت الورم الذى يخصنى ، وخطر لى لأول وهلة أن أطلب من أحد أطباء المعهد أن يلقي نظرة عليه .. ولكنى تراجعته على الفور وقلت لنفسى : إن هذا تصرف سخيف . أولاً : لأنهم مشغولون للغاية وثانياً : لأننى أنا أيضاً مشغولة ، إذ كان لابد من إذاعة البرنامج على الهواء فى نفس الليلة . أى أن كل العمل بما فيه من تصوير ومونتاج وكتابة يجب أن يتم قبيل الخامسة مساءً وكانت الساعة تقترب من الثانية .

إلى جانب أننى ذكرت نفسى أن اثنين من مشاهير الأطباء قد قاموا بفحصى وقالوا : لا داعى للقلق . فإن هذا الورم لا يعنى شيئاً على الإطلاق . وكذلك فقد نهزت نفسى قائلة : لا تكونى انتهازية ، فليس معنى أنك تقومين بعمل موضوع عن محل للحلوى أن تأكلى من الحلوى التى فى المحل - كما يقول المثل - وصرفت النظر بسرعة عن هذا الأمر . وسمعت هاتفاً داخلياً يقول لى : « إنك صحفية ولك حصانة ، كما أنك تقومين بعمل موضوع عن النساء الأكثر استعداداً للإصابة بالسرطان وإذن فأنت لست واحدة منهن بلا شك .. إنك بعيدة عن كل هذه الاحتمالات . أنت صحفية ،

ولك أوراق اعتماد ، وتصاريح خاصة للدخول إلى كل الأماكن أو الخروج منها وبمقدورك الحصول على العون الذى تحتاجينه وعلى الحماية إذا كنت فى حاجة إليها إن لك وضعاً خاصاً متميزاً .. باختصار إنك آمنة فاطمئنى .  
ولم تكن صفتى الشخصية كصحفية فقط هى التى أعطتني الشعور بالحصانة بل إن حقيقة تاريخي الصحى الرائع تنبئ بأننى كنت دائماً فى تمام الصحة والعافية بل وشديدة المناعة أيضاً .

فقد كنت دائماً أتمتع بصحة جيدة فى جميع مراحل حياتى المختلفة . وكانت أمى تفخر دائماً بلياقتي البدنية مثلما تفخر الأمهات الأخريات بمواهب أبنائهن أو جمال منظرهم كما كانت شديدة العناية بطعامى ، وكانت تفخر بأنها طاهية ممتازة . ولكن على الرغم من ذلك لم يحل طعام أمى الجيد بينى وبين أمراض الطفولة المعتادة ، ولكن فى الحقيقة كانت إصابتي بتلك الأمراض دائماً إصابة معتدلة خفيفة ، وكنت سرعان ما أشفى منها بمعدل كان دائماً أسرع من بقية الأطفال الآخرين . ومن الطبيعى ألا تمر هذه الحقائق دون ملاحظة من أمى . فكنت أسمعها تقول مثلاً لصديقتها عبر التليفون : حالة بسيطة جداً من الغدة النكفية لدرجة أن الطبيب نفسه لم يكن متأكداً منها . أو تقول لها مثلاً عندما أصبت بالسعال الديكى : « هل سمعت عن طفلة تصاب بالسعال الديكى لمدة ثلاثة أيام فقط » .

وهكذا كانت أمى دائماً شديدة الفخر بخصائى الطبيعىة ضد الأمراض ، وكانت تعتبر هذا تميزاً عن باقى الأطفال . ولم ينته هذا بانتهاى مرحلة طفولتى بل إنها قالت لزوجى « آرثر » فى إحدى المرات « إن ابنتى لم تتناول حبة أسبرين طوال حياتها ، ولم تشك من أى مرض حتى الصداع لم تشعر به أبداً » .

وقد علق « آرثر » على ذلك بعد زواجنا قائلاً : « أن تتناولى الأسبرين أو لا تتناولينه ، فشىء لم يخطر ببالى . ولكن أظن من الطبيعى أن تشعرى بصداع من حين لآخر وإلا فبحق الجحيم من الذى يرغب فى الزواج من امرأة خارقة » .

وفى الواقع لم تكن أمى مبالغة فيما قالت بهذا الشأن فلم يحدث بالفعل طوال حياتى أن شكوت من الصداع أو تناولت قرصاً من الأسبرين . على أن عناية أمى الفائقة بغذائى لم تكن لتحول علمياً دون إصابتى بأحد الأمراض الوراثية التى قد تكون موجودة فى العائلة مثل ضغط الدم المرتفع ، الكلى أو الصداع . ولكن واقع الأمر أن ٣٩ عاماً قد مرت من عمري دون أن تظهر أية بادرة لتلك الأمراض . ومن الطبيعى أننى لم أكن أهتم كثيراً بدراسة الأمراض الموجودة فى العائلة . وعلى قدر علمى لم يحدث أن مرض أحد من أفراد عائلتى الأحياء منهم والأموات من ناحية أبى أو أمى بمرض مثل السرطان .

وانقضى عام تقريباً وأصبح سرطان الثدى فى ذلك الوقت من الأخبار التى تلقى اهتماماً شديداً خاصة بعد الجراحة التى أجريت لاثنتين من مشاهير النساء وهما « بتى فورد » زوجة الرئيس الأمريكى « وهاى روكفلر » ..

وبسبب هذا الاهتمام وأيضاً من أجل الموضوع الذى كنت أعده للتليفزيون فى هذا الشأن فلقد أتيحت لى الفرصة لمعرفة الكثير عن سرطان الثدى ، وأكثر بكثير مما كنت أعرفه منذ عشرة شهور مثلاً . وكذلك كان الحال بالنسبة للكثيرين . فمن خلال الدعاية يتعلم الكثيرون . كما أن الخوف أيضاً يعلمهم . وفجأة أصبح عدد كبير من الناس على دراية تامة بطبيعة المرض وعدد ضحاياه .

وكما تقول التقارير فلقد أصيب بهذا المرض حوالى تسعين ألفاً وذلك فى

عام ١٩٧٤ فقط . وبدأت المانشيتات العريضة تظهر فى الصحف تتحدث بالتفصيل عن المرض وعن ضحاياه . ومنها ذلك المانشيت الذى ظهر فى صحيفة النيويورك تايمز ويقول :

« سرطان الثدي يتسبب فى وفاة عدد كبير من النساء سنوياً . وفى أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية تموت سيدة من بين كل ٢٥ سيدة بسبب سرطان الثدي » .

ومانشيت آخر يقول :

« فى النساء ما بين الخامسة والعشرين والرابعة والثلاثين يأتى سرطان الثدي فى المرتبة الثانية بعد حوادث الانتحار كسبب مباشر للوفاة . وفى النساء ما بين الخامسة والثلاثين إلى الخامسة والأربعين يأتى فى المرتبة الأولى كسبب للوفاة . وفى الأعمار الأكبر من ذلك يأتى فى المرتبة التالية لأمراض القلب كسبب للوفاة » .

وكان السؤال الذى يتردد هو : من أين يأتى المرض ؟ ما الذى يسبب هذا المرض ؟ ولم يكن هناك أحد يعلم له سبباً ، ولكن كانت هناك الكثير من الاجتهادات يستند معظمها على دراسات على النساء اللاتى هن أكثر استعداداً للإصابة بهذا المرض ، وهن كما أثبتت الدراسات النساء اللاتى لهن أخوات أو أمهات أو خالات أصبن بهذا المرض من قبل . وأيضاً النساء اللاتى لم ينجبن أو اللاتى أنجبن فى سن متأخرة . وكذلك النساء فى سن اليأس أو المصابات بمرض الضغط أو السكر .

ثم كانت هناك نظرية الفيروس ونظرية الأقراص (وإن لم يثبت صحتها وكل ما عرف فى هذا الشأن هو أن الهرمونات الأنثوية قد يكون لها علاقة ما بالمرض) .

أما نظرية الدهون الحيوانية فتبدو مقنعة إلى حد ما ! . إذ أن الدراسات

الضخمة التي أجريت أظهرت أن النساء اليابانيات اللائي عشن في أمريكا ، ويتناولن الدهون الحيوانية في غذائهن هن أكثر عرضة للإصابة بسرطان الثدي من النساء اليابانيات اللائي يعشن في اليابان .

تسببت الحملة الصحفية في إصابة الكثير من النساء بحالة من الفزع والعصبية وبدأن في الاندفاع إلى أقرب مراكز فحص الثدي ، وكلما أسرعن بالذهاب إلى تلك المراكز لإجراء الفحوص اللازمة ، كلما نشطت الصحافة في تغطية أخبارهن (تماماً مثلما فعلت أنا في برنامجي التلفزيوني عن هذا الموضوع) .

وكانت الدعاية المكثفة هي السبب في إسراع الكثير من النساء إلى تلك المراكز لفحص أنفسهن ، كما تعلم الكثير منهن كيف يقمن بفحص أنفسهن بأنفسهن للكشف عن أية أورام يحتمل وجودها .

وكان من الواضح أن الرسالة التي أرادها الصحافة قد وصلت إلى الجميع في أقصر وقت ألا وهي : « الفحص المبكر ينقذ الحياة » .

وبالطبع لم يؤد الخوف إلى الفعل الإيجابي الصحيح في كل الأحوال ، إذ أن بعض النساء اللائي كشف الفحص عن وجود أورام لديهن ، لم يفعلن شيئاً بالمرّة من أجل إنقاذ حياتهن . بل إن الخوف قد شلهن تماماً . وكما قالت لي إحدى السيدات من الجمعية الأمريكية للسرطان : « إن من العار على هؤلاء النساء أن يتركن الخوف يقضى عليهن . في حين أن معظمهن ليس لديهن شيئاً يخشونه في الواقع . فهن يعتقدن أن مجرد وجود ورم يعنى أنهن مصابات بالمرض وهذا في الواقع ليس حقيقياً . إذ أن تسعة من بين كل عشرة أورام يتم الكشف عنها تكون في الغالب أوراماً حميدة » .

وأذكر أنني قلت لها حينئذ :

« إنني أعلم ذلك ، بل إنني شخصياً لدى ورم من هذا النوع » .

## الفصل الثالث :

وعدت إلى دكتور (ألبي) قبل أن يمر عام . فقد كانت زيارتي الأولى في شهر يونيو من عام ١٩٧٤ ، وهذه المرة كنا في مارس من عام ١٩٧٥ . وجدت حجرة الانتظار كما هي مثلما تركتها آخر مرة . نفس المقاعد الباهتة ، ونفس الوجوه البائسة المتجهمة . وللأسف فقد نسيت أن أحضر معي شيئاً أقرؤه أثناء الانتظار ، ولم أجد أمامي سوى نفس المجلات القديمة التي نتحدث عن ديكور وتجميل المنازل . وبعد أن مرت نصف ساعة وأنا أقرأ عن كيفية تجديد ديكور المنزل الريفي - وبالنسبة أنا لا أمتلك منزلاً ريفياً - وعن طريقة عمل أشكال من الورق لتزيين الأرفف ، انتابني الضيق والغضب ، واستعجلت موظفة الاستقبال (المرضة) وطمأنتني قائلة بأنني لن أنتظر طويلاً . ولقد كانت كاذبة في ذلك ، إذ مرت نصف ساعة أخرى ، وكان لا يزال هناك حوالي خمس عشرة سيدة ينتظرن دورهن . ووجدت نفسى أسب وألعن في سرى . وثار حميتي الأثوية وقلت في نفسى : إنهم لا يعاملون الرجال هكذا . فمن غير الممكن أن يعطوا مواعيد لخمسة عشر شخصاً من الرجال في وقت واحد في مثل هذا المساء الملعون . بالطبع فإن للرجال وظائف هامة ووقتهم ثمين ، كما أنهم ولا شك يعتقدون أننا نحن النساء ليس لدينا أعمال هامة نقوم بها . عليهم اللعنة ، على الأقل كان من الواجب أو يوفروا لزيائهم المجلات الحديثة ذات القيمة . ولم أتمالك نفسى فقلت للممرضة ذات الوجه العريض :

- هناك خطأ ما في نظامكم ولا شك .

وأجابتنى بهزة من كفيها معلنة بأنها تعمل بمفردها .

ومن جديد عدت إلى قراءة كيفية عمل ورق لتزيين الأرفف . وأخيراً سمعت الممرضة تنادى اسمي (بتى رولين) ولكنها كانت تنطق اسم عائلتي

« رولاند » بدلا من « رولين » وهى تضع ملفاً تحت ذراعها . وأسرت بالدخول إلى حجرة الطيب ومثل المرة الأولى خلعت ملابسى حتى الوسط وبدأ الدكتور (ألبي) يتحسس موضع الورم وحين وصل إلى مكانه بالضبط قلت « هذا هو الورم » ثم أضفت « إنه عندى منذ عام ، ولقد سبق أن قلت لى : إنه لا خوف منه ونصحتنى بالعودة لفحصه خلال عام » .

ولقد ضايقتنى كثيراً أن اضطر لشرح هذا كله . وهز رأسه ثم رسم دائرة سوداء حول مكان الورم وقال « لا تخشى شيئاً ، فإنه يزول بالماء » ثم خرج من الحجرة .

ثم سمعت مساعده الفنى يقول لى « اجمعى أشياءك وتعالى معى من فضلك » .

وكان شاباً صغير السن ، قليل الحجم ، شاحباً تماماً مثلما رأيته آخر مرة فى العام الماضى .

وتم عمل فحص للصدر من جديد وبنفس الطريقة الأولى التى يوضع فيها الصدرين لوحين معدنيين مثل السندوتش تماماً . ومررت بنفس التجربة غير السارة ، إلى جانب أننى كنت فى حالة عصبية بسبب ضياع ساعة ونصف فى الانتظار .

وارتديت ملابسى وخرجت من عند الطيب ، وقمت بجولة حول المكان ثم طلبت زوجى بالتليفون ، وشرحت له أننى أنتظر تحميص صور الأشعة التى أخذت لى ، وأن هذا ربما يستغرق على الأقل نصف ساعة أخرى . ثم تمشيت قليلاً ورأيت زوجاً من الصنادل فى فترينة أحد المحال أعجبنى وفكرت فى شرائه رغم أننى لم أكن فى حاجة إليه . واشتريته بالفعل .

كان الجو قد صار بارداً فى الخارج وبدت وكأنها ستمطر . وعدت إلى عيادة الدكتور (ألبي) مرة ثانية . وعند دخولى كانت هناك سيدتان

فقط فى حجرة الانتظار . وبادرتنى المرضة قائلة عند دخولى - إن الطبيب يريد أن يأخذ صوراً أخرى للصدر . وقلت بضجر أوه ، ثم دخلت ، وفى هذه المرة قام الدكتور (ألبى) بنفسه بالمهمة الثقيلة . ولم يكن سندوتشا بسيطاً هذه المرة ، بل لم تكن نفس الآلة المستخدمة فى المرات السابقة . بل كانت أصغر حجماً وأكثر برودة ، وبدلاً من احتوائها للصدر من أعلى لأسفل ، كان على أن أتثنى قليلاً لكى يمكن للآلة الباردة أن تحتوى الصدر من الجانب . كانت المشكلة كما فهمت من مهمته هى فى موضع الورم . إنه يرقد هناك بعيداً فى جانب من الثدي بحيث كان من الصعب على الآلة الأولى أن تصل إليه . بحيث لم يظهر فى الصور أى ورم على الإطلاق .

وشعرت بألم يعتصر معدتى وقلت وأنا أحاول ألا أبدو قلقة :

- متى سأحصل على النتائج ؟

- إننى سأذهب إلى الأرجنتين يوم السبت (وكان اليوم هو الخميس ، فقلت فى نفسى بحق الجحيم ماذا يهمنى إلى أين تذهب ؟ ياله من وقت للقيام برحلة ..) وستصلك النتائج بالبريد ... وبالطبع إذا كان هناك خطأ ما فستصل بطبيبك المعالج .

- متى ؟

- غدا .

وكان هناك الكثير من العمل فى اليوم التالى ، وذلك بسبب الوقت الذى ضاع منى ، كان هناك موضوع يتحتم عمل مونتاج له . وموضوع آخر عن المراهقين الذين أدمنوا الخمر . وكان هذا موضوعاً شيقاً بالنسبة لى . فلقد وعدنى أحد الأشخاص الذين يعملون مع هؤلاء الشباب فى كاليفورنيا أن يرتب لى وللعاملين معى موعداً مع هؤلاء الصغار . وكنت أعلم أن هذا سيكون موضوعاً مدهشاً لو استطعنا تصويره للتلفزيون . ولكن كانت

المشكلة أنني لم أستطع العثور على الرجل ، ورغم أنني تركت له رسائل في كل مكان يحتمل أن يذهب إليه إلا أنني لم أسمع منه .. وتذكرت أنه كان قد قال لي : إن لديه اجتماعا يوم الاثنين القادم (وكان اليوم يوم جمعة) . وكان لدينا حفل عشاء أنا و (آرثر) ليلة السبت . فإذا ما تمت رحلة كاليفورنيا كان علينا أن نتصل بجميع الأصدقاء لإخطارهم بإلغاء الحفل . كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة والنصف (عليها اللعنة) ، كم أكره انتظار المكالمات التليفونية ، أشعر وكأنني عدت في السابعة عشرة من عمري مرة ثانية وفي غاية القلق بالنسبة لترتيبات ليلة السبت . وفكرت في استكمال أحد الموضوعات التي لم أنه من كتابتها بعد ، ولكنني لم أستطع . ومرة ثانية وبطرف قلمي أدت قرص التليفون وطلبت أمي وسألته متى ستتقابل للغداء معا . ثم طلبت الكوافير وطلبت موعداً ليوم السبت استعداداً للحفل في حالة عدم ذهابي إلى كاليفورنيا . ثم فجأة ، قررت أن أطلب الدكتور (سميث) . وحين سمعت صوته على التليفون بادرتة قائلة :

- آسفة لإزعاجك ولكنني ذهبت إلى الدكتور (ألبي) بالأمس وقال لي إنه سيتصل بك اليوم في حالة وجود خطأ ما . لا أعتقد أنه قد اتصل ، ولكنني فكرت بأنه من الأفضل أن أتصل بك لأطمئن على أية حال ، وخصوصا أن هناك احتمال أن أكون خارج المدينة لبضعة أيام .

ولم يتكلم دكتور (سميث) في الحال . وحين فعل نطق كل كلمة كأنما هو يؤدي بروفة . وكان كل ما تذكرته من كلماته « ... .. ليس هناك ما يدعو للقلق ، ولكن من الضروري استئصال هذا الورم » .

ولم أنطق في الحال أنا أيضاً . ولكنني سأته « ومتى ذلك ؟ » فأجاب :

- سأعطيك رقم تليفون جراح معروف هو الدكتور (سنجرمان) وهو جراح ممتاز . اطلبى موعداً معه وهو سيقوم بعمل اللازم . وسأته :

- وهل من الضروري عمل هذا الإجراء فى الحال ؟

فلقد كنت منزوعة بطريقة غامضة ، وبدألى هذا الأمر كإزعاج إضافى وضياح للوقت أكثر ، وكأنما ما ضاع من وقت عند الدكتور (ألبى) لم يكن كافياً .

ولم أكن قد توقعت هذا ولا مستعدة له وقلت لدكتور سميث :

- إتنى ذاهبة إلى كاليفورنيا لمدة أسبوع . هل لابد من العودة بأسرع من ذلك - أقصد هل ترى أن الأمر خطير ؟

وأجابنى الدكتور سميث قائلاً : « لا بأس من العودة فى نهاية الأسبوع » . وهو بذلك لم يجب على سؤالى فى الواقع . وحينما أدرك أتنى ما زلت أنتظر إجابة شافية على سؤالى أضاف قائلاً :

« انظرى ! إن معظم هذه الأورام تكون حميدة فى أغلب الأحيان ولكن من الأفضل استصالتها اتفقنا ! ؟

- اتفقنا . هكذا أجبته باستسلام . وأى اختيار كنت أملكه ! وتوقفت ونظرت إلى التليفون ، ولكننى لم أكن أفكر فى كاليفورنيا آنذاك . كنت أفكر فى المرض ، أقصد السرطان .. ورددتها بينى وبين نفسى عدة مرات . ثم فكرت فى الورم ثم فى الصدر صدرى أنا .. ولمسته بباطن ذراعى لا شعوريا .

وأخيراً جاءت مكالمة كاليفورنيا ، وقال لى المتحدث :

- لقد تم ترتيب كل شىء ونحن فى انتظاركم .

وسرحت قليلاً وقلت لنفسى تلك هى الحياة التى أعرفها . كل شىء لا يزال يعمل من أجلى . لم يتغير شىء فى الواقع ، فلم الخوف ! إن ما يجرى لى هو مجرد إزعاج طارئ . ظروف طائرة وستتهى ، تماماً مثل تلك

الظروف التي خلعت فيها ضرس العقل ومثل الظروف التي اضطرتني أن أتغيب عن حفل زواج أعز صديقتي . وقلت لكي أطمئن نفسي « لن يعطلني هذا الأمر كثيراً ولن يأخذ من وقتي أكثر من يوم واحد على الأكثر » .

ودهبت إلى كاليفورنيا ومن هناك طلبت الجراح . وأوضحت لي سكرتيرته أنه من الأفضل لي أن أحجز المستشفى من الآن . وأن آخذ موعداً مع الجراح . واقترحت عليها موعداً للأسبوع التالي ، ولكنها أفهمتنى بسرعة أن موعد الطبيب ليس مشكلة ولكن المشكلة هي أنها لن تتمكن من حجز مكان لي بالمستشفى قبل مرور عدة أسابيع على الأقل .

وطلبت منها أن تحاول ، وكنت أريد أن أنتهي من هذا الأمر بسرعة . وبدون أن أشعر جرحت أصبعي السبابة وبدأ ينزف .

ومرت فترة صمت ثم عادت السكرتيرة تسألني : هل تعملين بالتلفزيون ؟

وابتسمت في نفسي وأجبت بالإيجاب وأنا مدركة أنني أملك ورقة رابحة يمكن أن أستعملها في أى وقت أشاء . ومن خبرتي القصيرة كشخصية مشهورة خلال عمري القصير في الشهرة ، أدركت أنها ربما تبذل جهداً خاصاً لتحجز لي مكاناً في المستشفى . حقيقة من الصعب فهم مثل هذه الأمور ولكن تلك هي طبيعة الأشياء .

وحدث ما توقعته فبعد ساعة واحدة فقط وحينما اتصلت مرة أخرى كان كل شيء معداً . وكان على أن أدخل المستشفى في يوم الأحد التالي على أن تجرى الجراحة يوم الاثنين صباحاً . وفي يوم الجمعة السابق على الجراحة كان على أن أذهب لمقابلة دكتور « سنجرمان » . وكان شيئاً غريباً حقاً أنه لمجرد أن تصادف أن شاهدتني السكرتيرة على التلفزيون ، تمكنت أنا من الحصول على سرير بالمستشفى .

وتراءى لي أنه من المفيد أن أقوم بزيارة صديقة قديمة تعيش في

« بيفرلى هيلز » وهى (ميليسنت) وهى تدير وكالة للإعلانات تمتلكها ، وهى حسنة المظهر أنيقة للغاية وذات طبيعة طيبة . وكنت أعرف أنها مرت بتجربة مشابهة لتجربتي . وكان لديها ورما فى ثديها استئصل منذ عام تقريباً . وكان ورماً حميداً . ويبدو أننى كنت قلقة إلى حد ما بسبب هذا الورم ، ولذلك شعرت أننى أريد أن أراها . وشعرت بى (ميليلى) وأحست بالقلق الذى أحاول أن أخفيه بداخلى ورأت أن تطمئننى بطريقتها الخاصة ، ففاجأتنى وهى تفك أزرار بلوزتها وتقول :

« انظرى إلى هذا ، إنه شىء لا يكاد يذكر » وأخرجت ثديها من صدريتها كما لو كان كتاباً تظن أننى يجب أن أقرأه . وأشارت بيدها الأخرى إلى جرح قطعى طوله حوالى بوصة ويقع فوق حلمة الثدي مباشرة . وقالت بلهجة آمرة :

- انظرى - أنه لا شىء كما ترين .. رغم أننى كنت فى غاية الخوف قبل إجراء الجراحة . وضحكت وقلت لها : « إنك على حق » محاولة بذلك أن أرضيها . ثم أضفت : « إنه لا يكاد يرى حقيقة » . وكانت كلاً منا تعرف بالطبع أن ما يخيفنى وما كان يخيفها من قبل - ليس هو الجرح الناجم عن إزالة الورم ومساحته وإنما ما يخيفنا حقيقة هو نوع الورم نفسه .

وعلى الرغم من قلقتى الزائد إلا أننى كنت أعتقد فى قرارة نفسى مثلما تظن صديقتى أن الذى لدى ليس سوى ورم حميد ، ولا بد من استئصاله كما أنه ولا بد أن يترك أثر جرح على صدرى ولكنه على أية حال سيكون فى جانب الصدر ولن يكون ملحوظاً بدرجة كبيرة .

لقد كان لطيفاً ما فعلته « ميللى » معى كى تطمئننى ، وقلت فى نفسى : أظن أننى سأفعل مثلما فعلت هى إذا علمت بأية حال عن شخص آخر

سيجربى مثل هذه الجراحة . سأريهم أثر الجرح على صدرى بنفس الطريقة  
التي أرتنى « ميللى » جرحها دون تردد .

وأثناء تخيلاتى هذه لم تكن فى ذهنى ضحية بعينها . كان الافتراض أنه  
حتمًا توجد ضحية أخرى - ليست أنا على أية حال - أى شخص آخر  
يمكن أن يحدث لها مثل هذا الشيء - إلا أنا ..

وتعجبت من نفسى كيف لم يساورنى أى خوف من قبل .. ربما بسبب  
ذلك الصوت الذى يتردد فى رأسى دائمًا مؤكداً لى : أن الأشياء السيئة  
لا تحدث لى . شىء نشأ منذ مولدى كطفلة وحيدة لأبوين محبين  
شاكرين غدياً فى الإحساس بأننى شىء مختلف عن كل الأطفال وأننى  
محصنة ضد أى أذى .

ولقد صدق هذا الظن إلى حد بعيد وفى أوقات مختلفة من حياتى .  
بالطبع كانت هناك أوقات عصيبة وخصوصاً وأنا فى العشرينات من عمري  
حينما كنت لا أعرف هدفى فى الحياة ولا كيف أحصل على ما أريد .  
كذلك عانيت من الرجال شأن معظم النساء ، وتألمت فى بعض الأحيان  
بسبب ظروف العمل ووصلت فى مرحلة من حياتى إلى درجة من الشقاء  
تكفى لأن أذهب إلى طبيب فى الأمراض النفسية طلباً للمشورة .

وكما أننى كنت الطفلة الوحيدة المدللة المحاطة بالحب والرعاية ، كنت  
أيضاً الأمل والحلم بالنسبة لوالدى . كان مطلوباً منى أن أكون جديرة بكل  
هذا الحب ، وأن أفعل شيئاً بكل هذا الذى أخذته . كنت محاطة بالحب  
والتوقعات أيضاً .. كانا يتوقعان أن أكون طيبة ويرددان دائماً - الحمد  
لله إنها ذكية - وإن لم أستطع ، أن أكون طيبة ، فلا بد أننى سأكون شيئاً  
آخر له قيمته . وكانا يتوقعان أن أتزوج وأن تكون لى أسرة ولم لا وهما  
يرددان دائماً - الحمد لله إنها جميلة - .

ولم يكن هذا يضايقنى .. فلقد كنت أنا أيضاً أريد أن أكون شيئاً له قيمته مثلما يريد أبواى تماماً . ولم يخب ظن والدى حينما رزقاى بدلاً من صبى .. ولماذا وأنا لم أخيب رجاءهم فى أبداً .. فلقد كنت هما الفتاة والشاب فى آن واحد .

ولقد عملت بالتمثيل فى فترة من الفترات حينما رأتى أحد العاملين فى الحفل الفنى وأنا أمثل إحدى المسرحيات بالجامعة وعرض على القيام بدور صغير فى إحدى المسرحيات التى تقدم على مسرح « برودواى » . وكانت تجربة مسلية للغاية رغم أن دورى كان قصيراً جداً .. ولم يكن هناك كلام كثير أقوله على المسرح . فقد كان على أن أظل واقفة على المسرح وأروح بمروحة من الريش . وعلى الرغم من أننى لم أصبح نجمة إلا أننى نجحت كممثلة على أية حال ، صحيح أن أكون ممثلة فى نيويورك ليس بالعمل الرفيع الشأن ولكننى كنت أرى أنه أفضل بكثير من أى وظيفة روتينية داخل جدران مكتب .

وعلى الرغم من مشقة العمل اليومى على المسرح إلا أننى استفدت كثيراً من حضور الفصول المتخصصة فى تعلم فن التمثيل . لقد كانت عملاً مثيراً مفيداً مثل أى عمل قمت به من قبل .

وبعد ذلك انزلت إلى الكتابة ، كانت البداية فى أول الأمر كتابة موضوعات بسيطة للمجلات والكتب الصغيرة ثم واصلت حرث طريقي حتى وصلت إلى وظيفة محررة بمجلة (فوج) ثم انتقلت إلى مجلة (لوك) كمحرر أول منتهية بعمود خاص بى .

واهتمت بعمل غاية الاهتمام ، وحين يهتم المرء بعمله فلا بد أن يتوقع النجاح ونجحت ولقد اعتبرت نجاحى شيئاً مسلماً به وكنت سعيدة غاية السعادة إذ حققت ما توقعه الآخرون منى .. وما توقعته لى

أمى من نجاح على وجه التحديد . وأيضاً حققت لها أملها فى أن أتزوج وتزوجت رغم أننى تزوجت فى سن متأخر نسبياً إلا أننى تزوجت على أية حال . وصحيح لم أنجب أطفالاً ولكن كانت هذه رغبتى ، فلقد كنت لا أريدهم .

وبعد فترة أغلقت مجلة (لوك) ولقد بكميت كثيراً لهذا ، ولحسن الحظ لم أنتقل إلى مجلة (لايف) التى أفلست أيضاً بعد (لوك) بعام واحد . واستطعت أن أحصل على وظيفة (مراسلة إخبارية) فى محطة التلفزيون الأمريكية (إن . بى . سى .) . ووجدت العمل صعباً فى بادئ الأمر . إذ كان مطلوباً منى أن أؤدى عملاً لم أكن أعرف عنه شيئاً . ولم تكن لدى خبرة سابقة بكيفية إخراج البرامج الإخبارية العادية أو المصورة . ولا عن كيفية تغطية الموضوعات الإخبارية . ولكننى سرعان ما تعلمت كل ذلك وأجده فى وقت قصير .

وكان كل شيء يسير حسبما توقعته ، ولم يكن هذا يحدث لأننى أكثر موهبة أو ذكاء من الآخرين ، ولكن لأننى كنت محظوظة دائماً وواثقة من نفسى إلى حد كبير . ولم تكن تفتى بنفسى فقط ولكنها كانت تمتد لتشمل عالمى كله ..

صحيح أننى أعلم أن العالم مليء بالأشياء السيئة .. فأنا أعلم ما يدور هناك فى «فيتنام» مثلاً وما يحدث من حولنا فى (هارلم) ولكننى أنا شخصياً لم يمسنى شيء من هذه الأشياء السيئة بشكل مباشر .

وطوال حياتى كانت أشياء مثل .. الحرمان .. الظلم .. الفشل .. المرض .. كلها أشياء بعيدة عنى تماماً بعد بنجلاديش .. وأيضاً غير واردة مثل .. السرطان .

## الفصل الرابع :

وفى يوم الجمعة عدت إلى نيويورك ، وفى حجرة المونتاج كنا نشاهد الفيلم الخاص بالمراهقين المدمنين .. وكان فيلماً رائعاً .. وكان أروع ما فيه حديث المدمنين الصغار والصدق والتلقائية التى يعبرون بها عن أنفسهم مهما كان ذلك مخالفاً لما يجب أن يقال على شاشة التلفزيون . لقد كان ما يقوله أطفال فى سن الخامسة عشرة عن تجربتهم مع الشراب وكيف صاروا مدمنين للخمر شيئاً غاية فى التشويق والعجب . وكنت أعلم أنه إذا نجح هذا الفيلم - وهو ما حدث فيما بعد - فسيكون أبلغ رسالة لكل من يهمله الأمر وأبعد تأثيراً من أى حديث لخبير متخصص فى هذا الموضوع يمكن أن أستضيفه ليتحدث عن هذه المشكلة .

وعندما ينجح أى فيلم فعادة ما يوجد نوع من الإثارة والتشويق فى حجرة المونتاج . فقد جلسنا هناك معظم اليوم أنا والمحمر ، ومخرج الفيلم ، نشاهد الفيلم فى حجرة شبه مظلمة .. تتوقف قليلاً لنبداً من جديد ، ونعلق على الأجزاء الجيدة من الفيلم محاولين تحديد ترتيب أحداث الموضوع ونتناقش .. هل من الأفضل أن نبدأ باجتماع هؤلاء الصغار أم نترك ذلك للنهاية ، ولنبداً الفيلم بمنظر للصغار وهم يحتسون الخمر فى إحدى الحانات أى نضع المشكلة مباشرة أمام المشاهدين من البداية .

وكت قد حددت موعداً مع الدكتور (سنجرمان) فى نهاية ذلك اليوم حتى لا يتعارض مواعده مع عملى فى هذا الفيلم . وكنت أعرف على وجه التقريب أنه قد تكون هناك فرصة للخروج بعض الوقت . فإذا استطعت أن أنتهى من كتابة وتسجيل هذا الموضوع على الأقل فإن المخرج والمونتير يستطيعان تكملة بقية العمل معاً دون حاجة إلى وجودى .

قد يبدو انشغالى بالفيلم وكأننى قد انتهيت من مشكلتى الخاصة التى

تورقى . ولكن فى حقيقة الأمر لم أكن قد انتهيت . صحيح أن الرعب الذى شعرت به فى كاليفورنيا مر أمامى كحادث سيارة على الطريق السريع . نظرة سريعة ثم التفاتة ثم متابعة السير من جديد ... قد يبدو منطقياً أن يتفاعل المرء مع الأحداث بهذه الطريقة لما جدوى القلق على شىء قد لا يحدث ؟ إن القلق يأخذ وقتاً وجهداً وأنا أضع قيمة كبيرة لوقتى وجهدى ولم أكن أريد أن أبدهما فى القلق على شىء ربما لا يحدث مثل سرطان الثدي . إنه ورم حميد بنسبة ٩ : ١ إبنى أذكر نفسى بهذه الحقيقة يومياً . ثم أنه ليست هناك حالات سرطان فى العائلة . ثم أننى لازلت صغيرة السن وقبل كل شىء أنا (ببنتى رولين) فكيف يحدث لى مثل هذا الشىء ؟ !!

ولكننى لم أنه من كتابة وتسجيل هذا الموضوع فى ذلك اليوم . فقد كان الفيلم طويلاً وكان يجب مشاهدته أولاً . كما أن الموضوع جيداً بحيث لم يكن من الحكمة الاستعجال فى الانتهاء منه مهما كانت الظروف . وحينما كنت أستعد للانصراف كنا نرى مشهداً من الفيلم يصور الرجل الذى دبر لنا اللقاء مع هؤلاء الشباب وكان يقول : « إن بعض هؤلاء الشباب يشعرون بالقبح (الدمامة) أو القلق أو الغباء ولذلك فهم يختفون خلف كوس الخمر .. »

وعلقت على هذا المشهد قائلة : « أعتقد أنه من الممكن أن نستخدم هذا المشهد وإن كنت لست متأكدة إذا كنا فى حاجة إليه فعلاً » ثم سألت المخرج عن رأيه فى ذلك فأجاب : « نستطيع أن نحفظ به ثم نقرر بعد ذلك إذا كنا نستعمله أم لا » .

ثم نظرت إلى ساعة الحائط وكانت تشير إلى الرابعة والنصف وكان موعدى فى الخامسة وكان العنوان فى الشارع الثماتين ومعنى ذلك أنه يلزمنى نصف

ساعة على الأقل لأكون فى العنوان المذكور . ولعنت الأمر كله فى سرى ونهضت قائلة : « يجب أن أذهب الآن » . وضغط المونتير على مفتاح الإيقاف . وكان كلا من الرجلين يعلم أننى ذاهبة إلى المستشفى لإجراء جراحة بسيطة . وسألنى المونتير « متى تعودين ؟ » وأجبت قائلة : « من المحتمل فى نهاية الأسبوع - إفعلا ما ترياه صوابا بدونى ، أوكى ؟ » ثم جذبت معطفى وجريت إلى المصعد .

إن مكتب الدكتور (سنجرمان) كان يقع فى إحدى تلك المباني العتيقة فى الشارع الخامس المزدهم .. وحينما وصلت إلى هناك كان (آرثر) ينتظر فى الخارج أمام المبنى تحت المظلة وهو يدخن . كان منظره فظيماً .. وقلت له : وأنا ألكزه لكزة خفيفة : « لا تأخذ الأمر بكل هذه الجدية .. إنه مجرد موعد مع طبيب » .

ومن الغريب أن اكتئاب (آرثر) وتجهمه كان يثير فىّ دائماً الرغبة فى الابتهاج . إنها عادة غريبة ولاشك ، وحينما كنت أعمل بالتمثيل لم يكن هناك شىء يهدئ من روعى على المسرح ليلة الافتتاح مثل منظر أحد الممثلين الخائفين المرتعشين بينما كان منظر الممثل الهادئ الواصل من نفسه يخذلنى أنا تماماً . إن ذلك الشىء غريب حقاً وأعتقد أنها مسألة نفسية بحتة . فإذا كان الشخص الذى أمامى هادئاً سلساً أكون أنا فى غاية العصبية ، وإذا كان هو عصبياً أكون أنا هادئة بل ومرحة أيضاً . ولذلك حينما كنت أتقدم زوجى إلى حجرة استقبال الدكتور (سنجرمان) كان بادياً علىّ المرح والشجاعة بنفس الطريقة التمثيلية التى اعتدت عليها وتقمصت الدور تماماً .

وقلت وأنا أتأمل اللون الأخضر الداكن فى حجرة الاستقبال : « ياله من لون جذاب » إن هذا هو اللون الذى أفضله لستائرنا بدلاً من ذلك اللون الأحمر الفظيع » .

ولم يعلق (آرثر) على كلامي . وأظن أنني كنت أعلم سبب اكتسابه . إن لديه دائما رد فعل سيئ لأي مرض من أي نوع . وأعتقد أن ذلك بسبب أمه التي أقعدها المرض وظلت ملازمة لسريرها نصف حياتها ومعظم حياته حتى ماتت . وكان أبوه قد هجر الأسرة وترك (آرثر) وأخاه صغيرين ولأن (آرثر) كان الأكبر سناً فقد كان من واجبه أن يرعى أمه التي كانت تعاني من الآلام طول الوقت . وكما اعترف لي هو في أحد المرات أن ليالي طفولته كان يقطعها دائماً أنين أمه وتأوهاتهما ، بحيث أصبحت أية بادرة لاعتلال الصحة حتى ولو كان مجرد غثيان بسيط بالمعدة بعد تناول الكثير من الأكل الصيني مثلاً - يجعله شديد القلق والتوتر .

وكان من عادة (آرثر) أن يتمم أو ييرطم وحينما أكون مريضة ييرطم أكثر . ولم يكن أبداً لطيفاً في مثل تلك الأوقات . وكان يثور ويتبرم حينما كنت أشكو تعباً أو مرضاً . وقد قال لي الطبيب النفساني حينما استشرته في ذلك : إن « آرثر » كان ينفث تجاهي بعضاً من غضبه المخزن الذي كان يشعر به تجاه أمه ولكن لم يكن ليجرؤ أن يفصح عنه أو يسمح له بالخروج . ورغم هذا التفسير من جانب الطبيب إلا أن تصرفه هذا ظل يثيرني للغاية .

وهو لم يكن غاضباً الآن ولم يظهر غضباً بعد ذلك - أو على الأقل لم يظهره لي ولكنه كان قلقاً جداً . قلقاً على وعلى نفسه . وربما كان يقول لنفسه هأنذا قد تزوجت من فتاة كانت تفخر دائماً بصحتها الجيدة وبنيبتها الصحيحة وتعلن ذلك في كل مناسبة وهاهي قد تحولت إلى إنسانة ضعيفة مريضة مثل أمي .

ولكن عليه اللعنة .. لم أكن مريضة بل كنت أشعر أنني في تمام العافية . إن كل هذا القلق مبعثه خوف مزيف لا أساس له .

وكان على الباب تحت الجرس مباشرة علامة « دق وادخل » وفعلنا ذلك ثم أعطيت اسمي لموظفة الاستقبال ، وجلسنا على مقعدين رديين لعله نفس مهندس الديكور الذى أعد عيادة الدكتور (إلبى) هو نفسه الذى أعد عيادة الدكتور (سنجرمان) أيضا . ومددت يدي ألتقط إحدى المجلات .. ولكنه هنا يختلف عن الدكتور (إلبى) فلديه على الأقل نسخة من مجلة (النيوزويك) لهذا العام . وخلافا للزحام عند دكتور (إلبى) كانت هنا سيدة واحدة فقط فى حجرة الانتظار وكانت تبدو كالميتة . وأخذت أراقبها من حين لآخر ولمدة عشر دقائق أو نحو ذلك وفيما عدا حركة جفونها لم يتحرك فيها شيء بالمرّة . وبعد حوالى خمس عشرة دقيقة دعتنا المرضة للدخول .

إن للدكتور (سنجرمان) شعراً أبيض ونظارات سمّكة ورباط عتق حريرى . وكان مكتبه صغيراً مظلماً ويبدو كل شيء فيه مصنوعاً من الجلد . وجلس خلف مكتبه وجلست على أحد الكراسى الجلدية الموجودة على جانبي المكتب فى مواجهته وتركت كرسيّاً خلفي ليجلس عليه (آرثر) . ودون أن انتظر كى يسألنى بدأت أنا أتكلم . وسردت عليه كل الحكاية حكاية الورم منذ البداية ومتى اكتشفته لأول مرة وماذا قال عنه الأطباء ؟ وكل شيء تذكرته عن هذا الموضوع قلته له . كان (سنجرمان) يدون ملاحظاته بينما أنا أتكلم . ثم سألتى بعض الأسئلة عن تاريخي الطبي ، وعن عمري ، وهل أنجبت أو حملت قبل ذلك وأيضاً سألتى إن كان هناك أى سرطان فى العائلة . وكانت إجابتي على هذا السؤال « بالقطع لا » وبصوت واضح ومرتفع . وحينما انتهى من أسئلته شعرت أننى أجدت دورى تماماً وأعطيت نفسى فى هذا الامتحان تقدير (ممتاز) .

وبعد ذلك وبشيء من التكاسل سحب الطبيب بعض صور الأشعة من أحد الظروف وكان واضحاً أنّها تخصنى ، ودار بكرسيه تجاه

الحائط ووضع صورة الأشعة السوداء ملاصقة لجهاز رؤية صور الأشعة وأدار مفتاح النور في الجهاز ، ثم تمت قائلاً :

« هذه الصورة لا توضح الكثير » ثم أطفأ المصباح واستدار ليواجهني وقال : « حسن .. دعينا نلقى نظرة » قال ذلك وهو ينهض واقفاً . وتبعته إلى حجرة أخرى للفحص متصلة بالحجرة الأولى . وشعرت بأننى أرتفع وكان ذلك عند صعودى إلى منضدة الكشف . إننى دائماً أشعر بنفس الدوار السخيف فى مرات عديدة سابقة ، قبل هبوط الطائرة أو حينما أكون وحدى فى الشقة ويحيل إلى أحيانا أننى أسمع صوت صرير ما ودائماً لا يكون هناك شىء من هذا . حينئذ أشعر كم أنا غبية وعصبية .

كنت راقدة على ظهرى وكان دكتور (سنجرمان) يقوم بفحص الثدي الأيسر وأثناء ذلك كان يطلب منى أن أرفع ذراعى للخلف ثم يتحسس الثدي من جديد . ثم انتقل إلى فحص الثدي الآخر . وكان الفحص عميقاً جداً أعمق بكثير من أى فحص مررت به من قبل سواء مع دكتور (سميث) أو مع دكتور (إلبى) . وطلب منى (سنجرمان) أن أجلس ثم أعاد الفحص مرة أخرى وأنا جالسة . وكان يحرك ذراعى فى هذا الاتجاه وذاك الاتجاه ثم يدفع بأصابعه بقوة تحت إبطى . ثم يحذرني قائلاً « سأضغط على حلمة الثدي الآن » ثم يفعل ذلك . وكنت أعلم أنه فى حالة وجود سرطان بالثدى فإن الحلمة تفرز سائلاً عند الضغط عليها . ولم يحدث ذلك فى حالتى عندما ضغط الدكتور (سنجرمان) عليها . بل إنها حتى لم تؤلمنى . وأخيراً قال « يمكنك ارتداء ملابسك الآن » دون أن يشوب صوته أى شىء واستتجت أننى قد اجتزت الاختبار العملى بنجاح أيضاً مثلما اجتزت الاختبار الشفهى من قبل .

وعدت إلى مقعدى من جديد فى حجرة مكتبه وكان (آرثر) لا يزال جالساً هناك فى مكانه وهو يدخن .

ولا أذكر كيف قالها الدكتور (سنجرمان) لأننى بمجرد أن فهمت خلاصة ما يقول شعرت على الفور بسخونة فى رأسى وعينى .

- « بالتأكيد هناك شىء .. هناك بالتأكيد فرصة لوجود ورم خبيث ... وهناك أنواع مختلفة من الجراحات كما تعرفين .. بعض النساء يفضلن إجراء منفصلاً .. الدراسات أظهرت .. ومن خبرتى .. ولكن ، بالطبع المسألة كلها ترجع لك فى النهاية .. » .

وتوقف (سنجرمان) عن الكلام وأدركت أنه جاء دورى لأقول شيئاً .. وبدا لى أن المطلوب منى أن أحدد نوع الجراحة التى أريدها - أى أن أختار إما أن يستصلوا الثدي فقط أو أن يستصلوا الثدي وأشياء أخرى معه .

وببطء شديد استدرت فى مقعدى ونظرت إلى (آرثر) كانت عيوننا شبه مغلقة . ولقد قال لى فيما بعد : إنه ظل لفترة طويلة لا يستطيع أن ينسى ذلك التعبير الذى ظهر على وجهى لحظتها .

وحاولت أن أكون هادئة واستدرت إلى (سنجرمان) وسمعت نفسى أتحدث وأقول :

- « هل معنى هذا أنه يحتمل أننى مصابة بالسرطان » . ولم تكن هذه الكلمة تستعمل وعلمت بعد ذلك أن الأطباء أيضاً لا يستعملونها وأضفت قائلة :

- إنك لا تستطيع أن تجزم بذلك ، ولكن هل يمكن أن أعرف الاحتمالات .. أو النسبة المئوية .. كم بالمائة هذا الاحتمال ؟

وابتسم (سنجرمان) واتكأ على مكتبه وقال : « إن كل الناس تريد أرقاماً .. إن من الصعب التحديد . ولكن الاحتمال ربما يكون ما بين ٣٠ إلى ٧٠ أو من ٤٠ إلى ٦٠٪ لا أعرف على وجه التحديد » .

وسمعت نفسى أقول مرة أخرى : « هل تقول ، هل تقصد أن هناك احتمال ٦٠٪ أو ٧٠٪ هل تقصد أنه مجرد احتمال ؟ » .

وكانت أسئلتى لا تريجه فقال موضحاً : « انظرى ؟ إن النسب المخوية هى فقط مجرد أرقام الناس تريد أرقاماً ونحن نعطيهم ما يطلبون ولكنها فى النهاية مجرد أرقام لا يعتد بها إنك لا تعرفين إلا إذا ... » وأثناء كلامه شعرت بأن الأرض تميد بى وأنى أفقد توازنى وإن لم أكن قد فقدت وعى تماماً . ولم أسقط بعيداً ولم أصب بسوء عند سقوطى فلقد كان آرثر على بعد بوصات قليلة منى واستطاع أن يلتقبنى ولم أصب بسوء وأذكر أنهم أرقدونى على كنية صغيرة فى الحجرة ، وكانت قصيرة نسبياً بحيث لم تكن تكفى أن أمد ساقى فعلقهما (آرثر) على ذراع الكنية مثل القوط المتبلة . وتمت بصوت خافت محاولة أن أطمئن من حولى « سأكون بخير ؟ » .

ولكن لم يكن هذا ليقنع أحداً من الموجودين بأننى سأكون بخير فعلاً . لأننى بمجرد أن نطقت بهذه الكلمات انفجرت فى بكاء مفاجئ بصوت مرتفع وكنت أريد أن أمسك شيئاً بقوة فأمسكت بوجهى ، أمسكت به بعنف وبكلتا يدي ، كأنه ليس وجهى بل وجه إنسان آخر ، وشعرت بشيء غريب على خدى تحسسته يلى فوجدت أنه أحد الرموش الصناعية التى أستعملها ، التقطه بأصابعى ووضعته فى جيبى (وبعد ذلك بثلاثة شهور وجدته فى مكانه متسخاً ومختلطاً بنسالة النسيج فى جيب فستانى) .

كان الدكتور (سنجرمان) قد غادر الحجرة عقب سقوطى ، وسمعت صوته آتياً من إحدى الحجرات الخارجية يقول : « لا يمكن التكهن بمثل هذه الأمور .. لقد قال طبيبها إنها تستطيع أن تتحمل المواجهة ..

كل واحد يطلب منك أن تكون أميناً معه .. والنتيجة مثل ما حدث الآن « وأبعدت يدي عن وجهي وسمعت من يقول : « إن نسبة ٦٠٪ هي مجرد رقم » وربما يكون (سنجرمان) هو الذى قال هذه الجملة .. لا أدرى .

واعتدلت فى جلستى ثم نهضت ، كانت هناك علبة مناديل ورقية على مكتب (سنجرمان) وجذبت منديلاً منها ومسحت به وجهي بعناية وأثناء ذلك عاد (آرثر) إلى الحجره ، فقلت له فيما يشبه الهمس : « أنا بخير » . ووضع ذراعه حولي وخرجنا من الحجره نجر أقدامنا مثل عجوزين متهاككين .

كانت حجره الانتظار خالية تماماً الآن من الزبائن ماعدا الممرضة والدكتور (سنجرمان) . وكان (سنجرمان) يبدو عابساً عن ذى قبل وشعرت بشيء من الحرج وقلت له أيضاً فيما يشبه الهمس : « أنا آسفة » ، أعتقد أنني أحسن الآن » . وقلت لآرثر ونحن نخرج من عند دكتور (سنجرمان) : « ياإلهى بالله كم مرة فى الأسبوع يواجه مثل هذا الموقف » . وهز (آرثر) رأسه ووقف ليشعل سيجارة أخرى . ولاحظت أن يده التى تمسك بالنقاب ترتعش .

كانت حجره الانتظار ذات اللون الأخضر اللطيف تبدو لى الآن كهية مقفرة ، وكان اللون الأخضر الذى أعجبنى عند دخولى يبدو لى الآن قاتماً وكهياً .

وفى الخارج كان الجو دافئاً ورقيقاً وكانت هناك نسمة خفيفة . كان كل شيء يبدو عادياً وبدأت أبكى من جديد . وتظاهر حارس المبنى بأنه لا يرانى وأوقف تاكسيا لنا ودخلناه بسرعة . وقال (آرثر) لسائق التاكسى عنواننا . وأسندت أنا رأسى على ظهر المقعد وأغمضت عيني .

وساد الصمت بيننا لفترة ثم قلت بصوت متحشرج : « ربما لا يحدث ذلك » وأجاب (آرثر) : « هذا صحيح » ثم عدنا للصمت من جديد .

وحدثت الله أن معى نظارتى الشمسية وبذلك أستطيع أن أدخل دون أن يلاحظ بواب مسكننا شيئاً غير عادى . وبسرعة خرجنا من التاكسى إلى مدخل البيت إلى الأسانسير وعاد الصمت من جديد من حولنا داخل الأسانسير . ولم يقطع ذلك الصمت سوى الضجة التى أحدثها (آرثر) بمفاتيحه وهو يحاول فتح باب شقتنا .. وأخيراً أصبحنا داخل البيت .

البيت !! كم أحببت هذه الشقة كثيراً تلك الشقة الأنيقة التى من أجلها كدت أتسبب فى جنون اثنين من مهندسى الديكور حتى إن أحدهم صاح غاضباً ذات مرة من كثرة طلباتى : « إنها ليست قصر فرساي » .

ونظرت إلى نباتاتى الخضراء فى أصصها المصيصية الجميلة على حافة التوافذ وبدأت أبكى من جديد واندفعت نحو حجرة النوم وألقيت بنفسى على الفراش ، وفكرت أن أرفع غطاء السرير الأنيق حتى لا يتسخ بدموعى . وتبعنى (آرثر) ورقد بجوارى وأحاطنى بكلتا ذراعيه .. وبدا لى ذلك غريباً ! فهو لم يكن يفعل ذلك كثيراً . كان ذلك واحداً من الأشياء التى كنت أفقدها كثيراً وأشكو دائماً بسببها . كنت كثيراً ما أقول له : « إنك لم تقبلنى أبداً » فيجيبنى : « هذا غير معقول ، إنك لابد مجنونة » فأقول : « لا أقصد تقبيلى فى الفراش ، هذا شئ لا يحتسب ، أقصد أنك لا تقبلنى أبداً فى المطبخ ، أو فى الشارع ، إنك لم تقبلنى أبداً فى الشارع » فيقول : بلى لقد فعلت فأقول :

« لا إنك لم تفعل ذلك أبدًا » ، اذكر لى ولو مرة واحدة قبلتني فيها فى الشارع فيقول : « حسن ، حسن ، سأقبلك فى الشارع من الآن فصاعدًا » ولكنه لم يفعل ذلك أبدًا .

إنه يقبلنى الآن على أية حال ، ورغم أنه يقبلنى فى جيبى وعلى جانب وجهى حيث تدرجت دموعى وفى شعرى ، ولكن لا بأس .

وتذكرت حديثًا كنت قد قرأته منذ عدة أسابيع لزوجة سيناتور (عضو مجلس الشيوخ) وكانت تتحدث عن علاقتها بزوجها بعد أن أجرت جراحة لاستئصال ورم من الثدي ، وكيف أنه ازداد قريبًا منها بعد هذه الجراحة ؟ . ولقد بدا لى ذلك كنوع من الدعاية فى أول الأمر ولكنه كان مقنعًا . وحين ضمنى (آرثر) إليه بقوة قلت فى نفسى « ربما يحدث لنا نفس الشيء » وربما يأتى اليوم الذى يقبلنى فيه (آرثر) فى المطبخ وفى الشارع أيضًا .

## الفصل الخامس :

وبدأت الاتصال بمعارفى على الفور . كنت بحاجة شديدة إلى أن أتحدث إلى أمى ولكنى لم أتصل بها . ربما أكون قد أشفقت عليها هى وأبى ، وأخذت أفكر فى الأمر بشكل منطقى . هناك احتمال ألا يحدث لى مثل هذا الشيء فلماذا أزعجهم بدون داع ؟ ولقد ظلت أردد لنفسى « ربما لا يحدث ما أفكر فيه .. هناك احتمال ألا يكون ذلك الورم سرطانيا ، فقد أعود إلى المنزل بجرح بسيط فقط مثل صديقتى (ميللى) . حسن على أن أواجه الحقيقة إن هذا مجرد احتمال فقط ولا يعنى الاحتمال شيئاً مؤكداً . فمن المحتمل أن أظل بخير مثلما كنت دائماً .

واتصلت بأعز أصدقائى وصديقاتى وبكل الناس الذين أحبهم وأرتاح لهم ويبادلوننى نفس المشاعر .

اتصلت أولاً بـ (ليو) وهو ممثل ، وكنا قد تقابلنا لأول مرة منذ سبعة عشر عاماً وكنا نقوم بأداء أحد المشاهد التمثيلية معاً ذات صيف . ولقد وجد كل منا الآخر ذلك الصيف .. ولم تكن أبدا قصة حب بالمعنى المعروف ، بل كنت أرى فيه الأخ الذى لم يكن لى أبداً . وأصبحت أنا بالنسبة له مثل شقيقته . وحينما قررت ذات يوم أن أتترك المسكن الذى كنت أقيم فيه مع إحدى الممثلات فى الشارع الواحد والعشرين ، ساعدنى (ليو) بروح أخوية كبيرة واندفع ليحضر لى تاكسيا وساعدنى فى حمل حقائى والتزول بها خمسة طوابق على السلم كى أخرج قبل عودة رفيقتى فى السكن . كان لطيفاً ومتعاوناً دائماً ولكنه كان غنياً فى بعض الأحيان . وحين كان أحدنا يقيم علاقة مع طرف آخر ، كان لا يخفى ذلك عن الآخر . وكان الطرف الثالث سواء كان صديقى أو صديقتى يندهشون لذلك ولكنهم اعتادوا هذا الأمر .

وعندما اتصلت بـ (ليو) وأخبرته بالأمر .. خيل لي أنه قد فقد صوته وباللعجب لماذا تضيع الأصوات في مثل هذه المواقف !! وسرعان ما همس بالكثير من الأسئلة . كان يريد أن يعرف كل التفاصيل .. ما الذى قاله لي الطبيب بالضبط .. وهل أخبرت والدى !! .. الخ وحينما لم يعد هناك شيء يسأل عنه أو شيء يقوله أنهينا المكالمة .

والآن .. وبعد أن جعلت أعز أصدقائى تعيساً مثلى شعرت بالذنب .. ولكن ليس بالدرجة التى تمنعنى من طلب أشخاص آخرين مثل صديقتى (إريكا) وهى من أكثر أصدقائى تهدياً ورقة . وهى أيضاً أستاذة وكاتبة وأم وامرأة جميلة وذكية وغاية فى الرقة والنعمه حتى ليشعر المرء أنها على وشك أن تنكسر من فرط رقتها . وحينما علمت بأخبارى كانت على تلك الحال من الرقة وبدأت تهمس وتهمم بكلمات غير واضحة وبعد عدة دقائق حاولت أن تقول شيئاً إيجابياً مثل ( ... ربما ... لا ... لا يحدث ذلك) ولم يفدنى ذلك بشيء .

ثم اتصلت بعد ذلك بثلاثى الجامعة وهم من أعز الأصدقاء : (جوانا سيمون) مغنية الأوبرا والتى كانت زميلتى السابقة فى الحجرة - ولم تكن فى المنزل ، ثم اتصلت بصديقتى (بات فيشر) التى تعيش فى فيلادلفيا . (بات) مثل (إريكا) - ومثلى أيضاً على ما أعتقد - خليط من الثبات والتردد وعندما طلبتها كانت فى حالة الثبات فاستطاعت أن تقول لى : « بامكانك احتمال هذا حتى لوحدث » وكانت على حق .. وفكرت فيما بعد ، أتنى أستطيع احتمال حدوث هذا الأمر .. ولكن أوه يا إلهى لا تدع شيئاً مثل هذا يحدث لى وأن يكون على احتمال . إلهى .. أتومل إليك . ولكن الابتهاال إلى الله . لم يكن ليفيدنى . لأننى كنت قد ابتعدت عن الله منذ زمن طويل فلماذا يفعل الله شيئاً من أجل ؟ لماذا يساعدنى الآن إذن ؟

ورقدت في فراشى مرة ثانية ، إن الاتصال بالناس وبالأصدقاء والتحدث إليهم جعلنى أشعر بتحسن نوعاً . الاتصال هو حديث ، كلام ، والكلام هو تواصل ، والتواصل هو ما كنت أريده بالذات فى تلك اللحظة .. أن أتصل بالآخرين وأن أتحدث إليهم وأتكئ عليهم أتمس العون .

وكان (آرثر) فى المطبخ يعد طعام العشاء . أعرف أننى أستطيع الاعتماد عليه ولكن ليس بدرجة كبيرة .. ليس بالدرجة التى أحتاج إليها .

إن زوجى (آرثر هيرتزوج الثالث) روائى ومؤلف للعديد من الكتب الغريبة والجديدة وهو أكثر الرجال الذين قابلتهم فى حياتى جاذبية . لقد تقابلنا منذ عامين قبل أن نتزوج وذلك فى إحدى الحفلات . كان يرتدى بذلة غامقة ونظارات كبيرة وكان يبدو واثقاً من نفسه جداً وكان رسيماً ومرحاً فى نفس الوقت . وإلى جانب ذلك ، كان هناك شيان غريبان فى مظهره . كانت هناك فرجة (مسافة صغيرة) بين أسنانه اللاتنتين الأماميتين ، وكان يثأئى 'ثأثأة خفيفة أثارت مشاعر الأمومة بداخلى وجعلتني أحبه على الفور . وخلال معرفتى به وقبل زواجى منه كان أكثر جاذبية ومرحاً . كما أنه كان فنانياً بمعنى الكلمة ، يريد كل شئ على طريقته هو . وكنت قد رأيت أنه يستحق ذلك وقررت أن أتزوج منه ولم يكن هو يريد الزواج ، فلقد مر بتجربة زواج سابقة وكان من رأيه أن الزواج يفسد الحب بل وأكثر من ذلك كان يعتقد أن الارتباط بشخص واحد طول الوقت شئ عمل وسخيف .

ولكننى فعلت مثل كل النساء إذ قلت له : « إما أن تتزوجنى أو تفقدنى » فاختار أن يتزوجنى وخلال رحلتنا معا تشاجرنا كثيراً ولكننا ضحكنا أكثر . كان (آرثر) يسرف فى الشراب قليلاً فى بعض الأحيان . وكان وقحاً فى أحيان أخرى ، كما أننى اكتشفت بعد فترة أنه يتكلم بوقاحة أكثر مما يتصرف بوقاحة . إن غالبية الناس يتحدثون بطريقة ألطف من الطريقة التى يتصرفون

بها .. ولكن (آرثر) كان عكس ذلك تمامًا .. ويمكن أن أقول : إنني ربما أحببته لهذا السبب أيضًا . كما أنني كنت فخورة به لأن له العديد من العلاقات العامة التي تضيف نوعًا من الكمال في شخصيته . وعدم تقبيله لي في الشارع أو في المطبخ أو شراء زهور لي أو أى شيء من هذا القبيل ، كان جزءًا من طبيعته التي تتصف باللامبالاة مثل بعض الرجال . ولم يكن يعجبني ذلك .. ولكن (آرثر) ظل كما هو .. لم يكن أبدًا مجاملًا أو حلو الحديث بل كان أقل من متعاطف في معظم الوقت . ولكنه كان أصيلاً ويمكن الوثوق به كما أنه كان يحبني وكنت أنا أيضًا أحبه وبنينا عشا للزوجية في الشارع الخمسين . وكنت أشعر بالسعادة أحيانًا رغم مشاجراتنا الكثيرة العنيفة في بعض الأحيان . وتعلمت أن أستيقظ في الصباح وقد نسيها تمامًا .. إلى أن تحدث المشاجرة التالية .

وكانت بعض مشاجراتنا حول ما أراه في (آرثر) من كونه سريع الغضب ، حاد الطبع وما يراه هو من أنني مثيرة للأعصاب ، وتحول المناقشات من اختلاف في الرأي إلى مشاحنات . وسقطنا في تلك المصيدة - مصيدة المتزوجين - فأصبح شجارنا عادة لم يرغب أحد منا أو ربما لم يعرف كيف يوقفها . فلقد كان (آرثر) مثلًا يصيح في قائلاً :

- إنك لا توافقين أبدًا على أى شيء أقوله .

فأصيح بدورى قائلة له :

- إن الطريقة الوحيدة التي يمكن أن أتحدث بها معك ، هي أن أوافقك على كل ما تقول ! وكان يعتقد أنني كثيرة الانتقاد . وكنت أعتقد أنه طائش .. عديم التفكير ، غير مراع لحقوق الآخرين ومشاعرهم .

وهكذا .. وهكذا .. لم يحدث شيء سواه فيما بيننا أو من حولنا يمكن أن يجعل الأمور تسير بشكل أفضل ، فازدادت سوءًا ، ومع ذلك استمرت حياتنا معًا . وفي وسط هذا الجو المجنون .. أصبت بسرطان الثدي !

## الفصل السادس :

- هل رأيت (جلوريا سوانسون) مؤخرًا؟ إنها تبدو فى أحسن حال .  
هكذا بادرني (أيوجين) سائلاً . و (أيوجين) هذا هو مصفف الشعر  
الخاص بى وهو شخص يغلب عليه طابع المرح والابتهاج فى معظم الأوقات .  
وربما كان هذا هو أحد الأسباب التى دعتنى إلى الذهاب إليه فى ذلك  
الصباح من يوم السبت . وبالطبع كان السبب الآخر هو أن أصف شعرى ..  
فلقد قلت لنفسى : إنه إذا كان هناك احتمال حدوث حادث مأساوى فى  
حياتى فإننى أحب أن أبدو فى أحسن مظهر حين يحدث ذلك .

وبعد موعدى مع (سنجرمان) يوم الجمعة كانت مشكلتى التالية هى  
كيف أقضى عطلة نهاية الأسبوع .. وكان لابد أن أكون فى المستشفى  
مساء الأحد . وفكرت فى أفضل طريقة أقضى بها نهار السبت فكانت  
فكرة الذهاب إلى (أيوجين) مصفف الشعر .

وبعد أن خرجت من عنده مشرقة لامعة تجولت فى بعض المحلات  
واشترت زوجًا من الأحذية غالى الثمن واشترت أيضًا قرطاً من الفضة  
مرتفع الثمن أيضًا . ثم تجولت فى قسم الماكياج وجرت سائلاً لتلميع  
الشفاه ثم عدت إلى المنزل متألفة .. وكان (آرثر) هناك يكتب ، إذ كان  
يعمل فى كتاب عن الزلازل . وحين شعر بوجودى خرج من حجرة المكتب  
وسألنى : هل أنت بخير؟ وأجبتة : « لا بأس » .

وكنت فى الحقيقة أشعر بألم فى معدتى . ووجدت أقراص (الفاليوم)  
على المنضدة بجوار السرير فتناولت واحدًا وقلت (لآرثر) :

وأنت؟ كيف حالك؟ إنك لا تبدو على ما يرام!

وبالفعل كان منظره فظيماً ويبدو أسوأ حالاً منى . ولقد اكتشفت بعد  
ذلك بأيام أن خياله قد ذهب أبعد من خيالى بكثير .. فلقد كان كل خوفى

أن أفقد ثديي .. وهذا أقصى ما وصل إليه خيالي .. ولكن (آرثر) ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك .. لقد كان يفكر في احتمال أن أفقد حياتي كلها .

وفي تلك الليلة ذهبنا إلى السينما مع (سوزان) و (جو) وهما من أفضل الأشخاص لقضاء وقت طيب معهما . و(سوزان) تعمل مصورة وتتسم بشيء من الطيبة والسذاجة أما (جو) فهو من أصل أيرلندي وهو غاية في الظرف وخفة الظل وهو أكثر ظرفاً حينما يكون ثملاً . وكان فيلما موسيقيا من تمثيل (بربارة سترايسند) ملائماً للمشاهدة ، إذ كان من النوع التافه الذي ينسبك متاعبك .

ومن عاداتي ألا أسرف في الشراب ولكن بعد السينما عدنا إلى شقتنا ولعبنا الطاولة وشربت كثيرا وضحكنا كثيرا . وبعد أن انصرف (جو) و(سوزان) عدنا وحدنا من جديد . وبمجرد أن أغلقنا الباب خلفهما توقف الضحك والفهقهة ولم أعد أشعر بتأثير الشراب . وأفرغت الأكواب في الحوض ووضعتهم في غسالة الأطباق . وأغلق (آرثر) الطاولة وساد الصمت من جديد .. وشعرت فجأة بدوار فذهبت إلى حجرة النوم ووقدت على ظهرى ونظرت إلى السقف وبعد فترة توقف الدوار فنهضت وخلعت ملابسى وذهبت إلى الحمام حيث كان قميص نومى معلقاً على شماعة باب الحمام .. ومددت يدي لألتقطه وتوقفت فجأة .. كانت هناك مرآة معلقة على باب الحمام .. ونظرت إلى نفسى وإلى صدرى وثنديي . كان منظرها لطيفاً ومنسجماً .. ولم أكن أبداً فى حاجة لارتداء سوتيان (صديرية) إلا عند ذهابى إلى العمل . لأنه كان يضايقنى بروز حلمتى الثدي من خلف الملابس حينما أكون بغير سوتيان . ولكن عندما لاحظت أن النساء الأخريات يحدث معهن نفس الشيء لم أعد أبالى .

وأذكر حينما كنت صغيرة فى الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمري

كان يقلقني كثيراً أن أرى صدرى مسطحاً وصغيراً ، وكنت أعبط الفتيات الأكبر سناً لكبر صدورهن .. إذ كان الأولاد البالغون يهتمون كثيراً بالفتاة الممتلئة الصدر . وكان يبدو لي أن مقدار شغفهم بالفتاة يقاس بمقاس السوتيان الذى ترتديه .

وربما كان الأمر يبدو لنا - نحن الفتيات ذوات الصدور الصغيرة على هذا النحو .. ولم أكن أدري أن الفتيات أصحاب الصدور الكبيرة يعانون أيضاً بطريقة مختلفة .. تخيل أن تكون محط الأنظار لمجرد أن لك كتلتين ضخمتين معلقتين أمامك ! . على الأقل فإنه حين يقع فى حيننا نحن الفتيات صغيرات الصدور أحد الشبان فإننا نعرف على الأقل أنه يفعل ذلك من أجلنا وليس من أجل أجهزة الأمومة التى نحملها فوق صدورنا .

وبالطبع كبرت صدورنا قليلاً ونحن فى المدرسة الثانوية .. ثم توقفت عن النمو ولم أكن متأكدة من تقييم طولى أو حجم صدرى إلا فيما بعد . حين اتضح بعد ذلك أنهما فى المستوى المعقول . وصار الأولاد الذين كانوا أقصر منى ، أكثر طولاً وبذلك استطعت أن أقف على قدمى منتصبية دون الحاجة إلى ثنى ركبتي وأنا أراقصهم .

وبالنسبة لثديي ، فرغم أنه لم يكن كبيراً مثلما كنت أحب أن يكون إلا أنهما كانا متناسقين إلى جانب أنتى كنت أستطيع دائماً أن أظهرهما أكبر من حجمهما الطبيعي باستعمال نوع خاص من السوتيان يؤدي هذا الغرض .

وحدث شيء طريف حين كنت فى السنة الأولى بالجامعة قضى على كل مخاوفى بالنسبة لحالة صدرى . إذ جاءت مندوبة مجلة « مدموازيل » ومعها مصور للبحث عن فتيات لعرض بعض أزياء طالبات الجامعة . وتم اختياري لعرض سويتز أحمر . وقمت بارتدائه وعرضته على تلك السيدة

التي كانت ترتدى عشرات الأساور في يدها . وكانت مهمتها هي ضبط الملابس وتثبيتها بالدبابيس قبل التصوير . وحين رأته نظرت إلى صدرى ثم قطبت . ونظرت إلى نفسي ثم إليها ولم أجرؤ أن أسأل ما هو الخطأ ؟ . ولم تقل هي شيئاً وإنما ذهبت إلى منضدة عليها بعض الإشارات الحريرية والأكسسوارات وجلبت إشارياً حريرياً لونه بيج وعادت إلى وقالت لي : « ارفعى السويتير » وسألته « تقصدين أن اخلعه » ؟ وأجابت « لا ، أرفعيه فقط » .

ورفعت السويتير لأعلى وبدأت هي في تقييد صدرى بالشواح .. وبعد أن عقدته عدة مرات وأساورها تصطك في أذني قررت أن أتكلم وسألته .. لماذا ؟ فأجبت باقتضاب « الموضة هذا العام هو عدم بروز الصدر » . وذهلت .. تصور أن أكون أنا بارزة الصدر بالنسبة لمجلة (مدموازيل) . ولكن .. عندئذ فقط عرفت أنني بخير .

والآن .. ودون أن أرفع عيني عن صدرى في المرآة .. وضعت يدي على الثدي الأيسر الذي به الورم .. وفردته (سطحته) بقدر ما أستطيع محاولة أن أتخيل كيف يبدو لو أنه استحصل . وتساءلت .. هل سيستأصلونه من الجذور مثل كرة البطيخ ! . وهل سيتركون فجوة مكانه ! .. ورفعت يدي ونظرت إلى الثدي كما هو .. نظرت إليه كما لو كان شخصاً عزيزاً أراه لآخر مرة .. وأحسست بمرارة في حلقى .. وامتألت عيناى بالدموع . وجلبت قميص نومى من على الشماعة وارتديته بسرعة .. ثم ابتلعت قرصاً هديئاً وذهبت إلى السرير .

ثم جاء يوم الأحد !! !!

## الفصل السابع :

هناك الكثير يجب عمله حين تذهب إلى المستشفى لإجراء فحوص طبية ذلك النوع من العمل الذى يجعلك مشغولاً طول الوقت . ولا بأس من ذلك . فهناك استمارات عليك أن تملأها ، واختبارات دم وأشعة إكس ورسم قلب .. إلخ .

وكانت مهمة الرجل الذى قام بعمل رسم القلب لى مميزة ، فلقد سألته :  
- هل أنت من هايتى ؟ أليس كذلك ؟ فنظر إلى وابتسم ابتسامة واسعة أظهرت أسنانه البيضاء ، ابتسامة جعلتني أشعر بتحسن كبير ثم قال :  
- كيف عرفت ذلك ؟ فأجبتة :

- زرتها ذات مرة . فابتسم ابتسامة أخرى جميلة ثم سألتني :  
- ولماذا أنت هنا ؟ فأجبتة :

- سرطان الثدي .

عندئذ شعرت بالأسف فلقد ضاعت ابتسامته فى الحال ثم قال :

- أوه ! أنت لست متأكدة بعد ، أليس كذلك ؟ ستكونين بخير .  
فأجبتة هامسة :

- هذا صحيح ، ربما أكون بخير .

واصطحبتني إحدى الممرضات إلى حجرتي ، وكان (آرثر) معي .

إن التأمين المدفوع يغطى فقط تكاليف حجرة شبه خاصة ولكنني أخذت حجرة خاصة على أية حال . فلقد فكرت .. ربما لو تحققت مخاوفى ، ففى هذه الحالة لن أريد أحداً يشاركنى الغرفة . وكانت الغرفة نظيفة وشبه خالية وبها نافذة واحدة تطل على موقع لوقوف السيارات . وفتحت حقيبتى وأخرجت كل ما بها وأنا أعرف بعناية أين سأضع كل شيء وفى أى مكان

بالضبط . كان فى الغرفة كرسى واحد فقط جلس عليه (آرثر) وهو يقرأ مجلة « صنداى نيويورك تايمز » . ونظرت إلى السرير .. المفروض أن أرقد هنا . وترددت قليلاً ثم خلعت ملابسى وارتديت قميص النوم . وقلت (لآرثر) :

- كم أشعر بالسخف .. لماذا أرقد فى السرير .. إننى لست مريضة . ونظر إلى (آرثر) وبدا كأنه سيقول شيئاً ولكنه تراجع وعاد إلى قراءة صحيفته من جديد .

وقلت لنفسى .. بلى إننى مريضة .. إننى مريضة وظللت أكرر هذه العبارة عدة مرات كما لو كنت طفلة فى الثامنة من عمرها عليها أن تكتب هذه العبارة على السبورة عدة مرات كعقاب على خطأ ارتكبهته .

وحل المساء بسرعة وجاء الأصدقاء .. جاء (آلان بكباوم) صديقنا المهندس المعمارى الذى يتميز بلحية ذات شعر أحمر ويرتدى دائماً صندلاً مضحكاً حتى فى الشتاء . وقد أحضر معه لعبة (السكرابل) الشهيرة .

ثم جاءت (إريكا) تدخن كثيراً وتضحك كثيراً . ولم يكن هناك كراسى كافية فجلس الأصدقاء على الأرض . وفضل (إريكا) و (آرثر) امتلاءت الغرفة بالدخان وكأنها بار وليست حجرة فى مستشفى .

وكنا قد أغلقنا باب الحجرة لأن من المفروض أن التدخين ممنوع . ولكنى هنا تعلمت درس المستشفى الأول : فإذا كنت فى حجرة خاصة فليس عليك إطاعة كل أوامر المستشفى .. عليك فقط أن تغلق الباب أثناء عدم إطاعتك لهذه الأوامر .. !!

ولعبنا (السكرابل) .. ورغم أننى أحب هذه اللعبة إلا أننى مللتها بعد عشر دقائق فقط من بداية اللعب . وقلت (لآلان) الذى كان يحاول أن يكون كلمة من سبع حروف :

- إننى آسفة ، أشعر بتعب .

ولقد كنت أشعر بتعب حقاً وكان هذا غريباً إذ أننى كنت قد نمت تسع ساعات كاملة فى الليلة السابقة بعد أن أخذت ثلاث حبات من (الفاليوم) .

كان الظلام سائداً خارج نافذة الحجرة وكانت هناك بضعة سيارات لا تزال فى مكانها فى موقف السيارات .. وكانت ساعات الزيارة قد انتهت .. وذهبت (إريكا) و (الآن) وهما لا يعرفان ماذا يقولان لى .. لذا .. فلم يقولا شيئاً ذا بال . وانصرفا وأغلقا الباب خلفهما وظل (آرثر) معى . ولكننا لم نكن قادرين على الحديث .. ربما كانت غلطتى فلقد كنت مشتتة الذهن للغاية .. فما إن يبدأ الحديث حتى يشرذ ذهنى بعيداً .. وكنت أفكر فى نفس الأشياء مرات ومرات .. ماذا يحدث لو أننى كنت مريضة فعلاً ! ولكننى لا أكاد أشعر بأى مرض .. كيف يحدث هذا ! ؟ وهل يمكن أن يحدث حقاً ؟ ! وهكذا وهكذا .

وفجأة دخل الدكتور (سنجرمان) وكان يقوم بجولته المسائية . وسألنى بانسراح :

- كيف حالك ؟ أجبته بانسراح مثل انسراحه تماماً :

- عظيم .

وجلس على حافة سرىرى وبدأ الحديث عن الأنواع المختلفة لجراحات التدى بنفس الطريقة التى كان يتكلم بها فى مكتبه . ولكنى فى هذه المرة حاولت أن أتماسك . وكان يتكلم بطريقة ميكانيكية مثل مضيضة فى أحد خطوط الطيران وهى تشرح للركاب كيفية استخدام الأجهزة المستعملة فى حالة الطوارئ .

وكنت مضطرة إلى أن أقاطعه من حين لآخر لأطلب منه إعادة بعض

الأشياء . وشعرت بأننى غبية خصوصاً وأننى أعرف الكثير مما قاله من التقارير التى كنت أقدمها للتليفزيون لبرنامجى التليفزيونى . ولكن الفرق هنا هو أننى كنت أبيع فى ذلك الوقت ولكننى الآن أشتري !! واستمر يشرح ويقول إنهم فى الخمسينيات كانوا يستعملون أسلوب الجراحة الجذرية لاستئصال ورم خبيث من الثدي . ومعنى ذلك إزالة الثدي كله إلى جانب الغدد الليمفاوية تحت الإبط وعضلات « الفريضة » .

وسألته : أليست هذه هى عضلة الصدر ؟ وأجاب بنعم وهو غير راغب فى المقاطعة . واستمر يقول : « .. وهناك جراحة بسيطة لاستئصال الثدي أحياناً تسمى « الكليّة » وهى عبارة عن إزالة الثدي بالكامل فقط ولا شئ أكثر من ذلك . كما أن هناك جراحة استئصال الورم وفيها يزال الورم فقط وبعض الأنسجة المحيطة به . فإذا كان الورم خبيثاً ففى هذا النوع من الجراحة مخاطرة كبيرة لأننا فى هذه الحالة لا ندرى إذا كان الورم قد انتشر فى أجزاء أخرى من الصدر دون أن يتم استئصاله .

وعلى أية حال فإن الجراحة الجذرية (radical) لن تكون ضرورية فلقد أظهرت الدراسات أن معدلات النجاة بين النساء اللائى أجريت لهن الجراحة الجذرية والنساء اللائى أجرى لهن الجراحة (الجذرية المعدلة) تكاد تكون متماثلة تقريباً .

واستمر الدكتور (سنجرمان) يتكلم دون توقف عن الجراحة الجذرية المعدلة وهى فيما يبدو الجراحة التى ينوى إجراءها لى .

« .. فى هذه الجراحة يستأصل الثدي ومع بعض الغدد الليمفاوية - وهى الغدد القريبة من الثدي - على افتراض أنه إذا كان المرض قد وصل إلى الغدد فإنه سيصل إلى الغدد القريبة أولاً . ولكن عضلة الصدر Pectoral muscles ستترك مكانها » .

وكانت ترجمة هذا الكلام عندي هي أنهم سيستأصلون ثديي ولكن دون أن يترك ذلك تجويفاً في الصدر .

ثم أضاف الدكتور (سنجرمان) :

- وإذا شئت فإنه يمكننا أن نأخذ عينة أولاً لتحليلها وإذا ثبت وجود ورم خبيث ففى هذه الحالة نقوم بإجراء الجراحة .

وعلى قدر علمى أو علم أى شخص آخر فى مكانى عند هذه النقطة أنه إذا كان هناك سرطان فى الثدي فلا بد من استئصاله ، أما اختيار نوع الجراحة فقد بدا لى اقتراح (سنجرمان) معقولاً على كل حال .. ما الذى أعرفه أنا فى هذا الشأن ؟ . لقد سألت عن الدكتور (سنجرمان) وعن سمعته وعلمت أنه يتمتع بسمعة طيبة وعلى أن أثق به .

وحين توقف الدكتور (سنجرمان) عن الكلام شعرت بالتعب الشديد من جديد ونظرت نحوه وقررت أن أقول له ما أفكر فيه فقلت له :

- إننى أثق بك فافعل ما تراه الأفضل بالنسبة لى . ولكن أريدك أن تعرف أننى لا أريد أن أموت !!

وثانياً : أنا إنسانة ذات كبرياء ولا أريد أن أكون بشعة المنظر إذا كان ذلك بالإمكان .. !!

عندئذ ارتعشت شفتى السفلى فعضضت عليها وسمعته يقول شيئاً لا أتذكره الآن ..

أخذ (آرثر) يدي فقلت له :

- من الأفضل أن تذهب الآن .

لم يكن باستطاعته الكلام ، فانحنى قليلاً ثم قبلنى قبلة سريعة جافة ومرتعشة

ثم ذهب وبقيت وحدى . وبعد قليل دخلت إحدى الممرضات ومعها عربة عليها بعض الأدوية وناولتني فنجاناً من الورق وبه بعض الأقراص وسألتها :

- ما هذه الأقراص ؟ فأجابت :

- إنها بعض الأدوية التى ستساعدك على النوم .

وكانت تبدو منشرحة وخرجت وهى تدفع عربتها أمامها .. ثم جاءت ممرضة أخرى لقياس ضغط الدم ثم انصرفت بعد أداء مهمتها .

ثم جاءت إحدى التمورجيات وكانت امرأة بدينة سمراء البشرة وحركتها أبطأ بكثير من الممرضات الصغيرات وحيثنى بإبتسامة كبيرة وكان بين يديها حوض وفى يدها شفرة وسألتها وأنا فزعة : ما هذا الذى فى يدك ؟ فأجابت وهى تبتسم :

- سأحلق لك ذراعك . قالتها بلهجة (جاميكية) ناعمة ثم جلست بجوار السرير . فقلت :

- تقصدين تحت ذراعى (إيطى) . فأجابت وهى ترفع الذراع الأيسر برفق :

- نعم ، والذراع أيضا .

وصحت بفرح : أوه ، لا ، إنهم لن يقطعوا ذراعى لماذا تحلقين ذراعى إذن !! ؟

وحاولت ألا أبكى .. ولكن غلبنى البكاء . فقالت المرأة وهى تضع الصابون فوق ذراعى .

- لا تقلقى يا عزيزتى .. وقلت لها وأنا أنظر لما تفعله :

- ولكن .. ألن يتسبب هذا فى ظهور الشعر خشناً مرة أخرى ؟ فأجابت :

- لا يا سيدتى ، إن الطريقة التى أؤدى بها عملى تجعل الشعر يبدو

رائعًا فيما بعد ، أما ما يفعله بعض الناس ، فهذا يتسبب فى نموه خشناً ،  
ولكننى أعرف ماذا أفعل !!

يا إلهى إن المرأة تفخر بعملها هذا . وسكت وأنا أنظر إليها وأبتسم .  
ولقد كانت هذه آخر ابتسامتى ولفترة طويلة بعد ذلك ..  
ومن آخر الأشياء التى علقت بذاكرتى فى الفترة السابقة على إجراء الجراحة  
مباشرة هو منظر سيدة أخرى كانت موجودة فى إحدى حجرات المستشفى ،  
ربما كانت حجرة انتظار العمليات . وكانت السيدة تبتسم وسألتها عن  
العملية التى ستجرى لها فأجابت وهى تبتسم أيضا إنها جراحة تجميل ،  
ولما سألتها أين أجابت « فى الثدي » . ثم سألتنى بدورها عن الجراحة  
التي ستجرى لى فأجابتها نفس الإجابة « الثدي » .

كنت قد سألت الدكتور (سنجرمان) فى المساء السابق على الجراحة  
عن الوقت الذى ستستغرقه هذه العملية . فقال : إنه من المفروض أن تُجرى  
الجراحة فى التاسعة صباحًا ، وإذا كان الورم حميدًا فإننى سأكون فى حجرة  
الإفاقة (الانعاش) فى حوالى الحادية عشرة . وإذا لم يكن حميدًا فستستغرق  
العملية وقتًا أطول من ذلك . ولم يشأ أن يحدد ولكنه قال بشيء من التردد -  
من المحتمل أن تستمر إلى ما بعد الظهر .

وحين أفتت فى حجرة الإنعاش لمحت أول ما لمحت إحدى المرضعات .  
لم أكن واعية تمامًا بالطبع ، ولكن عقلى كان يعمل جيدًا بقدر كاف لأن  
يدرك أن المريضة ربما لن تذكر لى شيئًا عن الجراحة التى أجريتها ولكنها  
بالتأكيد لن ترفض الإجابة على سؤال بسيط ويرى مثل : كم الساعة الآن  
من فضلك ؟

أيتها الثعلبية الماكرة .. هكذا قلت لنفسى وأنا أسأل المريضة عن الوقت  
وأجابتنى هى بدون تردد : الثالثة والربع .  
وعدت إلى النوم من جديد ...

## الفصل الثامن :

ونظرت إلى نفسى فوجدت ضمادة كبيرة بيضاء نظيفة تلتف حول صدرى . وكان ذراعى الأيسر مرفوعاً على وسادة بيضاء ، وكانت الملاعات نظيفة بيضاء ومكوية . كذلك كان رداء المستشفى الذى أرتديه أبيض اللون نظيفاً وناصع البياض أيضاً . كما أن البيريه الذى تضعه الممرضة فوق رأسها أبيض منسجماً وكذلك كان رداؤها .

كان كل شىء حولى يبدو ناصع البياض ، عدا أمى وأبى وآرثر . هذا كل ما أتذكره عن اليوم الأول للعملية .

وفى اليوم التالى كنت لا أزال تحت تأثير المخدر (البنج) ولكن بصورة أخف ولم أشعر بتلك السخونة التى شعرت بها فى اليوم الأول . ولقد تقيأت قليلاً ولم أستطع تناول أى طعام . وكنت أشعر بالحاجة إلى الحمام بصورة مستمرة . ولأنه لم يكن باستطاعتى الذهاب إلى الحمام بالطبع فكانت هذه المهمة تتم بمساعدة الممرضة . إذ كانت تقوم برفعى قليلاً ثم تدس وعاءً من البلاستيك أسفلى وبعد قليل تأخذها بعيداً إلى أن أطلبها مرة ثانية ويكون ذلك فى الأغلب بعد عشرين دقيقة فقط من المرة الأولى .

ما أقدرها من مهمة ... ولكن يبدو أنها لا تعبأ بذلك .

وفى نفس اليوم أيضاً حلمت حلمًا اعتدت أن أراه فى طفولتى وأعتقد أن كثيراً من الأطفال يحلمون مثل هذا الحلم . وهو باختصار أن تحلم بأنك ميت وترى كل الناس مجتمععة وهم فى غاية الحزن من أجلك .. ويوجد من هذا الحلم نسختان .. نسخة من النوع الطويل ذات تفاصيل كثيرة ، ونسخة قصيرة مختصرة . وكان حلمى من النوع الطويل حيث كانت هناك جنازة كبيرة وكل شخص يأتى ويبكى ، والكل يشعر بالأسف والحزن الشديد لكل الأشياء السيئة التى قدموها لك فى حياتك وخصوصاً

والديك ... حتى ولو كانوا لم يسيئوا إليك فإنهم يشعرون بالندم ، ويتكلمون مع بعضهم البعض عن خصالك الرائعة ، ويتحدثون بالتفصيل عن كل ناحية من نواحي شخصيتك مما يأخذ وقتاً طويلاً بالطبع . وهناك أيضاً وجوه كثيرة وأنت لا تعرفها ولكنهم جميعاً متواجدون على أية حال وكلهم فى حالة سيئة من أجلك ... .. !

وكان على ظهر كفى جروح من أثر الإبر والخرطوم التي أدخلت فى عروقى . ولعل هذا ما يخيفنى ويجعلنى أشعر بالرغبة فى التبول بكثرة ..

وكان هناك أيضا شيء متصل بى ، عبارة عن كيس من البلاستيك مثبت إلى جانبي لم ألاحظه فى بادئ الأمر إلى أن عقلت الممرضة قائلة :

- إن الكيس يمتلئ بشكل منتظم يا عزيزتى ؟

لم أكن أفهم عن أى شيء تتكلم حتى نظرت إلى أسفل ورأيت ذلك الكيس وبدخله سائل أصفر وعرفت أنه لسحب أية إفرازات من الجرح . وقررت بينى وبين نفسى ألا أنظر ناحيته مرة ثانية ...

وفيما عدا هذه الأشياء فقد أحببت المستشفى وأحببت وجودى فيها .. وعلى مدى ستة أيام وأنا أرقد هناك وأنا أتلقى ... وأتلقى ... .. . وأتلقى ... وأتلقى زهوراً وهدايا وبطاقات جميلة ... باقات من الزهور الرائعة .. وأنواعا عديدة من النباتات الخضراء والبطاقات الجميلة الملونة ... .. وأيضاً أتلقى رعاية مستمرة (مدفوعة الأجر) من الممرضات ... ورعاية مستمرة (غير مدفوعة الأجر) من كل الأشخاص المحيطين بى .. أتلقى العديد من المكالمات التليفونية .. والزيارات والهدايا . وكنت كلما أتلقى أكثر كلما ازدادت رغبة فى أخذ المزيد ... .. . وأحببت كل شيء حصلت عليه ... أحببت البطاقات اللامعة ذات الورود المطبوعة عليها التي

وصلتني من زملائي في إن . بي . سي . N. B. C . والتي تقول كلماتها  
المكتوبة بعناية وأناقة :

نفكر فيك ... .

ونأمل ... .

أن تكوني في أحسن صحة ... ..

وتحت هذه الكلمات أربعة عشر توقيعاً من الزملاء والزميلات .

كما أحببت أيضاً البطاقة التي وصلتنى من صديقتى (إيريكاً) إنها تشبهها  
تماماً كانت تقول كلماتها :

« بيتى يا عزيزتى ، لم يكن ذلك سهلاً يوماً .. ولكنك ستكونين  
بخير وسيكون كل شيء على ما يرام لقد عشنا أنا و (بات) معك هذا  
الأمر لحظة بلحظة .. فإن كان هذا يريحك قليلاً فاعلمي أننا لازلنا  
كذلك .. نعيش معك بمشاعرنا .. ونشعر أيضاً أنك ستجتازين تلك  
الأزمة وستكونين بخير تماماً تذكرى هذا دائماً ... .

سأتصل بك يوم الثلاثاء حينما تكونين أحسن حالا .. وتذكرى فى  
مثل هذا الوقت غدا ستشعرين بأنك ولدت من جديد وستمتلئين صحة  
وحياة .. لقد قالت لى ذلك إحدى المرضيات ذات مرة عقب أن  
أجريت لى إحدى الجراحات الدقيقة وأذكر أن كلماتها هذه قد ساعدتنى  
كثيراً ..

كلنا نحبك ونفكر فيك دائماً يا عزيزتى «

مع حبى ... (إيريكاً)

وأيضاً بطاقة (مارتى لنسكى) وهو صديق من بوسطن كتب يقول :

... .. إن ذلك وقت هام لتدركى أنك لست فقط لحمًا

وعظماً .. وهذا ما يجعلك مختلفة ... يجعلك ما أنت عليه بالفعل ..  
ما تشعرين به نحو نفسك وما يشعر به الآخرون تجاهك ... ..  
ياله من كلام جميل ... أحببت كل هذا .. كما أحببت الزيارات  
وخصوصاً ... الزيارات المفاجئة . وأيضاً زيارات (ديفيد) .

وهو صديق من فيلادلفيا يعمل فى أحد البنوك . وكنت على وشك  
الزواج منه منذ ثلاث سنوات تقريباً ولكن لم يتم ذلك .. وديفيد هو رجل  
مثل اللب طويل له شعر أسود كثيف ومظهره شرس إلى حد ما .. وهو  
فى الحادى والأربعين من عمره ، يصغر (آرثر) بسبع سنوات . وحين جاء  
ليرانى حاولت أن أبداً مرححة فقاطعنى قائلاً بصوت رقيق :

- ليس مطلوباً منك أن تسلىنى .. أنا الذى يجب أن أفعل ذلك .. لقد  
جئت هنا لأكون بجوارك بعض الوقت ، ليس عليك أن تقولى أى شىء !  
وكان قد أحضر لى معه عروسة ذات أذنين كبيرتين وضعها إلى جوارى  
على الوسادة . وجلس بجوارى وقتاً طويلاً (وكان لهذه الزيارة شأن هام  
فيما بعد ...)

ثم جاء أناس آخرون قريبين منى أو كانوا قريبين منى فى وقت من الأوقات  
مثل (ديفيد) وأحضروا هدايا معهم .. وأحببت مجيئهم وأحببت هداياهم .  
ومن بين من حضروا كانت (مولى هاسكل) وهى صديقة قديمة وزميلة  
حجرتى ، وقد أحضرت معها دفتراً جميلاً للناوين عليه رسوم هندية بديعة .  
وحضرت أيضاً (سوزان وود) وأحضرت لى معها دفتراً أنيقاً من الجلد  
رائحته جميلة .

وأيضاً لم ينقطع وصول الزهور .. كانت تصلنى زهور على الأقل مرتين  
فى اليوم الواحد حتى بدأ الأمر كأنه عيد ميلاد مستمر أو ربما جنازة  
مستمرة ... ..

وكنت لا أمل من سرد حكايتي مع الممرضة التي خدعتها حينما سألتها عن الساعة فى حجرة العناية المركزة . وكنت أعيد سرد هذه الحكاية مرات ومرات .. كما كنت أسرد حكايات أخرى وأشياء أخرى ... كنت لا أتوقف عن الكلام إلا حين أنام .. كنت أتكلم طول الوقت ، وأتكلم مع كل شخص يأتى لحجرتى .. الممرضات ومساعدات الممرضات حتى الذين لا يتحدثون الإنجليزية منهم . ومن بين هؤلاء جميعاً تحدثت أكثر ما تحدثت مع أمى ... .. .

كنت قد قلت « لآرثر » ألا يخبر أمى وأبى إلا بعد إجراء العملية .. وفى يوم دخولى المستشفى ، اتصلت بهما تليفونيا وقلت لهما : إن لى موعدهم عمل خارج المدينة - فى بوسطن (وظننت أن اختيار بوسطن يبدو معقولاً) وكنت أفكر فى أنه إذا لم يكن الأمر خطيراً فلا داعى لأن يعرفا شيئاً عن هذا كله . وكنت أنوى ألا أخبرهما بشىء حتى لو كان الأمر خطيراً وظهر أنى مصابة بالمرض . ولكن (آرثر) قال لى وقتها « إذا حدث ما نخشاه فستحتاجين أمك بكل تأكيد » .

فى أول الأمر لم أستطع أن أتصور كيف سأحتاج أمى ، وحينما فكرت فى الأمر مرة ثانية استطعت أن أتصور ذلك .. إلى جانب أنها ولا بد ستلاحظ التغيير . فنحن نخرج معا للتسوق .. ماذا يحدث لو خرجت معها يوماً إلى إحدى المحلات وأردت قياس أحد السويترات .. ليست بالقطع حجرة القياس هى المكان المناسب لتكتشف أم أن ابنتها الوحيدة قد فقدت إحدى ثدييها .

ولذلك قرنا ، إذا حدث ما نخشاه فسيخبر (آرثر) والذى على الفور . ولقد كان (آرثر) نفسه هو الذى عرف الخبر مباشرة من الدكتور (سنجرمان) ، وذلك عقب الجراحة مباشرة ، فقد صعد (سنجرمان) إلى

الاستراحة حيث كان ينتظر (آرثر) وأخبره . عندئذ ، اتصل (آرثر) بأمي أولاً وقال لها : إن هناك شيئاً هاماً بخصوصى يريد أن يحدثها بشأنه . ولكنه شرح لها أنه يريد أن يخبرها معا . وطلب رقم تليفون أبي فى مكتبه ليتصل به ويطلب منه أن يلحق بأمي فى المنزل . وأعطته أُمى الرقم وسألته فى جزع « إن كنت أنا قد مت » وأجابها (آرثر) بالنفى ثم طلب أبى بعد ذلك .

وحينما وصل أبى إلى المنزل طلبهما (آرثر) بالتليفون وكانت أُمى على السماعه الفرعية الموجودة فى حجرة النوم .. وألقى (آرثر) عليهما بالخبر ... وحين بدأت أُمى فى البكاء على التليفون أخبرهما (آرثر) أن عليهما أن يتحاملا على أنفسهما ويحضرا إلى المستشفى فى الحال لأننى بحاجة إليهما .

وحين أفقت ووجدت نفسى على سريرى فى حجرتى بالمستشفى كان أبى وأُمى هناك . وابتسمت أُمى فى وجهى وقبلتنى .. ولم تبك .. ولم ألحها تبكى بقية الأسبوع الذى قضيته بالمستشفى ولم أرها أبداً تبكى بعد ذلك على ما حدث لى .

ولقد أخبرتنى فيما بعد بأن أبى بكى كثيراً فى المنزل . ولم أتذكره جيداً فى اليومين الأولين كل ما أذكره أنه كان يجلس إلى جوار الحائط معظم الوقت .. أعتقد أنه كان لا يدرى ماذا يفعل .

أما أُمى فبالرغم من إحساساتها القوية إلا أنها ليست من النوع الذى يبكى ليس أمامى على الأقل . وكانت المرة الأولى التى رأيتها تبكى حين كنت على علاقة (بآرثر) قبل الزواج ، وحضرت أُمى إحدى مناقشاتنا حول الزواج وسمعت (آرثر) يبدى رأيه ضد فكرة الزواج . عندئذ

انفجرت أمى باكية ونظرت إلى قائلة « لو كنت أما لفهمت شعورى » .  
وكانت عبارات من هذا النوع المثير تسبب فى سوء تفاهم بينى وبين  
أمى وظللنا لفترة طويلة لا نتكلم فى أشياء ذات أهمية بسبب أنها كانت  
دائمة القلق على وعلى مستقبلى . وكنت كثيرًا ما أثور لأسلوب ومضمون  
الكلام الذى توجهه لى وتثور هى لثورتى وينتهى الأمر بأن تصاب كلا  
منا بالصداع أو ألم فى المعدة أو كليهما معا .

إن جزءًا من المشكلة يكمن فى رغبة أمى أن تعطينى كل شىء ، ولم  
تفكر أبدا فى أن إعطائى كل شىء سيجعلنى أولاً مختلفة عنها ، وثانيا  
مدينة لها بما أخذته والشعور بالاختلاف وبالذنب ليسا بالطبع أساسًا سليمًا  
تبنى عليه الزمالة أو الصداقة .

ولكن الأمور تحسنت بيننا فيما بعد عندما كبرت وساعد على ذلك  
تقدمى فى السن كما ساعد زواجى أيضًا على تحسين العلاقة بيننا .  
والآن ... على نحو ما أشعر بأن هذه الأزمة قد ساهمت أيضًا فى تحسين  
العلاقة بيننا إلى حد كبير . ولقد كان (آرثر) محققا حين قال : إننى  
سأكون بحاجة إلى أمى ... وهأنذا أحتاج إليها فعلاً .. وهى تدرك ذلك  
وأنا الآن أدرك ذلك ... وأمى تكون رائعة حين يحتاجها أحد .

فى المستشفى كانت تقوم بكل ما أحتاجه تمامًا .. لم تكن فقط محبة  
ومتعاونة .. فهذا شىء بديهى .. بل إن أكثر ما أثر فى نفسى وحرك  
مشاعرى نحوها هى تلك الروح العالية التى بدت بها ، والإيجابية التى  
كانت عليها ، وانشراحها ولعان عينيها كذلك الروح العالية التى كانت  
ترد بها على المكالمات التليفونية .

فى اليوم الأول قالت لى « يجب أن نشعر بالامتنان لأننى لازلت أحيًا » .

وفى اليوم الثانى - حين اتضح أن غددى الليمفاوية ثبت بالتحليل أنها خالية من أية إصابات سرطانية - قالت : « يجب أن نحمد الله ونكون فى غاية الامتنان لهذه النتيجة » . إذ كان معنى ذلك أن فرصتى فى الحياة صارت أكبر الآن .

وهى أيضا كانت تتحدث مع كل شخص يدخل الحجره . قالت مرة لإحدى المرضات الفلبينيات التى تتحدث الإنجليزية بصعوبة : « إن ابنتى محاربة » . وحين ابتسمت المرضة وأومات رأسها بأدب قالت لها مرة أخرى : « إن ابنتى بطلة محاربة !

كان من عادة أمى أن تردد معظم الأشياء مرتين بهذه الطريقة .. لا بأس من هذا ولا اعتراض بل إتنى فى الواقع أحب طريقتها هذه .. فالتكرار كان يؤكد حيويتها . لقد قامت بمجهود كبير خلال تلك الأيام التى قضيتها بالمستشفى .. وقامت بدورها جيدا . كانت تناولنى الأشياء التى أريدها حينما لا أجد المرضة .. وكانت ترد على التليفون وتقوم نيابة عنى بالرد على المكالمات التى لا أرغب فيها وبطريقة لبقه كأحسن سكرتيرة اجتماعية ذات خبرة . كما كانت تعنى بالزهور التى فى الحجره وتشلبها إذا ذبلت إحداها أو اصفرت إحدى الأوراق الخضراء فسرعان ما تنزعها .

وكانت تستمع إلى بالساعات وأستمع إليها وتحدثنا عن أشياء كثيرة .. تحدثنا عن الماضى وعن طفولتى .. وفى إحدى الأمسيات كنت أنظر إليها وهى تنسق الزهور لربيع مرة فى ذلك اليوم وكانت منهمكة فى عملها ، ففكرت أن أتأديها وأقول لها : إتنى أحبها ، وقررت أن أفعل ذلك على الفور فنأديتها وقلت :

- هاى يا أمى كم أحبك ، وإتنى حقاً سعيدة بوجودك معى هنا وأرى أنك أم رائعة !

وقالت برشاقة وهى تنزع بعض الأوراق الذابلة :

- لا تكونى سخيفة فلماذا خلقت الأمهات إذن ؟

وتلقيت العديد من التهاني والكلمات التى تشيد بشجاعتي ومعنوياتي المرتفعة . أحببت ذلك كثيراً وساعدنى على أن أكون أكثر شجاعة وانشراحاً وتفواؤلاً . فكلما أحبنى المعارف والأصدقاء لشجاعتي ، كلما حرصت على أن أكون عند حسن ظنهم .

وكان يسعدنى إلى حد ما أن أسمع حكايات عن أشخاص آخرين مروا بنفس تجربتي ولم يكونوا فى مثل شجاعتي وبطولتي . ومن الحكايات التى كانت تحكيها لى إحدى المرضات عن إحدى السيدات التى أجريت لها نفس الجراحة ، وظلت لمدة يومين كاملين بعد الجراحة وعينيها مغمضتين تماماً ترفض أن تفتحهما ... ..

وأخرى زوجة لأحد الأطباء حين عادت لمنزلها بعد إجراء الجراحة مكثت به ولدة ستة أشهر متواصلة ترفض أن تخرج أو تقابل أحداً ... .. وكنت أظاهر بالحزن على هؤلاء السيدات وكنت فى الواقع أشعر بالأسف لهن ولكن لمدة ثوان معدودة بعدها يغلبنى الشعور بالاعتزاز بالنفس لأننى لست كهؤلاء ويكون رد فعلى الرئيسى حين أسمع عدم استطاعتهن التكيف هو شعور نارجسى بحت ... شعور بالتفوق والتميز .

وفى المستشفى حصلت أيضاً على شىء آخر غير كل هذه الأشياء .. وهو (الشفقة) بلى .. الشفقة .. ولو أننى لم أحصل على قدر كاف منها مثلما حصلت على قدر كبير من التشجيع والثناء .. ولا حتى على القدر الذى أنا فى حاجة إليه .. فالتاس تعتقد أن الذين تحدث لهم أشياء فظيعة لا يجيئون بالشفقة وبالتالي لا تفيدهم مشاعر الشفقة من الآخرين .. إنهم

مخطئون .. فالشفقة لها طعم لذيذ . لمن هم فى حاجة إليها .. ولقد أحببت كثيراً ذلك القدر القليل من الشفقة الذى حصلت عليه .. وكانت شفقة من نوع نادر أيضا . نوع إيجابى يساعدك على استعادة توازنك وليس ذلك النوع المضحك من الشفقة الهزيلة .

كان أحب أنواع الشفقة ذلك النوع الذى تلقته عبر مكالمة تليفونية جاءتنى من إحدى الصديقات التى بادرتنى قائلة :

« بتي ، يا عزيزتى .. لقد سمعت بالخير حالاً ولا يمكن أن تتصورى مدى أسفى لذلك ولكننى أعلم أنك قوية وستغلبين على هذه الأزمة بسرعة .. بل أنا متأكدة من ذلك تماماً » . مثل هذا الكلام يثير فى الشجاعة بالفعل ، والرغبة فى الظهور بمظهر الإنسنة القوية المختلفة فأقول : « إننى بخير تماماً » وأشعر فعلاً بأننى بخير .

كنت خلال فترة وجودى بالمستشفى مشغولة تماماً حتى عن التفكير فى حقيقة أننى الآن بدون ثدى .. وكنت حين أفكر أو أتكلم عن هذه الحقيقة ، تنمصنى روح الفتاة المرححة الشجاعة المتفائلة وأجدرنى أستطرد قائلة :

« إننى سعيدة لأننى فقدت ثدىً واحداً بدلاً من الاثنين .. كان من الممكن أن أفقد الاثنين ! علاوة على أن صدرى من البداية لم يكن من الحجم الكبير ، ولن يكون هناك فرق كبير خصوصاً مع ارتداء الملابس الواسعة . فلو أننى فقدت مثلاً إحدى ذراعى أو قدمى أو حتى أنفى فسيكون ذلك واضحاً جداً .. ورغم كل شئ فأنا جد سعيدة إننى لازلت أحيا .. كان من الممكن أن أموت .. وعلى كل حال .. من الذى يحتاج إلى ثدى ! أى فائدة لهذا الثدى ! إن المرء لا يستطيع أن

يكتب على الآلة الكاتبة بواسطته !! أو يمشی به !! وعلاوة على ذلك فإن للمرء اثنين من هذا الثدي ، فإن كان له أية فائدة تذكر ، فيكفى واحد منه فقط للقيام بهذا الدور .. !!  
إلى هذا الحد كنت أفكر وأتكلم عن هذا الأمر أثناء وجودى بالمستشفى . ولم تكن تقلقنى هذه الحقيقة على الإطلاق ..  
وأذكر أيضا أنه دار بينى وبين (آرثر) محادثة واحدة حول هذا الموضوع حين سألته : ألا زلت تحبى الآن وأنا ذات ثدى واحد ؟  
ولقد سألته هذا السؤال بالطبع عندما خرج الجميع وكنا وحدنا تماما .  
فأجابنى :

- بالطبع يا طفلى !! ثم قبلنى قبله رقيقة .. وصدقته حينذاك لأنه كان يبدو صادقا ومقنعا .. ولأن ما قاله كان شيئا لطيفا أحتاج إليه ..  
ولقد كنت أريد أن أصدق وأن أسمع كل ما هو لطيف .. وإن لم يكن الحديث لطيفا لا أصدقه .. بل لا أسمع ولا أفكر فيه .. على الأقل كنت كذلك فى ذلك الوقت ..

إن الكلام عن الحب والجنس ومثل هذه الأمور وسط تأثير المخدر والعقاقير والزهور التى تحيط بى من كل جانب .. والمرضات اللاتى يشملتنى برعايتهن .. هو شىء مختلف تماما .. شىء غريب ومثير كان يحدث فى نفس الوقت .. إذ كان (ديفيد) دائم الحضور لزيارتى ، وكان يمكث فترات طويلة معى .. كان ينتظر خروج (آرثر) ليأتى ويمكث معى أطول مدة ممكنة قبل أن يعود (آرثر) من جديد .

وفى اليوم الثالث ، لاحظ (آرثر) ذلك وعلق على ذلك قائلا :  
« لا أحب أن يحوم هذا الشاب هنا .. بالله ماذا يفعل هنا ؟ .. » وكنت أجيبه :

« لا أعرف » ولكننى فى الحقيقة كنت أعرف لأنه قال لى إنه يجبنى . ولم يكن فى ذلك أية مفاجأة لى . فلقد قال لى ذلك منذ ثلاث سنوات قبل أن أتزوج (آرثر) وقالها أيضا بعد أن تزوجت من (آرثر) ولكن ليس بعد الزواج مباشرة .. ولأننى كنت أعرف شعوره نحوى فلقد كنت أتجنبه خلال فترة زواجى . ولكن فى الشهور الأخيرة حينما ساءت الأمور مع (آرثر) وأصبحت أكثر صعوبة وارتباكًا .. كنت أتجنبه بصورة أقل .

والآن هو معى فى المستشفى ولا أتجنبه بالمرة .. فى الماضى لم أكن أدرى ماذا أفعل بديقيد وبمشاعره نحوى .. فهو لم يتزوج أبدا ، ولم يرتبط بعلاقة من أى نوع مع أحد سوى مرة واحدة ولفترة قصيرة . وكما قال لى أيضا : إنه لم يقع فى حب أحد سوى ! - كلام فارغ - هكذا كنت أعلق على حديثه هذا وكنت أقول له :

« إنك تقول لى هذا الكلام لأننى لست ملكك ، ولأننى مرتبطة بغيرك . ولكنه كان يهز رأسه بالنفى مؤكداً أن هذا ليس صحيحاً ثم يقول لى : « فقط جربى ! » .

ولم أكن أفكر فى أن أجربه وإن كنت فى إحدى المشاجرات مع (آرثر) ضبطت نفسى متلبسة بالتفكير فى (ديقيد) وفى كلامه .. ولكننى منعت نفسى من الاستمرار . معنى الشعور بالذنب من الاسترسال فى التفكير فيه .. ولكن شكوكى تجاه حقيقة مشاعر (ديقيد) نحوى تناقصت بازدياد حاجتى لهذه المشاعر . أما الآن .. وأنا راقدة فى المستشفى لا يبدو أن لدى أية شكوك تجاهه على الإطلاق . ولم أكن أشعر بالذنب على الإطلاق أيضاً . إذ كيف أشعر بالذنب تجاه أى شىء أفعله بعد كل ما جرى لى !!

وفيما بعد ، ولأننى كنت أريد أن أوضح هذا لنفسى أو أقنع نفسى به  
تحدثت إلى صديقتى ( إيريكا ) فى الموضوع وقلت لها :

- ضعى نفسك مكانى ، إذا كان ما حدث لى قد حدث لك وأتاحت  
لك الفرصة الوحيدة وجاء حصان أبيض إلى داخل المستشفى يمتطيه أمير ،  
فهل تلقين به من النافذة ، لمجرد أنك متزوجة من غيره ! ؟ وأجابتنى  
( إيريكا ) قائلة :

- أعتقد أننى لن أفعل ذلك ولن ألقى بأحد من النافذة ، خصوصاً إذا  
كان رجلاً يقول لى : إنه يجبنى وفى مثل هذه الظروف !!

وكنت أريد أن أبدو جميلة دائماً وأنا فى المستشفى ، ليس فقط من  
أجل الآخرين ولكن من أجل نفسى أيضاً .. وكنت أقضى وقتاً طويلاً  
أنظر إلى وجهى فى المرآة وأضع عليه بعض المساحيق .. كنت أضع  
بعضاً من أحمر الخدود أو أرسم خطأً جديداً عند حواجبى . وفى المساء  
أضع رولات للشعر من اللون الوردى (الروز) . وحين كانت أمى تبالغ  
كعادتها وتحضر لى أربعة من قمصان النوم مرة واحدة بدلا من اثنين  
فقط أكون قد طلبتهما ، لم أكن أغضب كما كنت أفعل من قبل ، بل  
طلبت منها أيضاً أشياء أخرى مثل جاكيت للسريير .

كان لوني المفضل دائماً فى قمصان النوم هو اللون السادة البسيط ولكنى  
الآن أحب القمصان الجميلة المنقوشة والمشغولة ذات الألوان الزاهية التى  
أحضرتها أمى .. وذلك لأننى كنت أريد أن أبدو جميلة ورقيقة بشكل  
مختلف ..

وعلى الرغم من أننى كنت أرقد فى سريرى بملابسى الناعمة مثل (أوفيليا)  
الرقيقة إلا أن الحديث الذى كان يخرج من فمى كان يبدو مناقضاً تماماً  
لمظهرى !!

كان حديثي ساخرًا دائمًا وجافًا أحيانًا ولم يكن ذلك فقط جزءًا من دفاعي عن نفسي بل كان أيضًا نوعًا من التسلية للآخرين .. كنت أشعر بهم يقولون : « يا لها من فتاة مدهشة ، إن لديها من روح الدعابة الكثير » .

ولقد هتأني الدكتور (سنجرمان) نفسه على شجاعتي وعلى نظافة الجرح الذى كان يسير على ما يرام - وأعتقد أنه كان يهنيء نفسه - وكان على أن أصدق أن الجرح يسير على ما يرام .. فلم أكن قد نظرت إليه ولا مرة واحدة .. بل إننى لم أحاول إلقاء أية نظرة عليه أثناء قيامه بالتغيير عليه .. كنت أجلس دائمًا على حافة سريري وهو يفك الأربطة وكنت أركز نظري على أى شيء آخر داخل الحجرة .. على بقعة متسخة مثلاً على حافة النافذة . وكلما فك المزيد من الأربطة واقترب من الجرح ، أثبت نظري أكثر وأكثر على تلك البقعة على النافذة .

وكنت أعرف لماذا أفعل ذلك ... كنت أدرك تمامًا أن نظرة واحدة قد تصعقنى تمامًا .. وتدمر كل تلك الشجاعة الزائفة .. ولم أكن أريد ذلك .

## الفصل التاسع :

كانت الممرضات بالمستشفى نوعين ، نوعًا يتكلم كثيرًا ونوعًا لا يتكلم على الإطلاق وكانت الممرضات الفلبينيات من النوع الذى يتكلم قليلاً . وكان لدى اثنتان منهما وكلتاها كانت جميلة وصغيرة . وكنت أتصور فى البداية أنهما لا يتكلمان بسبب صعوبة التحدث باللغة الإنجليزية ، ولكن اتضح بعد ذلك أنهما يفهمان الإنجليزية جيدا ويتكلمان فقط حين تكون هناك ضرورة .. لقد اختارا ببساطة ألا يتكلما طالما ليس هناك داع لذلك . لقد توصلت إلى تلك النتيجة وأنا أراقبهما وأرى الطريقة التى يؤديان بها أعمالهما - منتهى المهارة والرشاقة ، وأيضا الطريقة التى يتسمان بها تدل على أن صمتهما ليس نوعًا من العدوانية أو عدم الود بل إن مصدر هذا الصمت تواضع حلو .. إذ يبدو أنهما يتصوران أن ليس من حقهما الكلام إذا لم يكن ذلك واجبًا ! إلى هذه الدرجة !!

وفى الليل كانت معظم الممرضات سوداوات وأكبر سنا ، ولم يكن يتحدثن كثيرًا ولم يكن عدوانيات أيضا بل ودودات فى الأغلب . وكان يبدو أن الصمت طابعهن مثل الفلبينيات على أية حال فليس الحديث ليلاً بالشىء المستحب ..

أما ممرضات النهار البيضاوات فكان حديثهن لا ينقطع ، وكانت أكثرهن كلامًا ممرضة إيطالية تدعى (سلتيمبوكا) وهو اسم أحد الأطباق الشهيرة . لقد قالت لى كل شىء عن نفسها وقالت لى : إنها تعيش بمفردها وإنها تعشق مشاهدة برامج التلفزيون ولقد كانت تلك هى الممرضة التى حكى لى قصة السيدة التى رفضت أن تفتح عينيها عقب إجراء جراحة مماثلة . وكان لديها أيضا الكثير من الحكايات التى كانت تحب أن تحكيها وأحب أنا أن أسمعها .

ولقد كانت (سالتيمبوكا) هى أول ممرضة يقع عليها بصرى بعد الجراحة .. ورغم أننى كنت تحت تأثير البنج إلا أننى شعرت بوجودها بسرعة .. لقد كانت حنونة دافئة مثل أمى وكانت تعرف بعض الأساليب الصحية البسيطة التى تجعل الذين تُجرى لهم جراحات يشعرون بشئ من التحسن . وكانت فخورة بما تعرفه .. فمثلاً بعد الجراحة - أى جراحة - يشعر المرء عادة بجفاف فى الفم مؤلم ، وليس مسموحاً بتناول الماء بعد حتى لا يتقيأه .. لذلك يرقد المرضى بشفاه متشققة ولسان جاف كأنما لعقوا كل السجاجيد الموجودة فى إيران . وهم فى أشد الحاجة لقطرة ماء ولا يحصلون عليها .. ولم تعطنى (سالتيمبوكا) ماء أو أى شئ ولكن بما لديها من خبرات كانت تبلبل فمى بواسطة قطعة قطن مغموسة فى الجلسترين وكانت النتيجة رائعة .. وهى فى البداية لم تكن تتكلم كثيراً أو ربما كنت أنا تحت تأثير البنج فلم ألاحظ ذلك جيداً ولكنها بعد يوم أو يومين أصبحت كثيرة الثثرة .. وتحوّلت الغرفة فيما بيننا أنا وهى وأمى إلى قفص عصافير فى إحدى حدائق الحيوان .. وكانت هناك أيضاً ممرضة بيضاء أخرى تتكلم كثيراً مثل (سالتيمبوكا) . ولكنها ليست لطيفة مثلها . بل إنها كانت أشبه ما يكون بموسولبنى .. فكانت تأتى إلى وتقول بصوتها الذى يشبه الرعد وهى تقترب بوجهها من وجهى :

« اليوم أريدك أن تأكلى .. أو تقول مثلاً : « اليوم أريدك أن تمشى .. » .

وكنت أشعر بحاجة دائمة لأن أتكلم مع أحد ولم تكن أمى بجوارى طول الوقت وكانت (سالتيمبوكا) مشغولة بمهام أخرى .. « وآرثر » يأتى فى المساء فقط .. كما أنه كان لا يزال فى حالة لا تسمح له بأن يتكلم كثيراً ولا أن يستمع كثيراً .. وهو على أية حال لم يكن فى يوم من الأيام مستمعاً جيداً ..

فى أول الأمر لم أتحدث إلى أحد بالتليفون ، لأننى لم أكن أدرى لمن أتحدث وماذا أقول !! ولما لم يعد هناك مستمعون دائمون فى حجرتى ، لم يكن هناك غير طريقة واحدة وهى أن أطلب المستمعين على التليفون .. كان التليفون على المنضدة بجوار سريرى وفى متناول يدى . وحوالى ست أو سبع مرات فى اليوم كنت أجلس وأدير أحد الأرقام ثم أضطجع للوراء وأقول :

« هاى .. أتدرى أين أنا الآن ؟ .. وماذا حدث لى ؟ .. إلخ . وبسرعة بدأ الأصدقاء يطلبوننى على التليفون هم أيضاً للدرجة ان المكالمات التليفونية أرهقتنى ولكنى مع ذلك كنت أحب أن أتلقى هذه المكالمات كثيراً .. فقد كنت فى أشد الحاجة إليها .. فلقد أصبح الكلام بالنسبة لى هو نوع من الدواء .. كانت الأدوية الأخرى تمنع عنى الشعور بالألم الجسمانى .. وكان الكلام يمنع عنى الشعور بنوع آخر من الألم .. فطالما أن فمى يتحرك فلا ضرورة لأن أفكر أو أشعر ..

وكانت بعض المكالمات التى أتلقاها تكون مفاجأة تامة بالنسبة لى كذلك المكالمة التى جاءتنى فى وقت متأخر من ليلة السبت وكان (آرثر) قد غادر لنوه ، وكنت وحدى أحلق فى سقف الحجرة محاولة أن أستجمع قواى لأنهبض إلى الحمام كى أغسل أسنانى . عندئذ دق جرس التليفون ، وجاءنى صوت خشن لرجل يقول :

- « كيف بحق الجحيم يمكن أن نعثر عليك إذا كنت قد سجلت اسمك بالمستشفى تحت اسمك الزوجى !! ؟

وسألت : « من المتحدث ؟ » .

فأجاب بخشونة : « أنا (والد) Wald

وسألت : والد من ؟ فرد قائلاً : « ريتشاردز والد » .

و « ريتشاردز والد » هذا هو رئيس محطة التليفزيون الأمريكية إن . بي .  
سى . التى أعمل بها . وقلت له :

- كيف أمكنك الاتصال بى ؟ فأجاب :

- أنا أحدثك من المنزل الآن ، ولقد فكرت فيك لتوى فقررت أن  
أتصل بك .

- هذا شيء لطيف منك حقيقة .

ولقد كنت أعنى ما أقول . ورغم أن المحادثة التليفونية دارت بشكل  
رسمى إلا أننى تأثرت بها جداً . إن (والد) هذا من النوع الرسمى جداً ،  
وأذكر حينما جئت إلى إن . بي . سى . لأول مرة أن قال لى : « قد  
لا تستطيعين القيام بهذا العمل » . ورغم ذلك فخلال العامين التاليين فعل  
كل ما يستطيع ليساعدنى على أن أحيب ظنه .

ولقد قال لى مرة وأنا فى مكتبه بعد أن أصبحت مراسلة معتمدة : « هل  
تذكرين حينما أتيت هنا لأول مرة وكنت صبية صغيرة تتكلم من أنفها » .  
أجبت :

« نعم ، ولكننى لازلت أتكلم من أنفى أحيانا » . وأجابنى بإتسامة  
كبيرة لم تكن أبدا رسمية ..

إن ما هزنى فى مكالمته التليفونية كما قلت له بعد ذلك بشهر .. أنه لم  
يكن مضطراً لإجراء هذه المكالمة .. كان يمكن أن يفعل مثل أى رئيس  
عمل فى مكانه أن يرسل زهوراً عليها بطاقة بها كلمات لطيفة . لم يكن  
ملزماً أبداً أن يتصل بى ولقد قلت له أيضا فيما بعد « ألم تفكر فى مخاطر  
هذه المكالمة التليفونية - افرض مثلاً أننى كنت فى حالة سيئة حين اتصلت  
بى .. افرض أننى كنت أبكى مثلاً .. !! » .

فقال : « كنت سأطلب منك أن تتوقفى عن البكاء » .

إذن فقد عرف قصتى - هذا يعنى أن الآخرين فى إن . بى . سى . قد عرفوا أيضاً .. لا يهمنى .. فكلما عرف عدد أكبر من الناس كلما كان هناك اهتمام أكثر . ولكن فى نفس الوقت يعنى أثنى قد سببت لعدد أكبر من الناس شعوراً بالكآبة والحزن .. مثل صديقتى (إيريكأ) وهذا ما يقلقتنى .. لقد حدثتنى (إيريكأ) فيما بعد لماذا شعرت بكل هذا الاكتئاب فقالت لى : « لقد تصورت أنه مادام هذا قد حدث لك .. فإنه قد يحدث لى أيضاً » . وقالت لى : إنها لم تتوقف عن تحسس جسدها طوال فترة وجودى بالمستشفى .

ولعل هذا أيضاً هو رد فعل الكثيرات من النساء .. الخوف .. الخوف .. أن يحدث لهن نفس الشيء . وكنت ألمح هذا الخوف على وجوههن وأشعر به فى أصواتهن المشروخة .. لم أكن أبدا ألومهن .. بل كنت أشجعهن على أن يتبهن وكنت أقول : « إتنى لا أريد أن أخيفكن ، ولكن يجب التأكد من عمل رسم للثدى على الأقل مرة فى العام وأن تفحصن أنفسكن مرة فى الشهر عقب انتهاء الدورة الشهرية » . ثم فجأة أجد نفسى وقد توقفت عن الكلام حين ألمح وجوههن وقد اصفرت من شدة الخوف .

وهناك رد فعل آخر غير الخوف كنت أتلقاه أحياناً من بعض النساء كأن يقول لسان حال إحداهن مثلاً : « إتنى آسفة لأجلك ولكن حمداً لله أن هذا لم يحدث لى . بالطبع لم يكن يقلن لى ذلك ولكنى كنت أقرأ على وجوههن هذه العبارة . وفى أول الأمر كنت أغضب ولكن فيما بعد بدأ غضبى يخف حينما كنت أتذكر أننى كنت أشعر بنفس هذا الشعور بالضبط ، وأفكر بمثل هذه الطريقة تجاه سوء الحظ الذى كان يصادف الأخريات .. والآن جاء دورى لأعيش نفس هذه الظروف .

لقد جريت من قبل كيف تكون المرأة محسودة من النساء الأخريات ..  
ولذا فقد كان غريباً في بادئ الأمر أن أصادف نساءً يشعرون بالراحة لأنهن  
لسن في مكاني ..

وفي المستشفى أيضاً لم أكن أشعر بشيء باستثناء بعض الآلام في أول  
الأمر . وشيء من عدم الراحة .. وغير ذلك .. لا شيء .. كنت أعرف  
بالطبع ما جرى لي كنت أدري بما حدث .. نظرياً .. ولكنني لم أكن  
أشعر به وجدائياً .. بل أكثر من ذلك أنني لم أكن أعرف أنني لا أعرف .  
كنت أعتقد مثلما كان يعتقد كل شخص آخر أن السبب في أنني أبدو في  
حالة طيبة وغير حزينة لما حدث لي ، هو شجاعتى التى تَغْنَى بها الجميع ..  
ولم يكن هناك داع لأن أشك في هذا التفسير . إلى جانب أنه يعجبني أن  
أرى نفسى بهذه الصورة الرائعة التى يراها الآخرون .

لقد كان تفكيرى غريباً بكل تأكيد .. فرغم أنني كنت كثيرة التفكير  
فيما جرى لي ولكن يبدو أنني لم أستطع أبداً أن أركز ذهني مباشرة في  
حقيقة ما حدث .. فلم يكن يعلق بذهني شيء .. حتى حينما كانت تأتيني  
الأخبار الطيبة .. كنت أسمعها وكأنني لا أستوعب ما أسمع . مثال ذلك  
حينما جاءتني أخبار طيبة بعد الجراحة بثمان وأربعين ساعة تقول : إن  
الغدد الليمفاوية جميعها سليمة وخالية من المرض .. مما يعنى أن السرطان  
لم ينتشر في جسدى وأن فرصتى في الحياة أكبر . لم يكن لهذه الأخبار  
الهامة أى رد فعل حقيقى أتذكره .. ولا بد أن لهذا علاقة بالأدوية المسكنة  
التي كنت أتناولها .. ولكن سواء كان ذلك بسبب الأدوية أو بغيرها فإن  
هذه الحالة من عدم الشعور بحقيقة ما جرى هو ما كنت أريده بالضبط ..  
إن ما جرى قد جرى .. ولقد انتهى الآن كل شيء .. لم يكن هناك شيء  
أستطيع عمله حتى قبل أن يحدث ما حدث .. وإن كنت قد شعرت بالخوف  
في وقت ما .. فلأنه كان لدى بعض الأمل .. فمعنى أن تخاف ، أنك لم

تأس بعد .. أما الآن فلست خائفة من شيء .. لأن الوحش الذى كنت  
أخشاه قد ابتلعنى وانتهى الأمر .. وهأنذا أُرقد فى جوف الوحش على  
سرير صغير دافئ يغلبنى النعاس ولا أشعر بالخوف .. فلاأستقر فى جوفه  
وأنعم بالراحة والسكون وأترك القلق لغيرى ..

كما أنني لم أشعر أبداً بذلك الشعور « لماذا أنا بالذات .. !! » ولا حتى  
فى عز الأيام السيئة التى كنت أشعر فيها بالأسف والرتاء لنفسى .

قد يبدو هذا غريباً حقاً بالنسبة لى حتى أنني قد ظننت أن لهذا علاقة  
بالحرب الفيتنامية التى تصادف أنها كانت على وشك الانتهاء حينما كنت  
فى المستشفى .. ومثل كل الناس فقد شاهدتها على التليفزيون .. وشاهدت  
تلك المناظر البشعة لهذه الحرب على مدى أسابيع وشهور وسنين قبل أن  
تنتهى أخيراً .. وكنت مثل أى شخص أفكر .. لماذا هم ؟ لماذا هؤلاء الناس  
بالذات يعانون هذا القدر من التعاسة ولهذا المدى الطويل !! ؟ وكنت أعجب  
لسوء الحظ هذا الذى يجعل المرء يولد فيتناميا فى القرن العشرين ..

كنت قد جربت من قبل شعوراً « لماذا هم !! ؟ ؟ » فى كل مرة كنت  
أرى أو أسمع أو أقرأ عن أحد يعانى .. لمجرد أنهم تواجدوا فى المكان  
الخطأ فى الزمن الخطأ . وكنت أردد فى نفسى « لماذا هم !! ؟ ؟ ولكنى  
لم أعش أبداً تجربة تجعلنى أقول « لماذا أنا !! ؟ ؟ » فإذا كان المرء أمريكياً  
محظوظاً عنده الكثير من الامتيازات ، وفى يوم من الأيام أصابته إحدى  
العثرات أو الضربات القدرية .. فإنه يتألم ويئن ويكى وقد يفكر « لماذا  
يحدث هذا الآن !! ؟ ؟ ولكن أن يفكر المرء بطريقة « لماذا أنا ؟ ؟ » أو  
« لماذا يحدث لى هذا من دون الناس جميعاً » فهذا شيء ليس صحيحاً  
ولا سليماً بالمره ..

صحيح أن فقدان ثدى هو شيء مؤلم للغاية .. ولكنى لم أشعر أبداً أن  
فقدانه شيء غير عادل ..

## الفصل العاشر :

الرابع عشر من أبريل . الجو ربيعي دافئ . وارتديت ملابسى ، نفس الجاكت الذى كنت أرتديه حينما جئت إلى المستشفى منذ أسبوع مضى .. « يا إلهى هل كل هذا أسبوع واحد فقط » .. كنت أشعر بتثاقل ، وبأن حدائى ثقيل أيضاً وضيق وكل ملابسى كانت تبدو لى مضحكة .

وكان أبى ينتظر داخل سيارته وقد وقف صفاً ثانياً فى مكان ممنوع أمام المستشفى .. وكان يبدو قلقاً وهو يظل برأسه من نافذة السيارة .. ولم أكن أدرى هل هو قلق على أم لأنه ركن سيارته فى الممنوع .

وساعدتنى أمى ومعها (آرثر) فى الدخول إلى السيارة وأجلسونى فى المقعد الخلفى للسيارة ، وشعرت بأننى امرأة عجوز ، وجلست أمى فى المقعد الأمامى وبدأ أبى يدير محرك السيارة فى اتجاه الشارع الثالث . ولم يتكلم أحد وأخذت أنظر من نافذة السيارة مثلما اعتدت أن أفعل وأنا عائدة من المطار فى تاكسى .. كنت أتابع الناس وهم يمشون مسرعين .. ثم شعرت بالتعب لمجرد مراقبتهم فأسندت ظهرى للخلف وحين مررنا فوق مطب شعرت بألم فاعتدلت فى جلستى وظللت هكذا طول الطريق .

كانت الشقة متربة ومهجورة كما لو كنا تركناها منذ زمن طويل .. ودفعت إحدى النوافذ محاولة أن أفتحها فجاءنى صوت أبى قائلاً : « لا تفعلى ذلك » . وجرت أمى نحوى هى « وآرثر » كى يمنعانى ، تماماً كما لو كنت سألقى بنفسى من النافذة وليس مجرد أننى أحاول أن أفتحها فقلت لهم : « ليس هناك عيب فى ذراعى الأيمن » وبدأ صوتى منزعجاً أكثر مما قصدت أن يكون . ثم شغلت نفسى بالزهور وكنا قد أحضرنا معنا كل النباتات وبعض باقات الزهور التى جاءتنى على المستشفى . وكانت بعض الزهور ذابلة فأخذت أستعبدها ثم أضمت معاً الزهرات الناضرة الباقية .. وقال (آرثر) :

- هل لابد أن تفعلى هذا الآن !! ا فأجبتة :
- نعم . وقالت أُمى :
- ما رأيك فى طبق من الشورية الساخنة ؟ فقلت :
- الساعة الآن الحادية عشرة صباحًا ، وهذا وقت مبكر بالنسبة لطبق من الشورية . ولاحظ (آرثر) أننى أقطف إحدى الزهرات الناضرات خطأ فقال لى :
- لماذا لا تذهين إلى السرير الآن وتستريحين قليلاً . فقلت :
- لأننى قد غادرت سرير المستشفى لتوى . ولكنى فجأة شعرت بالتعب فقلت :
- أظن أننى سأذهب إلى السرير فعلاً ! فقالت أُمى بحماس :
- حسن جدًا .
- كان السرير واسعًا وناعمًا .. لكم أحببت هذا السرير دائمًا .. وأحببته أكثر لأننى اشتريته عن طريق التليفون وتلك قصة .. فلقد كنت أنا « وآرثر » سنذهب إلى أوروبا وتتزوج هناك على أن تنتقل إلى نفس هذه الشقة عند عودتنا . وقبل أن نسافر إلى أوروبا تذكرت أننا لا نملك سريرًا .. عندئذ قال لى ( آرثر ) اذهبى واشترى سريرًا . ولم يكن هناك وقت .. ثم تذكرت محل (ميسيز) الشهير وكانت أُمى تتحدث عن قسم الموبيليات فى محلات (ميسيز) ، فاتصلت بهم وأجابنى أحدهم فقلت له : « إننى فى حيرة إذ أننى سأتزوج وليس لدى سرير وليس لدى وقت للذهاب بنفسى وانتقاء السرير الملائم . فسألنى « أى نوع من الأسرة تريدن » ؟ فقلت « الأكبر والأجود » فقال « اتركى هذا الأمر لى » .
- وحينما عدنا من أوروبا كان السرير جاهزًا ولقد كان بالفعل أحسن

وأكبر سرير رأيتُه وكنت أشاكس (آرثر) أحياناً وأقول له : « إذا انفصلنا فهل يمكننى الاحتفاظ بالسرير ؟ فكان يقول مشاكسا : « بالطبع لا » . واستغرقت فى نوم عميق .. وحين استيقظت كان أبى وأمى قد ذهبا .. وجاء (آرثر) وجلس على حافة السرير ونظر إلى .. وشعرت بالغبرة وأستطيع أن أقول : إنه أيضاً شعر بذلك .. ومكثنا فترة لا نجد ما نقوله .

وحضرت صديقتى (إيريكسا) للعشاء وحينما خرجت تشاجرت أنا « وآرثر » وإن كنت لا أذكر الآن سبب المشاجرة . ولكننا تبادلنا الحب فى تلك الليلة على أية حال .. ولم أكن متأكدة من إمكانية حدوث ذلك وأنا فى تلك الحالة التى لا تخلو من بعض الألم فى موضع الجرح وتحت الذراع .. ولكنه حدث على أية حال .. فلقد كان هو فى حاجة إلى ذلك .. وأنا تحمته . ولكن كان هناك شىء لم أحتمله على الإطلاق .. لم أحتمل أن يلمس ثدى الوحيد .. مسكين (آرثر) .. ليست غلطته .. ربما حاول أن يلمسنى ليكون لطيفاً .. أعرف ذلك .. أو ربما هو أراد ذلك .. ولكنه حين فعل وجدتنى أصرخ فيه .. ولم أحتمل .. فحين شعرت بيده تلمس هذا الثدي تذكرت على الفور توأمه الآخر الذى مات .. وبكى .. وعقب ذلك سحبت نفسى إلى الحمام وابتلعت أحد أقراص الفاليوم كى أنام تلك الليلة .

وفى اليوم التالى ، كنت فى حالة متدنية للغاية .. ياله من تغيير سريع فبعد أن أعددت لنفسى فنجاناً من القهوة .. وسلقت بيضة أكلتها وشربت القهوة .. لا أدرى ما الذى انتابنى .. شعرت أننى لست على ما يرام .. هل هو صوت الآلة الكاتبة الرتيب فى الحجرة المجاورة ! هل هو الإفطار الذى تناولته ! أو ربما هى الوحلة .. وجودى وحدى دون ممرضات يتحركن حولى ، ولا ضوضاء المستشفى المعتادة ، ولا تهانى ولا تحيات لشجاعتك ..

إنتى فى البيت الآن وحدى .. أغسل فنجان قهوتى بعد أن شربتها كان المفروض أن أكون على ما يرام ، ولكننى لست كذلك .. ومشيت إلى حجرة المعيشة وجلست فى وسط الكنبة الطويلة وبدأت أفكر .. أفكر فى كل شيء مر بى منذ البداية . زيارتى الأولى للدكتور (سميث) .. والمأموجرام .. وزياراتى الأولى لدكتور « سنجرمان » وحاولت أن أتذكر ما قاله لى وقتها .. وفكرت فى التقرير الذى ورد عن حالة غددي الليمفاوية .. واستعدت هذا كله مرة ثانية .. وحاولت أن أحدد فى البداية لماذا حدث ما حدث !! ولما لم أستطع ، حاولت أن أحدد ماذا يمكن أن يحدث ! وكلما فكرت أكثر كلما أدركت أكثر أنتى لا أعرف .. كنت أعرف أنتى قد عدت لحياتى ولكننى مع ذلك لم أكن أعرف ماذا ينتظرنى فى المستقبل !!

عدت إلى حجرة النوم وجلست على حافة السرير وأدرت رقم تليفون (سنجرمان) ورد على التليفون بنفسه . وأردت أن أكون محددة فالأطباء أناس مشغولون وقلت له :

- أريد أن أسألك سؤالاً ربما تكون قد أجبتى عليه من قبل ولكننى مع ذلك لم أعرف الإجابة عليه حتى الآن وأود أن أعرف ..

- ما هو السؤال

- أظن أنتى أريد أن أعرف - إذا كنت أنا بخير الآن ، وأن غددي الليمفاوية وجُدت خالية من المرض بما يعنى أن فرص الشفاء جيدة فيهمنى أن أعرف إلى أى مدى هى جيدة ؟ أقصد أن أقول ما هى فرصتى المتاحة فى الحياة ؟ ورد « سنجرمان » قائلاً :

- حسن .. فرصتك فى الحياة جيدة جداً !!

- كيف ؟ ! وأدرك ما أريد فأجاب :

- فرصتك فى الحياة ما بين ٨٠ إلى ٩٠ بالمائة .

- شكراً لك يادكتور (سنجرمان) .

ووضعت السماعة وكنت لا أزال جالسة على حافة السرير .  
وطرحت ٨٠ من ١٠٠ وكان الناتج ٢٠ فإذا كانت فرصة الحياة ٨٠  
بالمائة إذن فإن فرصة الموت هي ٢٠ بالمائة .

قد يكون من المفروض أن أكون راضية وسعيدة لأن فرصتي في الحياة  
أكبر من ٨٠ وحتى ٩٠ بالمائة .. ولكنني لم أشعر بالرضا ولا الامتنان ..  
ويبدو أنني قد أخطأت فهم كل شيء فلقد ظننت أن خلو الخلايا الليمفاوية  
من المرض يعنى أنني في مأمن كبقية الناس . لقد ظننت أن فرصتي في  
الحياة هي ٩٦ بالمائة مثل أى شخص عادى .. فهناك دائماً احتمال الموت  
في حادث سيارة مثلاً أو في كارثة طبيعية .. فإذا كان الشخص صغير  
السن وصحيح البنية فلديه فرصة أن يعيش بنسبة ٩٦ بالمائة تاركاً ٤ بالمائة  
للحوادث والكوارث الطبيعية .. ولكنني لم أعد واحدة من هؤلاء الناس ..  
فأنا لم أعد صحيحة البنية . لقد زادت فرص الموت بالنسبة لى من ٤ بالمائة  
المتاحه للأشخاص العاديين إلى ٢٠ بالمائة .. أى خمس مرات أكثر من  
الشخص العادى .. وشعرت بيدى باردتين فوضعتهما على رقبتى التى كانت  
دافئة .

ثم رفعت سماعة التليفون من جديد وطلبت دكتور (سميث) ورد على  
التليفون على الفور .. وكذت أن أقول له آسفة للازعاج ثم قررت ألا  
أعتذر عن شيء وقلت :

- هل لديك دقيقة ؟

- نعم

- حسن ، لقد تحدثت من فورى مع الدكتور (سنجرمان) ولقد قال  
شيئاً أزعجنى إلى حد ما .. إذ قال : إن هناك احتمالاً بنسبة ٢٠ بالمائة أن  
أموت . وأنا أعرف أن هذه ليست أخباراً جديدة .. وإننى يجب أن أكون  
شاكراً لهذه النتيجة ولكن ما حدث هو أنني لم أدرك هذه الحقيقة من قبل ..

وأعرف أن هذا الكلام متأخر ولا يهم الآن .. ولكنى أود أن أعرف منك على وجه اليقين هل كانت فرصتى فى الحياة ستكون أفضل من ذلك لو أنك استأصلت ذلك الشيء (الورم) حينما اكتشفته لأول مرة ؟؟؟ أقصد أن أقول لماذا لم تستأصل هذا الورم منذ عام مضى ؟؟؟  
وحاولت بصعوبة أن أتحكم فى أعصابى حتى لا يرتفع صوتى أكثر من ذلك . واستطردت قائلة .

- لقد كان الورم سرطانيا حيثذ .. أليس كذلك !!؟؟ كيف يمكن أن تتركنى أتجول هنا وهناك لمدة عام وفى صدرى هذا السرطان .  
وسمعت صوت ممرضة فى الخط تقول له « دكتور (فرانك) يطلبك » فأجابها « قولى له سأتصل به فيما بعد » ثم وجه كلامه لى قائلا :  
- اسمعى ياعزيزتى .. ربما كان المرض موجودًا منذ عام أو عامين ..  
وحين اكتشفنا وجوده لم نكن نعرف أن هذا ورم سرطانى .. ثم إن هذا الورم ... .. »

وتوقفت تمامًا عن الإصغاء له وشعرت بذلك الشعور الذى أحسست به فى مكتب (سنجرمان) حينما أخبرنى . بالحقيقة . ووضعت السماعة وفى رأسى تدور جملتان تكبران وتكبران مثل البالون الكبير . كانت إحداهما : إذا كان الورم سرطانياً عند اكتشافه منذ عام مضى فكان لابد من استئصاله حيثذ .

والأخرى : إذا لم يكن الورم سرطانياً عند اكتشافه منذ عام مضى فكان لابد من استئصاله حيثذ أيضًا ..

كانت يداى باردتين ولكن وجهى كان ساخناً .. وكنت لازلت أسمع صوت الآلة الكاتبة فى الحجره المجاورة :

ثم .. لأول مرة منذ إجراء العملية انخرطت فى بكاء شديد .

## الفصل الحادى عشر :

كانت هناك قاعدة فى بيتنا تقول : « لا تزعج دادى أثناء عمله » وقررت أن أكسر هذه القاعدة .. ودخلت إلى الحجرة التى يعمل فيها (آرثر) وكان منكبًا على الآلة الكاتبة ، ونظر إلى مستغربيًا ثم توقف عن الكتابة فساد المنزل سكون مفاجئ .. وانتظر (آرثر) أن أقول شيئًا ولكنى لم أستطع الكلام مباشرة . ثم أخيرًا وبصوت منخفض قلت :

- لقد شعرت فجأة بالقلق الشديد والخوف من الموت .. أعرف أن هذا شيء سخيف ولكنى أرغب فى السير قليلاً خارج المنزل .. فهل يمكنك أن تأتى معى .. ؟

ونهض (آرثر) ووضع ذراعه حولى وقال :

- نعم .. بالتأكيد !

وذهبت إلى حجرة نومى لأرتدى ملابسى وجذبت جوربًا وسويتر ، ولكن عندما حاولت ارتداء السويتر لم يكن الأمر سهلاً .. فلقد كانت الضمادات لا تزال فوق صدرى ولم أكن حتى ذلك الحين بقادرة أن أرفع ذراعى .. ولم يكن الأمر يبدو مزعجًا تمامًا بالنسبة لى ، ولكن حينما حاولت أن أرتدى السويتر ولم أستطع أن أفعل ذلك ، حزنت كثيرًا لدرجة البكاء .. وزاد البكاء الأمر صعوبة فأصبح متعذرًا على أن أرتديه .

وبعد محاولات استمرت لأكثر من دقيقة دون جدوى ، ألقيت بالسويتر بعيدًا وارتديت قميصًا ولكننى شعرت بالبرد .. وهكذا دائمًا كنت أشعر بالبرد فقد كنت أعانى من أنيميا بسبب الدم الذى فقدته أثناء العملية .. ولم تعد المستشفيات تنقل دمًا لمرضى العمليات كما كانت تفعل فى الماضى .. لأن كثيرًا من الناس تنتقل إليهم عدوى التهاب الكبد الوبائى والصفراء نتيجة لنقل الدم . وبدلاً من ذلك يعطون المريض أقراص حديد صغيرة

خضراء اللون صحيح أنها تفيد ، ولكنها تأخذ وقتاً طويلاً حتى تحدث التأثير المطلوب .. إذ يلزم شهرين على الأقل - كما قيل لى - قبل أن تعود عدد كريات الدم الحمراء إلى ما كانت عليه .. ولهذا السبب أشعر كثيراً بالضعف والبرد .

وأخيراً وجدت جاكنا واسعا يخفى الصدر وارديته ثم نظارات شمسية غامقة كى أبكى خلفها بحرية ، ولقد كان هذا هو ما حدث بالضبط بمجرد خروجي إلى الشارع . كانت الحركة فى الشارع طبيعية وعادية .. ولقد أحزنتى ذلك كثيراً .. بعد كل ما جرى لى يظل كل شىء بالخارج كما هو بالضبط .. نفس الصف من المحلات فى نهاية المبنى نفس النباتات التى يفرشها محل النباتات على جانبي الطريق .. سوق الفاكهة فى مكانه حركة الناس فى الشارع كما هى .. شمس وسط النهار الجميلة مازالت تشرق .. لم يتغير شىء إلا أنا !!

كان فمى جافاً وشفثاى مشققة .. كنت أشعر أننى ميتة .. وأننى شبح خرج لتوه من القبر .. ومن خلال دموعى واللون الأزرق الغامق لنظارتى الشمسية لمحت كلباً صغيراً منزوياً .. من ذلك النوع الذى تخشى أن تطأه بقدمك دون أن تشعر .. فأخذت أحملق فيه ونحن نتنظر الضوء الأخضر لنعبر الطريق إلى الجانب الآخر .

ويبدو أننى أخذت أحملق فى ذلك الكلب لأننى شعرت بطريقة ما أننى ضعيفة مثله وهشة مثله .. وأن أحداً قد يدوسنى بقدمه من شدة ضعفى ... ..

وحينما عبرنا الطريق إلى الجانب الآخر حيث تقاطع الشارع الثانى مع الشارع رقم ٤٩ قرب شقتى القديمة التى عشت فيها بمفردى فترة من الزمن ثم مع (آرثر) بعد ذلك .. عندئذ بكيت من جديد ...

مسكين (آرثر) .. إننى لم أكف بأن آخذه من عمله ، ولكنى أيضاً أجبره على أن يمشى فى الطريق مع شيخ باكى ... ونحن فى طريقنا إلى النهر الشرقى نظرت إليه .. كان وجهه مرعباً وكانت تبدو عليه الشيخوخة ... .

ومرة أخرى ، لم أستطع أن أمنع نفسى من البكاء .. كما لم أستطع أيضاً أن أمنع نفسى من التفكير خصوصاً فى الأرقام .. رقم ٨٠ و ٩٠ بالمائة .. ثم بدأت أفكر فى دكتور (سميث) ودكتور (ألبي) .. وكنا نسير بخطى أسرع الآن .. وقلت (لآرثر) .. والحقيقة أننى كنت أكلم نفسى :

- « قد أستطيع أن أتقبل ما حدث لى .. ولكننى أبداً لا أستطيع أن أقبل فكرة أنهم قد ارتكبوا خطأً معى . لا أستطيع أن أتصور ، أننى أعيش فى نيويورك وأننى كصحفية قد عملت موضوعاً شاملاً عن سرطان الثدي .. وأننى محاطة بأحسن الأطباء ، قمة الطب .. ورغم كل هذا أظل أتجول هنا وهناك وفى صدرى ورم سرطانى ... . هذا ما لا أستطيع أن أتصوره أو أقبله » ..

وأوماً (آرثر) برأسه وهم أن يقول شيئاً ولكنه أعاد التفكير فيه فيما يبدو .. معه حق فأنا لم أكن أريد أن أسمع .. كنت أريد فقط أن أتكلم .. أن أغضب .. أن أتقياً الكلمات وهذا ما ظلمت أفعله طوال الطريق .. وأمام مبنى الأمم المتحدة قال آرثر برفق :

- « ربما من الأفضل أن نعود الآن إلى البيت » .. فأجبت « بنعم » وأنا أدرك إلى أى مدى يريدنى أن أكف عن هذا الكلام .. ولم نقل شيئاً طوال طريق العودة ... .. وتساءلت بينى وبين نفسى « ترى ! كم سيتحمل (آرثر) مثل هذا الحديث !! »

إننى لا أريد أن أفعل به هذا ! ولكن يجب أن أفعل هذا لشخص ما

وليس هناك غيره .. مسكين (آرثر) ... مسكينة (بتى) كيف تحولت إلى  
شبح !! ؟

وحينما عدنا إلى الشقة خلعت ملابسى وألقيت بها على السرير ، ثم  
ارتديت روبا وعدت إلى التليفون . وسألنى (آرثر) : « ماذا تفعلين ؟ »  
فقلت له : « أشعر أننى يجب أن أحادث شخصا يفهم فى هذه الأمور ..  
سأطلب (لارى) . ولارى هذا هو « لورانس كون » .. وهو طبيب وصديق  
وشاب لطيف للغاية .. وكان قد أشعرنا فى وقت سابق أنه على استعداد  
للمساعدة وأننى سأجده دائماً رهن إشارتى .. وهأنذا قد أشرت إليه وها هو  
يحضر فى مساء ذلك اليوم .. وعندما حضر كنت قد انتهيت من البكاء .  
ولكن معدتى كانت مضطربة .

وسأل (آرثر) لارى إن كان يريد شرباً .. وطلب مشروب الكوكا ..  
وجلس على الكنبة وجلست بجواره وقلت وأنا أحاول أن أبدو طبيعية  
ومتماسكة :

- « لارى .. أريد أن أتكلم معك عن الأرقام .. وحكىت له قصة الـ  
٨٠٪ . وبدأ يتكلم وكان صوته خفيضاً هادئاً عطوفاً .. نفس الصوت  
الذى يستخدمه الأطباء حين يتحدثون إلى المجانين من المرضى وقال :

- أعتقد أنه فى حالة الاكتشاف المبكر فإن النسبة تكون ٨٥٪ .  
وصحت فجأة دون أن أنتبه :

- « لارى - لقد كان عندى الورم لمدة عام كامل .. إذن لم يكن حالة  
اكتشاف مبكر .. لقد . وقاطعنى دون أن يرفع صوته :

- علمياً .. فإن حالتك هى حالة اكتشاف مبكر .. لأن المرض  
الخبث - ولم يقل السرطان - لم ينتشر فى الخلايا الليمفاوية . الاكتشاف

المبكر يعنى اكتشافه قبل أن ينتشر حتى وإن لم يكن قد اكتشف مبكراً بالفعل . وأضاف قائلاً :

« هناك أيضا احتمال أن الورم لم يكن خبيثاً فى البداية .. فمن الأرجح أن حالتك هى حالة اكتشاف مبكر بأكثر مما تظنين » وقلت وأنا أحاول أن أستجمع المعلومات :

- « ولكن يا لارى ، إذا لم يكن الورم خبيثاً فإن استئصاله يعنى أنه كان هناك احتمال لأن يصير خبيثاً ، أليس كذلك ؟ » وارتفع صوتى من جديد « وإذا كان الورم خبيثاً لمدة عام مضى فقد كان من الأفضل لو أنهم استئصلوه فوراً .. قد أكون محظوظة فى أن المرض لم ينتشر ولكن كان هناك احتمال أن ينتشر خلال ذلك العام ويقتلنى .. أليس كذلك ؟ أليس كذلك !

كان (لارى) منكساً رأسه وباسطاً يديه ثم قال بصوت أكثر انخفاضاً عن ذى قبل :

- بالطبع ، كان من الأفضل لو أنهم استأصلوا هذا الورم منذ عام مضى .. لقد ارتكبوا خطأ بالفعل . وتساءلت بغياء :

- لماذا ... لماذا أخطأوا ؟

ونظر إلى وقال :

- لأن الأطباء بشر يرتكبون أخطاء فى بعض الأحيان .

وكانت هذه هى الإجابة الصحيحة .. بل الإجابة الوحيدة .. ولكنها لم تكن أبداً الإجابة التى أردت سماعها .. ونكست رأسى وأمسكت بمعذتى إذ شعرت بألم حاد فيها عندئذ .

لم أكن أريد أن أعرف أن الأطباء يرتكبون أخطاء أيضاً .. إن الأطباء

مثل الآباء .. كنت دائماً أثق بهم .. وكنت على وجه الخصوص لا أريد أن أعرف أنهم ارتكبوا خطأ تجاهي . لا أحتمل معرفة ذلك رغم أنى أعرف أن هذا يحدث أحياناً ، وأعرف أن هناك أخطاء أسوأ من ذلك تحدث وأسمع عن الكثير من القضايا التي يطالب أصحابها بتعويضات باهظة عن أخطاء ارتكبتها الأطباء فى حقهم .. ولكنى لا أحتمل أن يحدث ذلك لى شخصياً . وقلت للارى رغم أن صوتى كان قد ضاع منى تقريباً ولكنى، لم أتوقف عن الكلام ، قلت له :

- قل لى المزيد عن نسبة الـ ٨٥٪ هذه .. من أين جاء هذا الرقم ؟  
أعرف أنها مجرد أرقام ولكن لها دلالات ..

وشعرت بىداى باردتين مرة ثانية وقبضتهما ثم بسطهما ووضعتهما على وجهى .. ثم قبضتهما مرة ثانية وتابعت حديثى :

- ... . أعرف أناسا مرضى باللوكيميا ولديهم أرقام أسوأ من ذلك بكثير . أعرف أيضاً أنه إذا كانت النسبة أكثر من ٥٠٪ فهى شىء لا بأس به ولكن ...

وفجأة صاح (آرثر) قائلاً : « كفى ، لم أعد أحتمل أكثر من ذلك » . لقد كان جالساً هناك طول الوقت على الكرسي المقابل لنا يدخن فى صمت ثم نهض واقفاً وقال : « لى عمل لا بد أن أنجزه » وبدأ يتجه إلى حجرة المكتب .

وصححت أناديه « آرثر » فاستدار فقلت « من فضلك لا تذهب ، امكث معنا .. أعذك أن أتوقف عن هذا الكلام .. » فقال :

- « حقيقة لم أعد أحتمل هذا » ثم مشى متجهاً إلى حجرة المكتب . ونظرت إلى (لارى) وقلت : « لا حيلة لى فى ذلك » . فقال : « أعرف ، لا بأس » .

ثم أخذ يشرح لي معنى هذه النسبة قائلاً :

- « إنها تعنى أن هناك فرصة طيبة جدا قدرها ٨٥٪ ألا يحدث لك هذا مرة ثانية .. وبعد عامين أو ثلاثة .. إذا لم يظهر المرض من جديد فإن الفرصة تكون أفضل بكثير بمعنى أنك تكونين في أمان » .

- هل تقصد أن تقول إنه إذا كانت هناك فرصة لظهور المرض من جديد فإن ذلك يحدث بسرعة ؟

- عموماً نعم ، خلال عامين أو نحو ذلك .

- أوه لارى .. شكراً لك .

- لا بأس . ونهض واقفا ثم خرج .

وشعرت بألم شديد مكان الجرح وكذلك ألم فى ذراعى . ومع أن الألم الذى أشعر به الآن أقل بكثير من ذلك الألم الذى كان بالمستشفى .. ولكن عجباً فلم يكن الألم يزعجنى هناك أبداً .. بل لم يكن ليزعجنى شيء هناك على الإطلاق .. لقد كنت هناك كالثائمة ... ولم أعد نائمة بعد .. بل أنى الآن فى منتهى اليقظة .

ولم ينته يوم الموت هذا ... فبعد أن خرج (لارى) حاولت أن أقرأ فلم أستطع وحاولت أن أنام ولم أستطع أيضاً .. حتى جاء موعد العشاء واستطعت أن أقوم به ... رغم أننى طباحة سيئة .. ولا أهوى الطبخ إطلاقاً وأثناء إعداد الصلصة أخذت أبكى من جديد .. وكان صوت الآلة الكاتبة يرن فى حجرة (آرثر) ولم أجروء أن أدخل .. وحتى إذا جرؤت فماذا أقول .. ! لقد قلت كل شيء .. والآن على أن أحتمل .. ولكن تلك كانت المشكلة . فماذا تفعل إذا أنت لم تستطع أن تحتمل !! بعض الأشخاص وبعض النساء سألوني فيما بعد .. كيف استطعت احتمال ذلك . فكانت إجابتى يجب أن أحتمل .. وإلا فما عساي أن أفعل ؟ ما هو البديل ؟ ألا أحتمل !! معنى

هذا ! أن أتمزق .. أو أقتل نفسي .. ومن هو المجنون الذى يفعل ذلك ... !! ؟ ؟

لقد أدركت هذا فقط وأنا أعد الصلصة .. ولكننى أدركت أيضاً أننى لست على ما يرام . ولا بد أن يكون هناك أسلوب للاحتمال لا أعلمه .. وعلمت أننى لا أستطيع العودة إلى سابق عهدى وأننى لا يمكن أن أستمر فى مضايقة الآخرين بمشكلتى حتى وإن أبدوا تعاطفاً معى وكذلك (آرثر) .

لقد كنت غاضبة من (آرثر) أعلم أننى لا يجب أن أغضب منه ولكننى لم أستطع أن أكون غير ذلك .. أعرف أن ما حدث كان فظيماً بالنسبة له . كانت لدى فكرة أن أقرباء المرضى أو الذين يتهدد حياتهم الموت لهم جحيمهم الخاص ... وأنها قد تكون أشد قسوة ووحشة من جحيم الشخص المريض نفسه أو المعرض للموت ...

لقد كنت على وعى تام بأن (آرثر) يتعذب وأنه يشارك فى مخاوف مرضى كلها دون أن يشارك فى المزايا التى حصلت عليها بسبب مرضى .. لقد كان يعانى .. وكان خائفاً .. ولكن أحداً لم يشفق عليه أو يتعاطف معه أو يزوره أو يبعث له بالهدايا .. أو حتى يشنى على شجاعته وقوة احتماله .. أو أن يجعلوا منه نجماً مثلما فعلوا معى .. إن النجومية فى سرير المستشفى كانت تعويضاً بسيطاً لإصابتى بسرطان الثدي .. لأنها كانت أفضل من لا شيء فعلى الأقل أعطتنى الحق فى أن أكون مزاجية إلى حد ما .. ولكن (آرثر) لم يأخذ حتى ذلك . على العكس كان المطلوب منه أن يكون كاملاً ... حتى أنا توقعت منه أن يكون كاملاً وكنت نائرة جداً حينما لم أجده كذلك .. وثررت على نفسى لأننى ثرت عليه .. وكان هذا كله ضد إرادتى ... كانت تملكنى مشاعر مختلفة من الغضب والشفقة على النفس والخوف وضعف الإرادة .. وكرهت نفسى من أجل تلك المشاعر التى تملكنى .. لقد كنت

راضية عن نفسى أكثر حينما كنت بالمستشفى .. لقد أحببت تلك الإنسانية التى كانوا يتحدثون عن شجاعتها وروحها العالية .. وذلك الجمال النائم الذى أحبه الجميع .. ترى من يستطيع أن يجيها الآن ! حتى زوجها قد انقلب ضدها .. وإلى أين تذهب « بتي الطيبة » . وقفت أمام الحوض وأنا أفكر فيها .. كما فكرت أيضاً فى « بتي » الأخرى - أعنى « بتي فورد » زوجة الرئيس الأمريكى وهى تلوح بذراعها المصابة من شرفة البيت الأبيض .. كما فكرت أيضاً فى تلك السيدات الشهيرات الطبيبات من ذوات الشجاعة أمثال « هايبى روكفلر » وهى تقول لأحد الصحفيين وهو يسأها عن شعورها عقب الجراحة التى أجريت لها .. وهى تجيبه بسعادة غامرة « أشعر أنتى فى أحسن حال » ..

كل هؤلاء السيدات الشهيرات المبتسمات دائماً يقررن جميعاً أنهن فى أحسن حال وتقول إحداهن « إنها أسعد حالاً من أى وقت مضى » . إذن ما خطبى أنا ! ؟

إننى على أية حال واحدة من المحظوظات . فليس هناك أثر للمرض فى خلاياى الليمفاوية وفرصتى فى النجاة من الموت لا بأس بها .. إذن لماذا أبدو بهذا السوء مرة واحدة ؟

لكم تمنيت أن أقتل (سميث) و (ألبي) أيضاً أقتلهما معاً .. وتذكرت ما قاله (سميث) عن الطب البدائى .. ماذا لو كنت أنا زوجتك ؟ هل كنت ستترك زوجتك تتجول لمدة عام وفى صدرها ورم سرطانى ؟ هل كنت تفعل ذلك ؟ وصرخت فيه بأعلى صوتى ولكن للأسف كان رأسى هو المكان الوحيد الذى صرخت فيه بأعلى صوتى فى وجه (سميث) لأننى لم أره ثانية أبداً كما لم أر (ألبي) أيضاً .

وبعد ذلك بعدة شهور كنت أتحدث مع صديقة لى زوجة لطبيب عن فكرة أن يعالج الطبيب مريضته تماماً مثلما يعالج زوجته فكان ردها :

- إن هذا تمامًا ما يفعله زوجي مع كل مرضاه .

وتعجبت .. حتى مع حسن النية هل يستطيع الطبيب أو أى شخص آخر أن يفعل ذلك ! وهل من العدل أن نتوقع ذلك ! هل يملك أى شخص أن يعطى هذا القدر من العناية والاهتمام لشخص لا يعرفه . بل هل .. نوع المعالجة التى يمنحها الطبيب لزوجته تكون بالضرورة أحسن أنواع العلاج ؟ ! ربما يكون الطبيب متحفظًا جدًا فى علاج زوجته أو طفله وهل ينبع التشخيص الطبى السليم من الحب ؟ ألا يرسل الأطباء أحيانا زوجاتهم وأولادهم إلى أطباء آخرين للعلاج ؟ !

آه .. أطباء آخرين .. تلك هى المسألة .. إننى لا أستطيع أن ألوم (سميث) أو (ألبي) لعدم نصحهم لى باستئصال الورم . حين اكتشافه ، إذ كان فى صميم تقديرهم أن الورم لم يكن سرطانيا . لقد قال لى (سميث) على التليفون : « لا نستطيع أن نزيل كل ورم نكشفه » . إذن قد لا أستطيع أن ألومهما ، ولكننى أدرك الآن ما كان يمكن أن يفعله أو حتى يقترحاه بل وحتى قد يصران عليه لو أننى كنت الزوجة أو الابنة . فطالما أن هناك شكًا أيًا كان فى نوع الورم ، إذن كان عليهما أن يرسلانى إلى طبيب آخر لأخذ رأيه . وهذه الفكرة ليست جديدة ولا هى بدعة بل إن أمى نفسها كانت تقول لى دائمًا « خذى رأيًا آخر » .. ومرة أخرى أجدك على حق يا أمى ... .. !

كانت الآلة الطابعة فى الحجرة المجاورة تعمل بأقصى سرعة .. ونهضت إلى الحمام وابتلعت قرصًا آخر من الفاليوم وقلت لنفسى : إننى محظوظة على أية حال .. حتى وإن كان المرض يرقد فى جسدى منذ عام .. فإنه ظل فى مكان واحد على الأقل ولم ينتشر كان من الممكن أن ينتشر وأن يقتلنى ... ولماذا كلمة (كان) هذه ، إن الاحتمال لا يزال واردًا على أية حال ... ..

## الفصل الثاني عشر :

وهكذا كان خروجي من المستشفى فى يوم الأحد ، وكان يوم الاثنين هو يوم الموت والكتابة بالنسبة لى - وكان الثلاثاء أقل بأسا ولكن أكثر غضبًا . وفى يوم الأربعاء قررت الذهاب إلى حفل كوكبيل ...

كان الحفل فى منزل (جوانا سيمون) . وكنت قد طلبتها تليفونيا ذات مرة قبل الجراحة ولم تكن فى المنزل إذ كانت بالمستشفى تعالج من كسر فى الحوض .. وهى لم تتم شفاءها بعد ، ومع ذلك أرادت أن تقيم ذلك الحفل تعويضًا للأيام المملة التى قضتها بالمستشفى . وكنت أشعر برغبة قوية فى الذهاب إلى الحفل .. فبعد ثلاثة أيام من الشعور التام بالعض وبعد النقص الهائل فى عدد الزائرين وعدد باقات الزهور التى كنت أتلقاها .. ومع زوج فقد صبره تمامًا ، كنت فى غاية الشوق إلى الأيام الخوالى - أيامى بالمستشفى ولأننى لم أكن بالطبع أستطيع استعادة هذا الجو من جديد فقد شعرت أن حضورى الحفل قد يساعنى على الأقل فى استعادة حالتى الطبية التى كنت أبدو بها فى المستشفى ولو لساعات معدودة ... .

وبالفعل ... استقبلتنى صيحات الدهشة وعبارات الإعجاب ... واو ... أوه ! لقد تركت المستشفى من ثلاثة أيام فقط وهامى تحضر حفل كوكبيل .. ما أشجعها يالها من امرأة ... إن هذا بالضبط ما كنت أريد أن أسمع به بل كنت فى أشد الحاجة لسماعه . هناك أيضا شىء آخر .. لقد أردت أن أعرف بالضبط هل سأستطيع إخفاء آثار التلمير الذى حدث .. وأن أبدو حسنة المظهر من جديد .. || || ||

لقد استغرقت حوالى ساعة ونصف كى أستعد للحفل .. وضاع ثلث هذا الوقت فى البحث عن البلوزة المناسبة وأخيرًا وجدتها .. بلوزة واسعة بنجرجة كافية ، ولم يكن هناك فى الواقع عدد كبير أتقى من بينه ، إذ أن

معظم بلوزاتي ضيقة أيام كان صدرى جميلاً وكنت أحب أن أبرزه -  
لا شيء من هذا سيحدث بعد الآن - آه - لا داعى للنظر إلى الخلف على  
أية حال ولا داعى للنظر للأمام أيضاً ! ها - ها - ها - يالها من نكتة !!  
وكنت قد أعددت لهذه المناسبة صدرًا صناعيًا .. يالى من فتاة ذكية ..  
وسأصف لكن كيف فعلت ذلك : ارتديت أوسع سوتيان عندى وشبكته  
على أقصى اتساع ممكن حتى يمكن أن يحيط بالأرطة كلها ، ثم حشوته  
أولا بزوج من جوارب التنس الخاصة « بآثر » ، فبدأ صدرى ضخماً  
جداً فاستبدلتها بزوج من الشرايات النسائية ، فبدأ صغيراً جداً فأضفت  
اثنين آخرين من نفس هذه الشرايات ، فكانت النتيجة مدهشة عندئذ ذهبت  
إلى الحفل .

كنت أبدو مثيرة ... لا بأس ، لا بأس ، وكنت أيضاً أشعر بضعف  
فكنت أبدو مترنحة بعض الشيء لذلك ظن الحاضرون أننى قادمة لتوى من  
حفل كوكبيل آخر ، وأننى ربما أكون قد أسرفت فى الشراب ... ولكننى  
مع ذلك كنت أتكلم كثيراً وأضحك كثيراً ببلاهة فى بعض الأحيان ..  
وكنت أردد الكثير من كلمات الترحيب لكل من قابلنى .. ورددت الكثير  
من الكلمات أمثال : « أنا فى خير حال » إجابة لكل من كان يسألنى عن  
حالى ، ولكننى بينى وبين نفسى كنت أتساءل من منهم يعرف ، بل كم  
منهم يعرف حقيقة الأمر ويتظاهر بأنه لا يدرى .

ولكن ... من المؤكد أن الذين سألوني أين كنت ، وأنهم لم يرونى  
طوال الفترة الأخيرة .. هؤلاء بالتأكيد لا يعلمون قصتى لأنهم لو كانوا  
يعلمون ما كانوا سألوني هكذا بكل بساطة . وكانت إجابتى لهم أننى كنت  
مشغولة فى عمل التحقيق التلفزيونى الخاص بملمنى الخمر من شباب  
المراهقين ..

وبينما أنا أتحدث وأستمع لنفسى تنبهت فجأة إلى أن التى تتحدث هى أنا ، إنها الأنا القديمة ، « بتي » القديمة ذاتها هى التى تتكلم وليست فقط « بتي » مريضة المستشفى الشجاعة ، إنها أنا الأصلية ... هل هذا بسبب أن الذين تحدثوا إلى لم يعرفوا حكايتى ولم يروا شيئاً . أهذا كل ما هنالك ؟! وهل لأنهم يعتقدون أنى هى هى نفس الفتاة القديمة ، دون تغيير هل هذا يجعلنى أعتقد مثلهم أيضاً .. وتعبت من التفكير .. فتناولت شراباً .

وعلقت إحدى النساء قائلة لى : لقد صرت رشيقة .. وكانت تجاملنى بالطبع إذ كانت تود أن تقول إننى صرت نحيلة . وكدت أن أقول لها : عزيزتى ، لقد اكتشفت وصفة للتخصيس تنافس وصفة ريجيم الماء وتمارين النحافة معاً ! السرطان ! إنه وصفة مضمونة !! ! ولكننى لم أقل ذلك بالطبع بل كانت كلمة « شكرا » هى الكلمة الوحيدة التى نطقت بها .

وكنت قد تناولت الكثير من الشراب ، ولكن هذا لم يمنعنى من أن أدرك أننى قد اجتزت الامتحان .. هذا غير معقول .. لم يعرف أحد ، ولم يلاحظ أحد شيئاً من التغيير . كلهم كانوا يروننى رائعة ، رشيقة بل وجميلة أيضاً .. هكذا قال لى أحدهم .. وفى كل مرة أسمع فيها كلمة إعجاب ، كنت أهرع إلى الحمام وعلى أطراف أصابعى أحاول أن أتأمل نفسى فى مرآته ، من الأمام ومن الجانبين ، ثم أضع بعض البودرة على وجهى ثم أعود إلى الحفل استعداداً لجولة أخرى .

وعجبت من نفسى .. أليس هذا حديث امرأة ... ألسنت أنا امرأة يتوقف تقديرها لذاتها على شخصيتها أولاً أكثر من جاذبيتها أو مظهرها الخارجى !! !! إذن ما هذا الاهتمام بمظهري كأننى ، وما هذا الخوف الغريب من أن أكون قد فقدت جاذبتي كأننى !! ألم أكن أنا دائماً فوق

هذه الأمور !! وتأتيني الإجابة .. لا ، لست كذلك الآن ... وربما لا أكون كذلك في المستقبل أيضاً .. وكذلك الحال مع معظم النساء . قد تتظاهر بعض النساء بأنهن لا يبدن اهتماماً كبيراً بالمظهر ، وربما دربو أنفسهن على ذلك ، ولكن هذا يحدث لبعض الوقت فقط .

وأذكر أن إحدى زميلاتي قد كتبت مرة موضوعاً شيقاً في هذا المجال ، وذكرت فيه كم من الوقت والمال يضيع من أجل المحافظة على المظهر الخارجي .. ربما أكثر مما ينفق على سيارة أو حتى شقة .

ولم يكن هذا بالطبع ينطبق على كل النساء ولكنه كان ينطبق على كثير من النساء اللاتي نعرفهن - المتزوجات منهن وغير المتزوجات - في مدينة نيويورك . وكنت أعتقد أن اهتمام بعض النساء بمظهرهن ينقطع بعد الزواج ولكن هذا لا يحدث في أغلب الأحيان .. فالتفاهة والغرور مستمرين أبداً .

وأذكر حينما كنت في الصف السادس الدراسي أن أجروا مسابقة في نهاية العام لاختيار أذكى فتاة وأجمل فتاة . وانتخبت أنا كأذكى فتاة .. واختيرت زميلة لي اسمها « لورين » كأجمل فتاة . ورغم ذلك جاء ترتيبى الثانية واحتلت هي المرتبة الأولى وبكيت . وإذا نحن استعرضنا جميع النساء على اختلافهن ، فسنجد دائماً بداخل كل منهن امرأة تريد أن تكون جذابة . الفرق هو أن ليس هذا هو كل ما تريده .

وإذا أنا عدت من جديد إلى الصف السادس فسأكون أسعد حالاً لكونى أذكى فتاة مما كنت في ذلك الوقت .. وسأكون بالطبع أقل شقاء لأننى لست الأجمل .

معظم النساء اللاتي أعرفهن وصلن إلى نتيجة في هذا المجال وهى أن المرأة تريد أن تكون جذابة لأن هذا شئ بشرى إنسانى . ولم تعد المرأة

وحدها التي ترغب في المظهر الجذاب بل هناك الكثير من الرجال أيضا يرحبون بهذا الاتجاه في وقتنا الحاضر . الفرق هو أن الرجال والنساء اليوم يريدون أن يكونوا أذكي وأجمل في نفس الوقت ..

أما بالنسبة لي فإنني لازلت أشعر بأنني أعلى مقامًا حين أكون الأذكي ، أما بالنسبة للجزء الآخر - الجمال - فأنا الآن غير مؤهلة لهذه الصفة . رغم أن كل من بالحفل كانوا يرون أنني لازلت جميلة ، ولا بأس ، فقد نجحت وحصلت على جائزة حسن المنظر ... لا بأس أن تخدع الجميع ولكن لن تستطيع أبدًا أن تخدع نفسك .. فأنا وحدي التي تعرف مالذي تخفيه الملابس ... .

## الفصل الثالث عشر :

كان الدكتور « سنجرمان » قد نيهني إلى أنني سأظل أعانى عجزاً فى مقاومة العدوى بسبب استئصال الغدد الليمفاوية المقاومة للعدوى من الآن وطوال حياتى .. فكان لزاماً على أن أتخاشى التعرض لأية عدوى أو إصابة ذراعى الأيسر أو يدى اليسرى بأية جرح أو التهاب .. معنى ذلك أنه لم يعد بمقدورى أن أقص الجلد المحيط بأظافرى مثلما كنت أفعل .. وحين قلت للدكتور ( سنجرمان ) إن من عادتى أن أقضم أظافرى قال لى : « افعل ذلك مع يدك اليمنى ا » .

كذلك أعطانى الدكتور « سنجرمان » اثنين من التمارين لأؤديهما مرتين فى اليوم ، فى التمرين الأول كان على أن أواجه الحائط ، وأن أبعد عنها بمسافة ذراع ثم أمد ذراعى المجرّوح وأسير بأصابعى فوق الحائط حتى أتعب أو أصل إلى النقطة التى أشعر عندها بالألم . وعلى عندئذ أن أضح علامة على الحائط . وفى كل يوم ، على أن أحاول أن أسجل علامة أعلى من سابقتها فى كل مرة .. وفى البداية لم أستطع أن أرفع ذراعى لمسافة أكثر من أنفى ، ومع ذلك بعد أسبوعين فقط أمكنتنى أن أقف بمواجهة الحائط ، وذراعى على الحائط إلى أعلى تماماً . وفى التمرين الثانى ، كان على أن أفعل نفس الشئ ولكن بالجنب . أن أقف وجانبى الذى به الجراحة فى مواجهة الحائط ثم أرفع ذراعى على الحائط إلى أعلى مسافة ممكنة ولكننى كرهت هذا التمرين ، لأننى فى كل مرة كنت أؤديه أشعر بأن صدرى يكاد ينشق إلى نصفين .. وكان هذا شعوراً سخيلاً ومؤلماً معاً . وكنت أخشى هذا التمرين كثيراً .

ولم يكن هذا هو الشئ الوحيد الذى كنت أخشى منه .. فلقد كنت أيضاً أخشى الذهاب إلى السرير .. فلم أكن أستطيع أن أشعر بالراحة فى

السريـر ، بمعـنى أننى لم أكن أستطيع النوم . حتى لو أخذت قرصاً من الفاليوم . ولم يكن ذلك بسبب شدة الألم ولكن بسبب التهاب يمنعنى من النوم على وجهى ، أو على جانبى الأيسر وهما الوضعان الوحيدان اللذان اعتدت النوم عليهما . فالنوم على الجانب الأيمن لم يكن يريحنى أيضاً . لأن معنى ذلك أن ذراعى الأيسر ستستريح على جانبى الأيسر . ولكى أحتـمـل هـذا الوضـع كان لا بد من وجود مخددة صغيرة تحت ذراعى ، ولكنها كانت مزعجة وغير مريحة أيضاً . ولذلك كنت أفضل النوم على ظهـرى مما جعلنى أشعر بأننى جثة . والعجيب أن كل هذه الأمور الثانوية لم تكن لتزعجنى أثناء وجودى بالمستشفى !! ولكن ، فى المستشفى لم يكن يزعجنى أى شىء على الإطلاق .

ولقد كان هناك سبب آخر لخوفى من الذهاب إلى السريـر ، وهو أننى كنت أخشى الجنس وكنت أقول « لآرثر » متعللة : ليس ذلك بسبب عيب فىك ، إنما العيب فى أنا . فكان يجيب « لا بأس ، كما تشائين » أو يقول : « أوكى ، كما ترغين » ... ولكنى أوكد أنه لم يكن « أوكى » أبداً . وكنت أتابع حديثى له قائلة وأنا أعطيه ظهـرى « هذا الحال لن يستمر طويلاً كما تعلم ! » ولكنى كنت أعرف أنه كان يعتقد أن هذا الوضع قد يستمر فعلاً ... والحق أننى نفسى لم أكن متأكدة أن هذا سيكون وضعاً مؤقتاً . لقد كان من الجائز ألا يرغبنى (آرثر) بعد ذلك ، ولكننى لم أواجه هذا النوع من المشاكل الجنسية التى قد ينشأ فى مثل هذه الحالات والتى قرأت وسمعت عنها كثيراً ... فأنا لست قلقة لأن زوجى لم يعد يجلدنى جذابة بقدر كاف .. بل إنه يجلدنى كذلك فعلاً ويرغبنى أيضاً .. الشىء العجيب هو أننى أنا التى لا ترغب فيه .

هو لا يزال يرانى جذابة ، لا بأس ، ولكننى لا أرى نفسى كذلك ، أنا الآن بضاعة تالفة وأنا أعلم ذلك جيداً . لقد تجلت لى هذه الحقيقة

كما تجلت لى أشياء أخرى مثل حقيقة أن هناك تحت هذه الأربطة الشاشية الناصعة البياض يوجد شيء قبيح للغاية . شيء مشوه وأنا صرت إنسانة مشوهة .. ويكفى أن يكون المرء مشوهاً ليكف عن الرغبة فى الجنس ويزهده فيه . ولقد كنت أعتقد دائماً أن الشعور بالجنس له علاقة كبيرة بالشعور بالجمال أو على الأقل الكمال . لقد انتهت الآن كل هذه المشاعر النرجسية ..لقد انفجر (الفيون) ومعه انطفأت الرغبة فى الجنس بالنسبة لى ..فأنا الآن فى حالة ظلام وجفاف . لم أعد أشعر بأنى جميلة أو جذابة وببساطة شديدة لم أعد أستطيع أن أحب .

سبب ثالث لمخاوفى من السرير هو .. الأحلام .. أحلام سيئة مثل تلك الأحلام الثلاثة التى رأيتها على مدى ثلاث ليال متعاقبة .

**الحلم الأول :** طيب صغير السن وسيم ، كان يفحصنى ويتحسس صدرى ثم يحرك يده إلى الجانب الآخر ثم يترك يده فى المسافة ما بين الثديين ، وينظر إلى ولا يقول شيئاً .. ولكن نظرتة كانت رقيقة حانية وينسى يده فى ذلك المكان ويظل ينظر إلى بهذه الطريقة .. ولكننى لا أستطيع الاستمرار على هذا الوضع ، فأنهض كى أنصرف وأنا أعلم أننى لن أراه ثانية ..

**الحلم الثانى :** أرى نفسى وأنا طفلة صغيرة وقد فقدت ذراعى ، وكان على أن أضع بدلاً منه شيئاً كالذراع مصنوع من البلاستيك الوردى مثل ذراع الدمية ولكن ذراع الدمية لها أصابع ولم يكن لهذا الذراع أية أصابع ..فكان على أن أضع خطأً مخيفاً .. أفزعنى منظره فأخذت أبكى .. وأتحبب ... وأيقظنى بكائى المرتفع .

**الحلم الثالث :** أنا فى قطار ، وهناك عربة نادى فوق القطار ممتلئة برجال يرتدون بدلاً كاملة وهناك بانو حوله ستارة ولكن يمكن للمرء أن يرى

من خلال المسافات بين أجزاء الستارة . وكنت أريد أن آخذ حمامًا ، وكنت أعرف أن الرجال الموجودين قد يمكنهم رؤيتي فى هذا البانيو ولكننى صممت على أن آخذ حمامًا ، رغم كل شيء ، ويبدو أننى كنت أرغب فى أن يروننى .. كنت أريدهم أن يروا أجمل جزء فى جسمى وهو الجزء الذى يظهر من البانيو أثناء الاستحمام ... ولكن كانت هناك ترتيبات .. كان يجب أن أقول للحارس أولاً .. وكنت أريد بعض الأشياء مثل لوفة للاستحمام وكاب للرأس .. وكانت هناك أيضا عقبات غامضة لا أذكر ما هى ... ثم فجأة بدا كل شيء واضحًا .. ووجدت اللوفة وكل شيء فى مكانه تمامًا ولكننى ترددت بعد ذلك ولم آخذ حمامًا ولم أستحم . كان هناك شيء ينعنى من أن أستحم لم أكن أستطيع تحديده ثم فجأة تذكرت ما حدث لى .. وتذكرت أنه ليس هناك شيء يستحق المشاهدة فنبذت فكرة الاستحمام .

وعدت من جديد إلى طبيى النفسانى السابق دكتور (رومفيلد) الذى ساعدنى على الشعور بالتحسن من ناحية الجنس وشرح لى الأمر بهذه الطريقة :

- إنك فى حالة حداد .. لقد حدثت حالة وفاة فى جسدى ..  
يا إلهى !! ما أروع هذا التعبير ... وفاة فى الجسد .. إن « لرومفيلد »  
ألطف طريقة لوصف أبعث الأشياء .. إن هذا الرجل يعطى بعدًا وعمقًا  
لمشاكل المرء اللنيوية .

وكان غريبًا وجردى عنده .. فلقد شعرت أننى تلميذ سابق يعود إلى أستاذه القديم .. وبسبب حالتى الجديدة فلقد سمح لى بأن أجلس على كرسى مثله وفى مواجهته .. وأتحدث إليه وأنا أنظر فى عينيه بدلاً من التحدث إلى السقف أو إلى إحدى الصور المعلقة - كما هى العادة - وحين كنت أشعر برهبة التحدث فى عينيه ، كنت أهرب بعينى إلى السماء من خلال

النافذة وأنظر إلى قمم الأشجار المخضرة بينما أنا مستمرة في الحديث .. وكان حديثي نصفه للأشجار ونصفه له ... تحدثنا عن أشياء كثيرة : عن زواجي .. عن أمي .. عن ماضى .. عن عذاباتي القديمة .. والحديثة .

وكنت قد نسيت نعمة أن يلقي الإنسان بكل ما فى جوفه دون أن يخشى عاقبة ذلك . أو يهتم بدناءة هذا الفعل حين يتلقاه شخص آخر بالكثير من رباطة الجأش واللباقة . إن التحليل النفسى لم يعد نمطياً كما كان .. وأيضاً لم يعد بإمكان أى شخص أن يجد المال اللازم له .. بل إننى أشعر تجاه التحليل النفسى كما يشعر الناس تجاه الأشياء الترفيهية الأخرى فى الأيام الخوالى .. ولقد كنت حقاً أشعر بالسعادة والرضا لأن باستطاعتى أن أحصل على هذا النوع من الرفاهية حين أريده .

إن التحليل النفسى يجعلنى أكثر سعادة بل أكثر ذكاء وإدراكاً .. كما أن الصراحة والأمانة تجعل الأمور أكثر سهولة وبساطة . فإذا أتى التحليل النفسى بنتيجة طيبة فإنك ستدركين أن الأشياء الفظيعة التى تشعرين بها تجاه نفسك ، ليست بهذه الدرجة من الفظاعة .. على الأقل ستكتشفين أنك لست الوحيدة فى هذا المضمار .. وأن هناك كثيرين فى هذا العالم مثلك .. عندئذ ستتحسن فكرتك عن نفسك بعض الشيء بل من الممكن أن تحبى نفسك أيضاً مما سيأتى فى المقابل بنتيجة طيبة ، فستصبحين أقل سوءاً وأقل كذباً .. لأنه كلما أحببت نفسك أكثر ، كلما أصبحت أكثر صراحة معها ، وأقل إخفاءً لحقيقة نفسك ..

وغير التحليل النفسى ، هناك نوع آخر من العون يقدم للنساء اللاتى أجريت لهن جراحة استئصال الثدي بسبب السرطان . إذ تمول (الجمعية الأمريكية للسرطان) برنامجاً يسمى (أحصلى على الشفاء) . وقد بدأت امرأة تدعى (تيريز لاسر) وهى نفسها قد أجريت لها مثل هذه الجراحة فى

عام ١٩٥٢ . وقد انتشرت نفسها من حالة اكتئاب حادة وقررت أن تساعد النساء الأخريات ممن مررن بنفس ظروفها - ويوجد الآن أكثر من ألفي متطوعة في هذه الجمعية معظمهن مررن بنفس التجربة الأليمة - وهن يبذلن أقصى الجهد لمساعدة المستجديات في هذا المجال . فهن يزرن النساء في المستشفى عقب إجراء الجراحة مباشرة ويقدمن لهن العون اللازم ابتداء من بث الثقة في أنفسهن وتوضيح أنهن قد مررن بنفس التجربة وأنهن الآن كما يرين على ما يران ، وانتهاء بالمساعدة العملية وإعطائهن المعلومات الخاصة بالتمرينات اللازمة لهن وأيضاً عن الملابس التي تصلح لهن .

لا شك أنها تبدو فكرة رائعة .. ، ومع ذلك فقد قررت أنا شخصياً ألا أقابل أية واحدة منهن .. لقد أخذت الفكرة شكل المتدى بالنسبة لى .. ولم أكن أبداً عضوة فى أى ناد ولم أكن لأبدأ أبداً بعضوية نادى السرطان ... فى الواقع .. لم تكن لدى أية رغبة فى رؤية شخص آخر مثلى ... إلى جانب أننى لست فى حاجة إليهن .. فلدى الدكتور (رومفيلد) ولدى أيضاً التليفون .

وخلال هذا الأسبوع الذى قضيته بالمنزل ، كانت حالتى النفسية تتأرجح ما بين الارتفاع والانخفاض وإن كان التأرجح فى معظم الأحيان إلى أسفل .. ولم أكن أعرف طريقة أتعامل بها مع الحالات السفلية سوى أن أتكلم وأتكلم وأحياناً ، أكتب .. وكان هناك المزيد من الأشخاص الذين علموا بقصتى .. أى أن هناك المزيد من الآذان لتسمعنى . وحين تحسنت حالتى إلى حد ما وشعرت ببعض القوة نوعاً بادررت بدعوة عدد من الأصدقاء إلى الغداء . وكان أى شخص يأتى للغداء يدفع مقابل ذلك ثمناً غالباً . ففى مقابل سندوتش واحد من سمك التونة ، كان عليه أن يستمع لقصة (بتي وثديها) ولمدة ساعة كاملة . وكنت أحياناً أجلسنى وقد عدت إلى طبيعتى الشجاعة وأنطق بكلمة السرطان بكل بساطة بل وأرددها كثيراً . كما لو كنت أبصق

بها خارج نفسى .. ولقد كان ذلك صعباً على بعض الناس ، وكنت أدرك ذلك ، فليس الأطباء وحدهم هم الذين يفضلون استعمال كلمة (خبيث) أو غيرها بدلاً من تلك الكلمة الكريهة . وكنت أستعمل أيضاً كلمة استئصال الثدي أثناء حديثي ، واكتشفت أن الناس أيضاً يكرهونها مثلما يكرهون كلمة السرطان ، ربما لأنها موحية جداً وتصف ما حدث بالضبط .. ومن ذا الذى يريد أن يستمع لمثل هذه الكلمات خصوصاً وهو يتناول سندوتشا من التونة . ولكنى لم أكن أدري لماذا ظللت أردد هذه الكلمات مرات ومرات وكأنما أتقيؤها .. ربما كنت أظن أنه بمواصلة ترديد هذه الكلمات الكريهة فإننى أتخلص منها وبالتالي أشعر بالتحسن . ولكن فى الواقع كانت حالتى تسوء ولا تتحسن .

مع الكلمات ، كنت كبيرة وشجاعة .. ولم أكن أريد أن أفعل شيئاً مع الواقع الموجود فى هذا الجزء من جسمى .. فلقد كنت أشبه ما يكون بواحد من هؤلاء الحكوميين من أنصار الرعاية الاجتماعية الذى لا يطبق رؤية منظر أحد الفقراء .

فى الأيام الأولى ، لم تكن أربطى هى مجرد شاشة تحجب المنطقة المنكوبة ، بل كانت أيضاً وإلى حد ما بمثابة ثدى صناعى . فلقد كان الرباط كأنه بطانة أو حشو وكانت بارزة للخارج إلى حد ما فبذلك قلت من الفرق فى البروز بين الناحيتين . الجانب الذى به ثدى صغير والجانب الذى ليس به شئ بالمره . وكنت أتخاشى النظر إلى نفسى كثيراً . فلقد كنت أرتدى ملابسى وأخلعها بسرعة وعينائى مثبتتين للأمام . ووجهى بعيد عن المرأة . ولكن مع الاستحمام فالأمر يختلف لأن معناه أن أتعرى تماماً على الأقل لمدة خمس دقائق . ولكنى لم أكن أخفى نفسى داخل المياه ، لأننى كنت أستطيع أن أستحم فقط من عند الوسط حتى أسفل الجسم حتى لا تبتل الأربطة . ولكن كانت هناك لحظات كان لا بد فيها

أن أنظر لأسفل كي أغسل حول الأربطة . ولكنني أيضا توصلت إلى طريقة للقيام بهذا العمل . فلقد أوحيت لنفسى أنني ممرضة وأن الجسد الذى أنظفه ليس جسدى بل هو جسد شخص آخر .. وبهذا استطعت أن أقوم بهذا العمل بكفاءة وكأني أودى عملاً .

وكان هناك سبب لتطلى إلى موعد دكتور « سنجرمان » والمواعيد التالية له وذلك بعد أربعة أيام فقط من خروجي من المستشفى . كان السبب أن لديه ممرضة حقيقية هناك ، وأنتى سأرقد على سرير الفحص وأعود مريضة من جديد . ولقد كان (آرثر) وأمى يقومان بالتناوب بتمريضى فى المنزل فى الأيام القليلة الأولى . ولكن الأمر ليس كذلك ، ليس نفس الشيء ... لقد كنت أريد عناية خاصة من أيدي مدربة محترفة .. كنت أريد أن يتعامل معى أناس يشعروننى بأننى مجرد حالة روتينية .. حالة عادية .. أناس اعتادوا على رؤية حالات مثل حالتى وأجساد مثل جسدى .

ولم تكن الممرضة هى التى ترعانى فقط خلال زيارتى الأولى لعيادة دكتور « سنجرمان » بل كان هو نفسه يتناوب معها رعايتى . وفجأة انتابتنى مشاعر جديدة تجاه دكتور « سنجرمان » - تُعد مشاعرى تجاه « ديفيد » وأنا فى المستشفى إذا قيست بالنسبة لها ، أفلاطونية تماما - واعتقدت أنني لم ألاحظ تلك المشاعر تجاهه من قبل لأننى كنت مكتئبة .. وتذكرت عمره ... فهو فى الثالثة والستين (فقد بحثت عنه فى الدليل الطبى) ، وتأملت ظهره المنحنى ، كم هو أتيق ، وغامض .. بل أنه لغز . كنت أرى أنه رجل يشعر بأكثر مما يُظهر .. ومن ضمن ما يخفيه من مشاعر عاطفته نحوى .. ليست فقط مشاعر بل أنتى تماديت فى خيالى وتصورت أنه أيضاً يرغبنى .. ولكن لم أتخيل أن ما يريد هو أو أريده أنا هو الجنس فقط .. فأنا فتاة فى الخمسينيات وخيالاتى الجنسية فى أذناها .. فى القاع .

وسرحت فى خيالى ولكننى لم أتجاهل زوجته بالطبع ، بل كنت أتخيلها

عجوزاً شمطاء ترتدى ملابس تقليدية ، جافة المشاعر بدرجة لا تجعلها تهتم إذا أخذت منها زوجها ... أما أولاده فلا بد أنهم كبار مستقلون ولا يهتمون أيضاً . وربما كان هذا تبريراً لأى ذنب قد يرتكبه فى حقهم مستقبلاً ...

لماذا كل هذه المشاعر والخيالات تجاه جراحى العجوز دكتور « سنجرمان » !! ؟؟ ربما لأنه خلال تلك الأسابيع كان هو الرجل الوحيد الذى كنت أشعر معه بأنى جميلة .. فلقد اعتاد منظر صدرى . إنه هو الذى صنع هذا التشويه بنفسه . وفى ضيعته الكبيرة من النساء ذوات الثدي الواحد اللاتى أعتقد أنهن أكبر سناً منى ، وأقل حسناً ، كنت أشعر بنفسى إلهة للجمال بالنسبة لهن . ولقد كنت أتصور نفسى أجملهن فعلاً .. « فرويد » يسمى هذا الشعور بالترجسية .. ومهما تكن التسمية فإن هذا الشعور كان يملكنى بالفعل ..

كان من الواضح أننى أريد أن أشعر بأننى لازلت جميلة وجذابة ، والرجل الوحيد الذى جعلنى أشعر بذلك هو ذلك العجوز (سنجرمان) ليس بسبب أنه أتى بأى تصرف يشعرنى بذلك وإنما بسبب جنونى وخيالى المريض . وأيضاً كنت أريد أن أشعر بأننى لازلت جميلة وجذابة من أجل زوجى المسكين فلقد كنت معه جافة كقرعة مجوفة مجففة ...

## الفصل الرابع عشر :

وفي ليلة سبت أخرى ، انتزعت نفسي لكى ألبى مناسبة اجتماعية أخرى وارتديت نفس (السوتيان) الذى ارتديته فى الحفل السابق ، ووضعت بداخله نفس زوج الشرايات ، وارتديت نفس البلوزة الفضفاضة وذهبت مع (آرثر) إلى حفل عشاء فى إحدى ضواحي المدينة .

لقد كان شيئاً فظيماً حين فتحت لنا مضيفتنا (مارى كليفدج) الباب ووقعت عيناي أول ما وقعت على صدرها الممتلئ الضخم ، وانقلبت الأسمية إلى مرارة على الفور .

لقد كان العشاء جيداً وقد قضيت وقتاً ممتعاً أتحدث مع بعض الضيوف ، ولكن عيناي كانتا تعودان للنظر إلى صدر « ماري » مهما كان الشخص الذى أتحدث معه . والشئ المضحك هو أن « ماري » كانت قصيرة نوعاً بالنسبة لضخامة صدرها وحتى عندما كنت فى الثالثة عشر من عمري لم أكن أتمنى أبداً أن يكون لى ثديان بهذا الحجم .. ولكنى أريدهما الآن .. وكنت كلما أمعنت النظر إلى صدر « ماري » كلما شعرت بالمرارة ولكنى لم أستطع أن أتوقف عن النظر .

لم يكن هناك شخص واحد فى هذه المجموعة يعلم بما حدث لى .. تماماً مثل حفلة « جوانا » . ولقد أعجبنى ذلك كثيراً حينما كنت فى حفلة (جوانا) ولكن هذه المرة شعرت بأننى وحدى مع سر رهيب . وللحظة فكرت أن أفشى السر لأحد ، لأى أحد ولكن لم يكن المجال مناسباً . فلقد كانت السهرة لثمانية أفراد فقط من النوع الذى تغلب عليه الدردشة العامة ، ولم تكن هناك أية فرصة للحديث عن أشياء مثل استئصال الثدي أو حتى ذكر الثدي ... ولذا صرفت النظر عن إفشاء السر واستسلمت للشعور بالمرارة بداخلي والتهمت كمية كبيرة من الدجاج وشربت الكثير من النبيذ الأبيض .

ثم .. بعد أمستين أخرتين حضر (لارى) و (جوديث) وهما من ضمن الأصدقاء الذين عرفوا قصتى - وقضيا معنا وقتاً رائعاً .

وحيثما حان موعدى التالى مع الدكتور (سنجرمان) فى الخميس التالى ، كنت فى حالة معنوية لا بأس بها .. وزاد ترقبى للموعد حالتى المعنوية تحسناً .. وكانت أمى فى انتظارى فى عيادة الدكتور « سنجرمان » ، وكنت قد اتفقت معها على اللقاء هناك .. وجلسنا معاً فى حجرة الانتظار ، وبينما نحن نتحدث لاحظت وجود امرأتين جالستين هناك إحداها فى الخمسين ولها نظرة لطيفة وأنف كبير .. أما المرأة الأخرى فكانت فى حوالى الخامسة والعشرين ولها نفس الأنف المعقوف ، وكان واضحاً أنها ابنة المرأة الأولى .. وكانتنا تجلسان فى هدوء وصمت .. إلا من بعض التهنيدات التى تصدر من الأم من وقت لآخر .. ولم تصدر منها أية حركة أو صوت آخر . وكان واضحاً أنهما مشغولتان تفكران بأمر خطير .

وبعد دقائق قليلة ، نهضت لأسأل موظفة الاستقبال عن موعد دخولى للطبيب ، فأجابتنى بأن دورى هو التالى مباشرة موضحة لى بأن السيدة الصغيرة الأخرى تأتى لأول مرة ومعنى هذا أنها ستستغرق وقتاً طويلاً مع الطبيب ، ولذلك رأى الطبيب أن يراتى أولاً بدلاً من أن أنتظر فترة طويلة حتى ينتهى من فحصها إذا ما دخلت هى أولاً . فشكرتها ، وجلست فى مكائى ونظرت من جديد إلى الفتاة وأمها ، ولاحظت كم هى نحيفة . وكان يبدو أنها تفقد وزنها من فزع واقع عليها .

ولقد قلت لأمى فيما بعد ونحن نتناول الشاى فى أحد المحلات بعد خروجنا من عند « سنجرمان » إننا لو قارنا حالى أنا وأمى بحال هاتين السيدتين اللتين لا تعرفان ماذا هناك بالضبط بل يشكان فى وجود هذا الشىء الفظيع وجاءتا للتأكد من وجوده أو عدمه مسجداً أننا كنا الأكثر مرحاً والأكثر حديثاً رغم علمنا بوجود هذا الشىء الفظيع بالفعل .

واستمعت إلى أمي جيداً ثم قالت بحكمتها المعهودة :

- إنه الخوف يا عزيزتي ، وهو أسوأ ما في الأمر !

ثم نادتنى الممرضة إلى حجرة الفحص فنهضت وعدلت من ثيابي ، واتجهت إلى حجرة الفحص لقد كانت هذه الزيارة مثل الزيارة السابقة - تغيير الأربطة - وشرح لدرس جديد في التمرينات الرياضية ثم حدث شيء آخر جديد يتعلق بخوفى من حلاقة الشعر الموجود تحت ذراعى الأيسر . لقد كنت أخشى التلوث والالتهابات رغم أن (سنجرمان) كان قد قال لى إنه يمكننى إزالة الشعر ولكن مع الحرص . ولكننى لم أستطع أن أفعل ذلك ، رغم أننى قد قمت بحلاقة الإبطن الأيمن وحين بدأت فى حلاقة الإبطن الأيسر شعرت بقشعريرة شديدة ولم أستطع القيام بهذا العمل .. فإن رؤية حد الشفرة على بشرة ذراعى من الناحية المصابة ومع عدم شعورى بأى إحساس فى تلك المنطقة أصابنى بالخوف الشديد .

وفى هذه المرة ، حين لاحظ « سنجرمان » أن الشعر لا يزال فى مكانه سألتنى :

- ما هذا ؟ وأجبتة :

- كما ترى ، شعر تحت الإبطن ، ماذا تظنه . !

ثم تداركت بسرعة وبلهجة لطيفة شرحت له السبب الذى منعى من زواله . عند ذلك تنهد وقال للممرضة :

- هل يوجد شفرة هنا ؟ فأجابت بلا مبالاة :

- سأبحث عن واحدة . فقلت :

- يلهى ! ليس معقولاً أن تقوم بهذا العمل نيابة عنى .

فأجاب وهو يتسم نصف ابتسامة :

- إننى لم أؤد أفضل أعمالى اليوم بعد .

وناولته المرصبة شفرة عتيقة وهي غير مقتنعة بما ينوى أن يفعله . وبرقة شديدة رفع « سنجرمان » ذراعى لأعلى ونثر الصابون ثم بخفة وتركيز شديدتين أخذ يخلق لى . وأغمضت عينيّ ولم أنطق بكلمة بينما هو مستمرسل فى عمله بكل دقة وثقة وعناية .

\*\*\*

إن زوج الشرابات لم يعد يعمل جيداً ، فالشرابات ليس لها ثقل أو وزن بينما الثدى له وزن ، لذلك فقد كنت دائماً فى قلق من ناحيتها . فإذا رفعت ذراعى مثلاً - وهو ما أستطيع أن أفعله الآن - فإن هذه الأشياء التى لا وزن لها ترتفع لأعلى ويبدو منظر الثدى مضحكاً ولهذا قررت الذهاب لإلقاء نظرة على محل أشار على به « سنجرمان » حيث يبيعون مثل هذه الأشياء الصناعية (ثدى صناعى) وهم يطلقون عليه اسماً لطيفاً من مقطعين هو « برويسيز » .

واتضح أن هذا المحل يقع فى مبنى إدارى للمكاتب ولقد بدأت امرأة كانت تعانى من نفس المشكلة . وأحسست بمعدتى تتقلص وأنا أصعد الأسانسير . فلقد خيل لى فجأة أننى ذاهبة لرؤية أحد مشاهد الرعب . وبمجرد أن دخلت رأيت امرأة فى مثل سننى تجرب لباساً للبحر وتقف على أطراف أصابعها وهى تريبه لرجل - زوجها على ما أظن - ولم يكن يبدو أنه لباس للبحر (مايوه) ذلك لأنه يرتفع حتى يصل إلى الرقبة وله أحكام أيضاً . يا إلهى اهل يجب على أن أرتدى مثل هذا الشيء إذا أردت النزول إلى المياه !! لا أعتقد ، لأننى لازلت أمتلك صدرًا - أقصد عضلات صدر - فليس هناك داعى لأن أعطى كل هذا الجزء من جسمى وإنما فقط الجزء الذى كان به الثدى .

ونظرت إلى المرأة التى تجرب المايوه ، كانت تبسم وتستدير هنا وهناك

تطلب رأى زوجها وموافقته . وكان هو يجلس على أحد الكراسى وهو يضع حقيبة يدها فى حجره .. قد يبدو هذا المنظر طبيعياً خارج إحدى حجرات الملابس فى المحلات العادية .. وفى الحقيقة كان المحل يبدو عادياً مثل تلك المحلات الصغيرة التى تديرها النساء عادة فى الشوارع الرئيسية بالمدينة الصغيرة . كان هناك العديد من الملابس وقمصان النوم والمايوهات ، ولكن كان معظم المايوهات غريباً وشاذاً وكان أعلاها مغطى دائماً . وكان هناك العديد من الأرفف الممتلئة بعلب بيضاء ، من النوع الذى يحتوى على الملابس الداخلية أو الكورسيهات (المشدات الخاصة بالسيدات) ولم يكن واضحاً بالمرّة ما تحويه هذه العلب . وكانت هناك بائعتان مشغولتان فى الطرف الآخر من المحل ، فانتهزت الفرصة واختلست النظر داخل إحدى هذه العلب . فلمحت كمنة مستديرة وردية اللون حوالى ست بوصات عرض وأربع بوصات ارتفاع و ٣ بوصات عمق لقد كان ثدياً . وأغلقت الصندوق بسرعة .

وأخيراً جاءتنى إحدى البائعات وأخبرتني أن هذا وقت مبكر جداً بعد العملية لاقتناء أحد هذه الأشياء التى بداخل الصندوق . ولم أطلب أن أراه ثانية !! |

وأعطتنى البائعة شيئاً آخر مؤقتاً بأربعة دولارات . مصنوع من الداكرون ويبدو مثل القطن بغطاء من النايلون من نفس لون الجسم . وأخذته وخرجت من هناك بسرعة .

تلك كانت أولى جولاتي فى أرض العجائب ... ومضى شهر كامل قبل أن تواتبنى الجرأة للذهاب هناك مرة ثانية .

## الفصل الخامس عشر :

وفى يوم الاثنين الثانى والعشرين من أبريل وكانت قد مرت ثمانية أيام على خروجى من المستشفى ، وقد عدت إلى العمل .. أو من الواجب أن أقول : إننى قد عدت إلى المكتب . ولم يكلفنى أحد بأى عمل أو يطلب منى الذهاب لتغطية أية أخبار أو أحداث أو حتى الذهاب إلى أية مؤتمرات صحفية . كانوا جميعا يعتقدون بل ويقولون : إننى مجنونة بالفعل أن أعود إلى المكتب بهذه السرعة .. ولقد كنت كذلك بالفعل ... فصدرى كان لا يزال يؤلمنى وذراعى أيضاً وكنت لأزال فى الأريطة ولم أكن بالطبع خفيفة الحركة . وجلست على مكيتى كالتائهة منحية الظهر ، والناس تسير حولى ومن فوقى وهم يقولون عني : دعوها تجلس هناك ، فإنها لن تزجج أحداً ...

لقد فكرت فى الأمر بشكل آخر ، تصورت أتنى إذا عدت إلى حياتى العادية فإننى ولاشك سأشعر بأتنى إنسانة عادية وطبيعية . ولقد حاولت أن أفعل شيئاً .. مثل العبث بأحد الأقلام أو إلقاء نظرة على موضوع مدمنى الكحول من المراهقين .. وكان حوالى أربعة مخرجين قد تناوبوا العمل بهذا الفيلم أثناء غيابى .. أى أنه لابد قد عمِل له المونتاج بأربعة طرق مختلفة .. وكان رئيس التحرير قد أصابه الملل من هذا الفيلم ، فقد كان فى حالة فوضى تامة ولقد سمعت أنه أذيع فى الصيف ولكننى لم أشاهده أبداً .

إن العودة إلى العمل لم تفدنى كثيراً . أولاً ، لأننى لم أشعر بأتنى قد عدت إلى طبيعتى الأولى كما كنت أتصور .. لقد شعرت بأتنى غريبة كما شعرت بالإرهاق .. ولقد ضايقتنى كثيراً ذلك الشعور السريع بالتعب ، كما أصابنى الشعور بالغربة والكتابة ..

وفى مكان مثل وكالة أنباء إن . بى . سى . حيث يطير الناس بصفة مستمرة إلى أنحاء العالم وراء الأخبار ، ولفترات غير محدودة ، فإن غياب أسبوعين عن المكان شىء من الصعب ملاحظته ولذلك لم يفتقدنى أحد ، بل إن معظمهم لم يكن يعرف قصتى إلا بأس ! ولكنى لم أكن أعرف بالتحديد من منهم يعرف ومن الذى لا يعرف .. وقد سبب لى هذا شعورًا بعدم الارتياح . أما الزملاء الذين يعملون معى فى نفس المكتب وهم رئيس المكتب وثلاثة مراسلين آخرين وثلاثة مخرجين ومدير أخبار وسكرتيرة - وهم من ضمن الذين أرسلوا لى زهورًا وبطاقات ، لذلك كنت أعرف أنهم يعلمون كل شىء .. وفى أول أيام عودتى استقبلونى بحرارة وبقبلات ودودة ، وضغوطات حلوة على اليد . وكلها أشياء سرتنى وهزتنى كثيرًا .. ولكن كان رد الفعل عندى هو الشعور بالحزن والكآبة . فعلى الرغم من أننى كنت أرتاح للشفقة التى كان يظهرها الآخرون نحوى ، إلا أن مشهد الشفقة الجماعية التى أظهروها نحوى أصابنى بتلك الكآبة .. جزء من هذه الكآبة ، كان بسبب التناقض الذى وجدت نفسى فيه وأنا أقارن حالتى الراهنة بحالى فى السابق . فلم أكن فى حياتى موضع شفقة من أحد ، ذلك أنه حتى قبل العملية مباشرة كان مستقبلى مزدهرًا وخطواتى واثقة ، فلم يكن باستطاعة أحد أن يرسلنى إلى أى مكان لتغطية أى خبر .. أو يرسلنى مثلاً إلى واشنطن لتغطية أخبار البيت الأبيض .. ولم أكن أحب أن أذهب لتغطية مثل هذا النوع من الأخبار . فلقد كنت دائماً أحب أن أفعل ما أريد . وخلافاً للأحداث الإخبارية الجارية كنت أفضل أن أقدم موضوعات طويلة عن اتجاهات جديدة .. وكانت كلها موضوعات جيدة فى الغالب .

والى جانب اجتهادى فى عملى ، كانت هناك صورتى الحسنة فى أعين الآخرين .. فعلى الرغم أننى لم أكن سعيدة تماماً إلا أننى كنت دائماً متفائلة

ومبتهجة .. وكان هذا واضحًا للجميع . بالطبع كان هناك الكثير من الأسباب التي تجعلني متفائلة ومقبلة على الحياة . وكان الآخرون أيضا يعرفون ذلك .. فكانوا كثيرًا ما يشيرون إلى حسن طالعي ... وفجأة يتحدثون الآن عن سوء طالعي .. لقد كان شيئًا غريبًا بالنسبة لي وغير مقبول أيضا .

ومع الذين يعرفون الأمر ، كنت أحاول أن آخذ الجانب المضحك منه وأحكى لهم مثلًا رحلتي العجيبة في دنيا الصدور الصناعية .. وتلك الأشياء التي وجدتها بداخل تلك العلب !!

وكانوا يضحكون ولكنه الضحك الممتزج بالأسى .. وكان ذلك يشعرني بالأسى أيضًا . وغير ذلك ، كان كل شخص آخر يبدو لي نشيطًا وممتلئًا بالحياة .. إلا أنا !!

وفي الأسبوع الثاني من عودتي للعمل ، كان معي موعد مع دكتور « سنجرمان » كنت أخشاه تمامًا . فلقد كان من المقرر في ذلك اليوم أن أفك الأربطة . ولقد كنت قد أجلت هذا الموعد للمرة الثانية حتى لا يتداخل مع التزامات العمل التي لا أؤديها . وحاولت ألا أفكر في هذا الموعد أثناء اليوم ، ونجحت في ذلك تقريبًا ولكن قبل الموعد بحوالي ساعة وفي حوالي الساعة الخامسة كنت في حالة من القلق كافية لأن أبتلع قرصًا مهدئًا ، ولقد كان أول قرص أتناوله خلال عدة أيام .

وحين كنت أغادر مكنتي ، اسودت السماء وأخذت ترعد ، وأخذت تاكسيا ووصلت في الميعاد إلى المبنى الذي به عيادة الدكتور « سنجرمان » . وكانت السماء تمطر بغزارة ، وكانت أمي قد اقترحت أن تقابلني هي وأمي هناك على أن يوصلاني بعد ذلك إلى المنزل . ووافقت على ذلك وحين وصلت إلى هناك وجدتهما في حجرة الانتظار . ولم يكن هناك غيرهما واستدعيت إلى مكتب (سنجرمان) في الحال .

وخلعت بلوزتي كالمعتاد وارتديت واحداً من القمصان الورقية وجلست هناك للحظة وقدمای متدلّيتان من طاولة الكشف . ثم دخل (سنجرمان) وكان يرتدى البالطو الأبيض كالمعتاد وكرافنة حريرية جميلة ذات ألوان باستيلية هادئة . وقال :

- كيف حالك !!

وكان من عادة « سنجرمان » ألا يناديني مطلقاً باسمي أو بأى اسم آخر . وعلى الرغم من أنني كنت أغضب دائماً من الأطباء الذين أناديهم بلقب دكتور فلان وينادونني هم باسم « بتي » فقط ، إلا أنني رغبت فى تلك اللحظة أن يناديني الدكتور « سنجرمان » باسم بتي وحسب .

وفك الضمادة وكشف الجرح كالمعتاد ، وكالمعتاد أيضاً شخصت ببصرى إلى الأمام متحاشية النظر إلى الجرح . ولكنه هذه المرة لم يضع رباطاً جديداً مكان القديم فى الحال وأعطى الأريطة للممرضة التى ألقته على الفور فى سلة القاذورات ، وإذا بقلبي يرتجف بين ضلوعى ، إلى هنا ينتهى !! ؟ ؟ وشعرت وكأننى أرقب صديقاً عزيزاً وهو يلقي بنفسه من فوق منحدر صخرى شاهق .

ورقدت على الطاولة كما طلب منى ويقطعة مبللة أخذت الممرضة تنظف مكان البلاستر على صدرى وبعد أن التقطت أنفاسى قلت « لسنجرمان » :  
- هل تعرف أنني لم ألق نظرة على الجرح أبداً ..أظن من الأفضل أن أراه الآن .

هل تفضلين أن أخرج من الحجرة ؟ !

وتذكرت ما حدث فى مكتبه أول مرة حينما لم أتمالك نفسى فقلت

له :

- لا - لا تخرج .

ثم نظرت إلى سقف الحجرة وأنا راقدة على طاولة الكشف ثم نزلت بها إلى الحائط ثم إلى الحوض ثم إلى سلة القاذورات حيث ترقد ضمادتي العزيزة ثم إلى قدمي ثم أخفضت ذقني ورفعت رأسي بضعة بوصات فوق طاولة الفحص ثم نظرت . وأذكر أنني أصدرت صوتاً كالأنين ثم تركت رأسي تسقط للخلف على الطاولة .

- أوه .. ياإلهي .. أوه .. ياإلهي .

في النصف الأيسر من صدري حيث كان يرقد الثدي المفقود كانت هناك مساحة منبسطة متكئة بعض الشيء تشبه الأرض مغطاة بجلد مجعد . وعبر السطح كان هناك خط طويل أفقي أحمر اللون متورم يسير من منتصف الصدر إلى الجانب الآخر تحت الذراع ويلتف ليصل إلى الظهر . وعلى الجانب الآخر من هذه البقعة الصغيرة التي تشبه هيروشيما كان يرقد الثدي الأيمن في هدوء ، جميل وكامل كطفل وديع تبدو عليه أمارات الصحة . هذا كل ما استطعت أن أراه في المرة الأولى . وبعدها بأربعة أيام سمحت لنفسى بأن ألقى نظرة ثانية وكنت وأنا أفعل ذلك كأننى أراقب أحد مشاهد التعذيب فى أحد الأفلام . وقد حدث ذلك بعد أن أخذت حماماً وبعد أن جففت نفسى أسقطت المنشقة ووقفت أمام المرآة . وكنوع من التمهيد ، نظرت أولاً إلى وجهى وعينى ورقبتى ثم نزلت مرة واحدة إلى الجزء الأسفل من جسدى وتأملت ساقى وتمنيت لو كانت ساقى أجمل من ذلك خصوصاً وأن باقى أجزاء الجسم فى حالة من الفوضى .. وأخيراً ولمدة ثلاثين ثانية لم أبلع ريقى خلالها ركزت عيني على المكان الذى حدث فيه التدمير . إنه أكثر من مجرد مكان خال .. هناك تضاريس .. وهنا حدث التدمير .. لقد دمر البناء فى هذا المكان تدميرًا كاملاً .. !!

كان الجرح تاركًا وراءه أثرًا يشبه قضيبًا واحدًا لقطار مجنون لا يعرف إلى أين يتجه !!

بل إنه فى الحقيقة متجه إلى ظهري . قاطعًا القضيب بطوله ... وبعد كل نصف بوصة كانت هناك خطوط أخرى بالعرض طول كل منها بوصة كاملة ولكنها ليست مستقيمة تلك كانت آثار الخياطة (خياطة الجرح) وكان لونها أحمر وقيحة للغاية .. وودت لو أبعد عيني عن هذا المشهد ، ولكننى لم أفعل وتركت عيني تتجولان حول ذلك القطار اللحمى .

وفكرت كيف أنهم يقولون : إن البنات تختلف عن الأولاد . وتذكرت قصة الفتاة التى كانت تطلق مدفعا ولم يكن أحد يصدق بأن فتاة تستطيع أن تفعل ذلك ! وكيف أنها فى المرة التالية كشفت عن صدرها لترى أنها فتاة حقًا .. لأن الفتيات هن ثدى ... وغطيت الجانب الأيمن الجميل من صدرى بيدي وابتسمت .. هذه ولا شك نكتة : إننى حتى لا أشبه الأولاد .. صحيح ليس للأولاد ثدى مثل ولكن لهم على الأقل حلمة ثدى .. وهو ما ليس لى !! !

## الفصل السادس عشر :

كانت الملابس هي غطائي الوحيد .. وكان عليّ أن أكون سريعة في ارتداء ملابسى وكنت بمجرد أن أرتدى الصدرية يسهل الأمر على بعد ذلك . وقد اعتدت أن أثبت الثدي الصناعى بلبوس داخل الصدرية قبل أن أرتديها .. فكان هذا يوفر على الكثير من الجهد والوقت معاً .

وبدون الضمادات كان الاستحمام يشكل لى أكثر من مشكلة .. ولذلك كنت آخذ حمامات أقل من المعتاد .. كذلك فإننى كنت قد تمرست على أساليب للاستحمام دون أن أنظر .. وحين أقرب من تلك المنطقة من جسدى ، كنت أحاول أن أثبت نظرى إلى أى شىء آخر .. قريب منها .. كمعدتى مثلاً .. وطبعاً كان من المستحيل أن أنظر إلى الثدي الآخر .. وبهذه الطريقة وبطرف عيني فقط كنت أرى بقدر كاف للقيام بهذا العمل بشكل ملائم .

وقبل العملية ، كان من عادتي ألا أرتدى قمصاناً للنوم ماعدا الشتاء .. أما الآن فإننى أرتديها كثيراً ولدى العديد منها أيضاً .

كما أننى لم أعد أرغب فى الخروج بالمرّة .. وخصوصاً بعد رفع الضمادات .. فإننى أشعر بأننى لست محمية .. وغير آمنة .. وكنت أخشى بالذات على تلك المضخة الصغيرة الموجودة فى صدرى .. أقصد قلبى .. إن قلبى مكشوف الآن وقريب جداً من السطح الخارجى لا يكاد يحميه شىء .. اختفت تلك الكتلة الشحمية التى كان يحتمى خلفها .. وتذكرت مرة حين كان لدى ساعة جميلة قديمة وقد خلعت غطاؤها الخلفى فبدت أجهزتها الدقيقة الداخلية عارية .. وتذكرت كيف حملتها إلى الساعاتى لإصلاحها وهى ملفوفة فى منديل من الورق الرقيق وأنا أحملها بعناية خشية أن أتعرّ فتسقط وتتحطم على الرغم من أننى لم أتعرّ ولم أسقط من قبل .

والغريب أنني بعد العملية لم أكن أخشى السقوط مثلما كنت أفعل وأنا أحمل تلك الساعة .. بل إننى كنت أخشى شيئاً آخر .. كنت أخشى أن يصطدم بى الآخرون .. وخصوصاً المراهقين من الأولاد وهم قادمون من الاتجاه المقابل لى . وكنت إذا رأيت أكثر من اثنين منهم قادمين فى اتجاهى كنت أسارع بعبور الشارع إلى الرصيف الآخر .. أو ألتفت إلى فاترينة أحد المحلات مديرة ظهرى لهم ومقتربة تماماً من زجاج الفترينة .. وأنا أظهار بالفرجة على المعروضات حتى يمروا بسلام ..

وكنت أفعل ذلك مرة حينما وجدت نفسى أحمق فى فاترينة مملوءة بالعديد من ملابس الـ « تى شيرت » الفرنسية والإيطالية الصنع من النوع الذى اعتدت أن أرتديه على جسدى القديم !! .. وتذكرت أنه لم يعد باستطاعتى ارتداء هذا النوع من الملابس ، وألمنى ذلك أشد الإيلام فبكيت .. مما سبب لى ارتباكاً شديداً لأن نظارتى الشمسية لم تكن معى وقتئذ .. وبعدها لم أعد أقرب من المحلات التى تعرض هذا النوع من الملابس .

وبدون الضمادة كنت أشعر بالألم أكثر من قبل .. كنت أشعر بآلام حادة قصيرة وكان معظمها فى موضع حلمة الثدي . مع أنه لم يعد هناك حلمة ثدى فى الواقع إذ دمرت مع باقى الأجزاء التى دُمرت فى هذه المنطقة من جسدى .. كان الألم إذن فى الموضع الذى كانت توجد فيه الحلمة .. ولا عجب .. فقد سمعت عن أشخاص يشعرون بالألم فى قدم قد فقدوه ويقولون : إن ساقهم تؤلمهم ويشيرون إلى الموضع الذى كانت به الساق وليس هناك ساق !! لقد فعلت أنا تماماً مثل هؤلاء .. فلقد كنت فى المنزل وشعرت بذلك الألم فى حلمة الثدي .. هكذا حدثنى هاتف فى داخلى فأجابه هاتف آخر : ولكن ليس لديك حلمة . فقال الأول : ولكنها تؤلمنى ، إنى أشعر بها ! .. عندئذ فتحت أزرار بلوزتى ونظرت إلى صدرى .. كان الصوت الثانى على حق . فلم تكن هناك حلمة بالطبع ..

وتحت ذراعى كنت مازلت أشعر ببعض الخدر أو التنميل .. وفى بعض الأحيان يكون هذا الخدر مثل الموت أو هو الموت ذاته .. وبمناسبة الحديث عن الموت .. فبعد إزالة الضمادة كنت قد توقفت عن التفكير فى الموت الكبير ولكننى لم أستطع أن أصرف فكرى عن الموت الصغير .. أعنى ما قاله (رومفيلد) عن فكرة حالة الموت فى الجسد .

وذات صباح بعد ليلة مؤرقة سيئة ، كتبت بعض الأفكار عن هذا الموضوع ، وكان هذا أول شيء أكتبه بعد الجراحة ، وأعتقد أنه كان البداية لهذا الكتاب .

كتبت ما يلى :

« الثانى من مايو .. إننى أشبه ما يكون بأرملة لم تدرك هذه الحقيقة فى أول الأمر .. ثم استيقظت فى الصباح لتجد المكان بجوارها فى السرير خال ، والمخدة بجوارها مرتبة ومتفخة وعندئذ فقط أدركت ما حدث .. مثلما نظرت أنا إلى الموضع الخالى فى جسدى .. وأدركت الحقيقة أنا أيضاً .

إن حالة الوفاة فى الجسد تشبه بشكل ما الوفاة الحقيقية .. فكما أن المرء يتذكر الموتى بمحبة حتى لكان المتوفى يبدو أكثر فضيلة وأكثر روعة من حقيقته ، أتذكر أنا ثديى الأيسر بحب حقيقى !! ما أسخف هذا !! لماذا أفكر بهذه الطريقة ؟ !! من من النساء تنظر إلى نفسها فى المرآة وتقول : يالى من محظوظة إذ إن لى ثديين .. لا أحد يفعل هذا أو حتى يفكر فيه . ولماذا لا أفكر فى باقى أجزاء جسمى بنفس الطريقة .. وأشعر مثلاً بالرضى والامتنان لأن لدى ذراعين ، وساقين ، وعقلًا يفكر ؟ ؟ ليس هناك من يفعل ذلك على الإطلاق ولا حتى أنا رغم ما جرى لى ..

الفرق بين موت جزء من الجسد وموت شخص هو أن الشخص الذى يموت يدفن أو يحرق وينثر رماده بعيدًا عن الأنظار .. كما أن الجزء الميت

من الجسد يدمر أيضا ويختفى عن الأنظار .. ولكن يبقى الفراغ الذى يخلفه مكانه .. تلك المساحة الخالية تبقى ، فالأرملة تستطيع أن تملأ دولا ب زوجها المتوفى الخالى بملابسها هى وقد تملأ مكانه الخالى فى السرير برجل آخر أيضا .. وربما يكون ذلك الرجل الآخر الحى أفضل كثيرا من الزوج المتوفى .. وربما تحبه الزوجة أكثر .. ولكن ، ليس هناك شىء حى يمكن أن يحل محل الثدى الميت .. إنما فقط شىء آخر ميت موضوع فى صندوق أبيض يباع فى محل متخصص يمكن أن يحل محله .

إذن ، إذا لم يكن هناك شىء حى يحل محل ذلك الجزء الذى مات فماذا أفعل لأتخلص من ذلك الإحساس بالموت . فكيف أنسى ، إذا لم يكن من الممكن ملء هذه المساحة الخالية بشىء حى .. وكيف أنسى إذا كان هناك بجوار هذا المكان شىء يذكرنى دائما بما فقدت .. هو توأمه الآخر ، حتى إننى أوشكت أن أكره هذا الثدى لأنه يذكرنى بالآخر كلما نظرت إليه أو لمستة .. أكرهه لأنه يبدو غيباً بمفرده وهو معلق هكذا منفردا .. كشمعة واحدة فى جانب واحد من الطاولة ينقصها شمعة أخرى على الجانب الآخر .. أو أسد واحد على جانب واحد من مدخل مكتبة نيويورك .. فردة حذاء واحدة .. فردة جوائتى واحدة .. قدم واحدة .. يد واحدة .. ثدى واحد !! أوه يا إلهى .. يا إلهى .. ربما أكون قد جنتت .

لا بأس من ذلك .. فإذا كنت قد جنتت حقا فسأذهب إلى مستشفى بعيد عن صحب المدينة ، وحوله حدائق مزروعة بالنجيل الأخضر الجميل .. وبها كراسى مريحة وممرضات عطوفات يرتدين الملابس البيضاء ..

ومن الغريب أننى كنت فى نفس الوقت الذى أكره فيه ذلك الثدى ، كنت أحبه وأحنو عليه كطفل وحيد .. أو كابن عاد من الحرب سالما . وكلما أحببته أكثر ازداد خوفى عليه .. خوفى من أن أفقده هو أيضا .

هذا النوع من المشاعر المزدوجة أفرز انعكاسات مزدوجة أيضاً .. فأننا أكره  
ثديي ولذلك لم أكن أتحمّل النظر إليه .. وأنا أحبه ، لذلك أنا أتحمسه  
باستمرار ، ربما لأنأكد من سلامته . وعندما كنت أتحمسه كنت أتحمسى  
النظر إليه .

وكان الدكتور (سنجرمان) قد أكد لي بالطبع أنه سيُعنى بي ، وأن أمر  
عليه كل ثلاثة أشهر لمدة سنتين وكل ستة أشهر لباقي حياتي أو حياته .  
وكنت أقوم بفحص صدرى مرتين يومياً ، وفى كل مرة لا أجد أى  
ورم ، فكنت أشعر بالروعة ولكن لمدة ساعتين فقط ثم يتكون القلق من  
جديد .. ومع نهاية اليوم أفحص صدرى مرة ثانية ولا أجد شيئاً ومن ثم  
أشعر بتحسّن من جديد ولمدة ساعات معدودة إلى أن يجين اليوم التالى .  
وغير الفحص المستمر الذى كنت أقوم به يومياً ، كان هناك شىء آخر ..  
القراءة فكنت أقرأ بنهم أى شىء وكل شىء أجده حول هذا الموضوع ..  
بل إننى كنت أقرأ عن كل أنواع السرطان .. سرطان الرئة ، سرطان الرحم ،  
سرطان الغدد ، عن السرطان حيثما كان .. وكنت أعيد قراءة بحث خاص  
بسرطان الثدي مرات عديدة وخصوصاً ذلك الجزء الذى يقول فيه دكتور  
(روث سندر) من مركز السرطان بنيويورك :

« إن المشكلة هو أن هناك ثديين ، فإذا حدث السرطان فى أحدهما ،  
فإن هناك فرصة لإصابة الثدي الآخر بنسبة ١٠٪ »  
وعند هذه النقطة كنت أتوقف وأبدأ فى تحسس صدرى مرة ثانية .

« إن الدراسات التى أجريت على إحدى العينات ثم أجريت على الثدي  
الآخر ، أظهرت أن سرطان الثدي متعدد المركزية . إنه لا يبدأ فى خلية  
واحدة ثم ينتشر ، بل إنه من الجائز جداً أن تكون هناك مناطق متعددة  
للسرطان فى الصدر الواحد .. وهذا يفسر الخطر الذى يحيق بالثدى الآخر .

وبعد إجراء الفحص الشخصى الحتمى بعد قراءة هذا الجزء ، كان أكثر ما أخشاه أن يكون هناك ورم مختبئ ولا أشعر بوجوده .. وهذا الكلام ليس كله هراء بالطبع ، فهناك بعض الأورام لا يمكن الإحساس بها أو إدراكها باللمس ويؤمل أن يكشف عنها برسم الأشعة ولكن ، حتى هذه الوسيلة ليست كاملة أيضًا .

وخلال تلك الفترة كنت أتأرجح ما بين اليأس بسبب ما حدث لى والفرع مما قد يحدث .. فقد يكون فقدان الثدي الآخر أو ربما يكون الموت نفسه .. ولكن كان هناك شيء من الرحمة بى .. فعينما أكون فى أحد هذه الحالات ، لا أستطيع أن أفكر بالأخرى فى نفس الوقت . فعين كنت أتألم بسبب الجرح ، لم يكن يطرأ على فكرى الاحتمال الآخر ، أى إصابة الثدي الآخر .. أو .. الموت . وحينما تكون رأسى مثقلة بفكرة الموت فإن إحساسى بالألم يبدو تافهًا ضئيلًا لا يستحق التفكير .

فالحديث عن أحد أوجه البؤس يلقى الآخر تماما فيما يبدو . ولقد كان (آرثر) أول من لاحظ ذلك فقد كنت أخشى كثيرا كأتى امرأة تعيش فى مدينة صاحبة - حوادث السرقة والاعتصاب . وكنت أضع ثلاثة أقفال وسلسلة على الباب .. وحين أكون فى الشقة بمفردى أقفل كل الأقفال وأضع السلسلة أيضًا . ولكن (آرثر) لاحظ أننى بعد الجراحة وإزالة الضمادات لم أعد أفعل ذلك .. وحتى حين سألتنى عن السبب ، لم أكن أدرك أننى أفعل ذلك .. ثم خيل لى بعد ذلك أننى لم أعد أفعل ما كنت أفعل ربما لأننى لم أعد خائفة من الاعتصاب .. فمن ذا الذى يفكر فى اغتصابى الآن ؟ ؟ !!

## الفصل السابع عشر :

كنت لا أزال أذهب إلى المكتب فى هذه الفترة المجنونة المضطربة وأخرج أيضًا فى الليل . ولم يكن جنونى يظهر للآخرين كثيرًا ، لأننى كنت قد بدأت أكتب أكثر وأضع جنونى على الورق مما جعل بالإمكان أن أبدو عاقلة .. ومن وقت لآخر يقع القناع وينكشف أمرى فى الأوقات العصيبة .

ذهبنا فى إحدى الأمسيات إلى حفل عشاء وكان هناك كثير من المدعوين ذوى الشأن ومن كبار السن المحترمين ، هذا النوع الذى لا بد وأن تتصرف معه بحسب .. وتصادف أن جلست بجوار (جون هيوز) وهو مؤرخ معروف وكان يكتب خطب الرئيس أيزنهاور .. وتبادلنا بعض الكلمات ثم سألتنى عن عملى ، فإذا بى أجيبه دون وعى : « لقد استحصل ثديى ، منذ فترة قصيرة وها أنذا أحاول أن أتغلب على ذلك .. وأحاول أن أتأقلم » وقال الرجل وقد أذهلته المفاجأة وتجمدت يده فى منتصف الطريق بين الطبق وفمه حاملًا الشوكة « أوه » .

ولم أدر لم تحدثت معه فى هذا الموضوع . ولم يكن ذلك النوع من الحديث أتناوله مع أصدقائى أثناء الأيام الأولى عقب الجراحة .. والرجل نفسه لم يكن صديقى وبالطبع لم يدر هو أيضًا ذلك المسكين لم قلت ذلك .

لقد قرأت مرة فى إحدى المجلات عن إحدى السيدات تقول : إنها وجدت نفسها ذات مرة تحدث إحدى الجالسات بجوارها فى الأوتوبيس عن موت زوجها .

كما سمعت أيضًا عن أناس يفضون بالأمهم وأفراحهم - بدون مناسبة - إلى أول شخص يصادفهم ودون سابق معرفة . ولكن لماذا نفعل ذلك ؟ هل لنصدم هؤلاء الناس ؟

ربما .. وربما أيضًا حتى لا نشعر بالوحدة أو لتفادى الشعور بالوحدة .  
ولقد كنت قد جريت ذلك الشعور بالوحدة فى إحدى الحفلات التى حضرتها  
قبل أسبوع ، ولم أكن أريد أن أعيش هذا الشعور مرة ثانية .. كنت أريد  
أن أتكلم فهذا يقلل من جنونى فبدأت فى جنون زائد عن الحد يقابله الكثير  
من العقلانية الظاهرة .. ومن المفيد أن تضيق المسافة بين الاثنين .

إننى بالطبع لا ألقى بالجنون الذى فى داخلى فى وجه أى شخص ..  
ولكننى حين أفعل ذلك أجنى خيرا من ورائه ، فبعدما يزول أثر الصدمة  
على معدتى .. تكون ردود أفعالهم على ما ألقى عليهم من أخبار فى كثير  
من الأحيان ، هو إفشاء ما لديهم من أسرار وآلام تكون أحيانا أكثر إثارة  
وإيلاما من أسرارى وآلامى . فلقد اتضح مثلاً أن (هيوز) هذا له حكاية  
مثيرة . فبعد أن زال أثر المفاجأة ووجدت الشوكة طريقها إلى فمه استرسل  
فى الحديث عن حياته الخاصة وعن خوفه من الموت وغير ذلك من الحديث  
عن المشاعر المكبوتة فى داخل أغوار النفس البشرية .. وهو شئ يعث  
الحياة فى كثير من الأحداث الاجتماعية التى لا طعم لها .

فكثير من الناس حين يستمعون لآلام الآخرين لا يلبثون أن يلقوا بما  
يعتمل فى صدورهم من مشاعر مكبوتة إلى الآخرين أيضًا .. وهذا  
لا يدهشنى على الإطلاق فقد سبق وأن مارست فى حياتى العملية هذين  
النوعين من المشاعر .. أن ألقى وأتلقى .. وكثيراً جداً ما شجعت مثل هذا  
السلوك .

فحينما كنت أكتب عن بعض الشخصيات فى مجلة « لوك » ، فلكى  
أشجع بعض هذه الشخصيات على الحديث عن عواطفهم ومشاعرهم الداخلية  
كنت أظهر لهم أننا شخصياً بعضاً من مكنون نفسى كنى يترسلوا فى  
الحديث عن أنفسهم دون حرج . وكانت دائماً تلك طريقة ناجحة وأسلوب

عادل إلى حد ما .. وكان ذلك يجعل من لقاءى معهم تبادلًا للحديث أكثر منه مجرد سؤال وجواب .. ولم أشعر يوماً أنني مضطرة أن أخرج كثيراً مما بداخلى .. ومعظم الذين حاورتهم كانوا من نجوم السينما والسياسة وكان أغلبهم من النوع الترجسى الذى لا يهتم إلا بنفسه ولا يعير التفاتاً لما يشعر به الآخرون .. ولذلك لم أكن أستطرد فى الحديث عن نفسى ولكن فقط بالقدر الكافى الذى يشعرهم أنني قريبة منهم ولست فى برج عاج .

ولقد أفادنى هذا الأسلوب إلى حد ما ، ونادراً ما اتبعث هذا الأسلوب دون أن يكون هناك عائداً لذلك . فقد كنت أحكى للناس عن الجراحة التى أجريت لى كلما شعرت بالرغبة فى الحديث عن ذلك ، رغم أن معرفتى ببعضهم تكاد تكون معدومة .. ولكننى لم أكن أتحدث عن ذلك مع الذين لا أشعر تجاههم بالحب .. ولم يكن رد الفعل لدى الآخرين متشابهاً فى كل الأحوال .. فلقد كان بعضهم يتجاوب معى وذلك بأن يحكى لى قصة لطيفة حدثت له شخصياً .. وكان البعض الآخر يصدم ويمتقع وجهه وبعضهم يتهرب من هذا الموقف بأية وسيلة .

ولقد كنت أفهم تماماً سبب ذلك .. فإذا كان المرء ضحية ، فلا يتوقع أن يكون محبوباً فالناس لا تحب الضحايا .. والضحايا من أمثالى يعطون الآخرين إحساساً غير سار ويجعلونهم يفكرون بتلك الطريقة : « إذا كان قد حدث لها هذا الشيء فإنه من المحتمل أن يحدث لى أيضاً » .

ومن منا يجب أن يتذكر ذلك ؟

وكان هناك شيء آخر مجنون يحدث فى تلك الفترة . فبينما كانت علاقتى بـ (آرثر) شبه متوقفة ، كانت علاقتى الرومانسية التليفونية مع (ديفيد) فى أوجها . كان يتصل تقريباً كل يوم ، وإذا شعر أن (آرثر) بجوارى ، كان

يعاود الاتصال مرة ثانية فى وقت آخر . كان يقول لى إنه يجبنى وقال لى  
أيضاً كيف أنه كان يتمنى الزواج لى دائماً وحتى بعد زواجى من (آرثر) .  
وكنت أستمع إلى كل هذا وأنا لا أعرف كيف أفكر . فقط كنت أحب  
أن أسمع هذا الكلام . وكنت أشعر بالخوف وبالذنب أيضاً ولكن ليس  
بدرجة كبيرة . فإذا أصيب المرء بالسرطان فمن حقه أن يكون مشاعياً ..  
ولذلك استمرت فى الإنبات « لديفيد » . وكنت أقول لنفسى أحياناً  
إن ما أفعله هو شىء سىء للغاية بل هو الجنون بعينه ، ولكننى لم أستطع  
فى الواقع أن أوقف هذا الجنون ، ربما لأننى لم أكن فى الواقع أحاول  
ذلك .

ولم تكن هذه هى أول مرة أفقد فيها السيطرة على نفسى ، ولكنها كانت  
المرّة الأولى التى كنت راغبة فى أن أكون كذلك .. وكان ذلك مخيفاً  
ل للغاية .. ولكننى مع ذلك كنت راغبة فى هذه المغامرة .

كان واضحاً أننى لم أكن أتوى أن أجعل قصة الشدى المفقود هذه سرية  
على الرغم من تحذير إحدى صديقاتى (هيلين ماركيل) ، وقالت لى حينذاك  
إن صديقة أخرى لها كانت قد أجريت لها نفس الجراحة منذ خمس سنوات  
مضت وهى بصحة طيبة الآن ولكنها لم تندم على شىء مثل ندمها على  
أنها حدثت الآخرين فى هذا الشأن .

حينما سمعت منها ذلك ، توقفت عن التحدث فى هذا الشأن ، ولمدة  
يوم كامل أغلقت فمى تماماً . ولكننى لم أحمل أكثر من ذلك .. وماذا  
يعنى هذا الآن !! ؟ ؟ ؟

فلقد كنت قد تحدثت تقريباً مع نصف العالم فى هذا الشأن . ولماذا  
إذن لا أَدع النصف الآخر يعرف أيضاً ؟ وغير ذلك فلقد كنت قد قررت  
أن أقول للناس حكايتى . فإن ذلك مفيد للطرفين لمن يحكى ولمن يستمع ..

لماذا يصبر الناس على إخفاء مصائبهم عن الآخرين ، الذين هم بدورهم ليسوا فى مأمن من سهام القدر إن آجلاً أو عاجلاً . لماذا إذن هذا التظاهر السخيف بالقوة التى لا تقهر . فكثير من الناس تصيبهم سهام القدر فى وقت مبكر من حياتهم وبصورة قاسية أحياناً .. ماذا فى ذلك ؟ ؟

لقد أصبح الآن من السهل أن يتحدث المرء عن إصابته بسرطان الثدي خاصة بعد إعلان السيدات الأوائل فى أمريكا وغيرهن من السيدات المرموقات فى أمريكا عن أنفسهن . إن اعتراف (بتى فورد) و(هاى روكفلر) وقبلهن (شيرلى تمبل بلاك) و(مارفيلابيه) قد جعل من سرطان الثدي شيئاً مقبولاً اجتماعياً .

وكما أن الاعتراف بالشواذ جنسياً وقبولهم فى الحياة العامة ، جعل من السهل على باقى الشواذ الخروج من مخبئهم ، كذلك فعل اعتراف السيدة الأولى فى أمريكا بإصابتها بسرطان الثدي . فلقد ساعد كثير من النساء العاديات على أن يتحدثن عن أنفسهن دون حرج . ليس فقط النساء العاديات ، بل إن هناك من النساء الشهيرات ممن أجرين مثل هذه الجراحة ولم يخرجن من جحورهن حتى عام ١٩٧٥ وبعد عشرين عاماً من الاختباء . ويبدو أن ظهور عدد أكثر من النساء ابتلين بهذا المرض يرجع إلى أن عددًا أكثر من النساء بدأن فى التحدث عن مرضهن أكثر من ذى قبل . إن الاعتراف الجديد جعلنى أتعجب كيف تحملن أن يختمين كل هذه السنين وكيف كان الأمر بالنسبة لهن . لقد عرفت واحدة هى (جاكلين سوزانا) لم يعرف أحد بمرضها حتى ماتت غير زوجها فقط .

أشعر كم ذلك صعباً على المرأة وإلى أى مدى يكون شعورها بالعزلة والوحدة .. كيف يمكن أن تحمل امرأة كل ذلك وحدها .. ولكن يبدو أنه بالنسبة لبعض النساء يكون الصمت أكثر احتمالاً من الحديث فى هذا الأمر .

لقد كانت (جاكلين سوزانا) امرأة ناجحة بمعنى الكلمة وبمقاييس المجتمع للنجاح أى الشهرة والمال ، وكانت تحب نجاحها بشكل واضح وتحدث عن ذلك بصراحة وجرأة . وكانت فائزة دائماً وتحب دائماً أن يذكرها الناس كذلك وأن يفكروا فيها كفائزة دائماً .. وخسارة ثدى طبقاً لمقاييس المجتمع ومقاييسها هى أيضاً يجعلها تقل درجة عن الدرر الكامل .

رسواء كانت هى على صواب أم على خطأ ، فإذا كان للمرء نفس مبادئها وأكارها وأيضاً نفس شعورها ، فلا بد أنه سيتصرف مثلها تماماً .. ومن الواضح بالنسبة (لجاكى) أن اهتزاز صورتها لا يساوى الراحة الناجمة عن الإرضاء بسرها .

وحتى نحن الذين نعترف بما جرى لنا فإننا نحاول بكل الطرق أن نخفى الأثر الناجم عن ذلك .. ففى داخل المنزل لم يكن يهمنى أن أضع ذلك الشيء الصناعى ، ولكننى لم أكن أجروء أو أحلم بالخروج بدونه .. ومهما كان الثدى صغيراً فالفرق واضح بين الناحيتين من صدرى للدرجة أن أوسع الثياب لا تستطيع أن تخفى هذا الفرق .

معنى ذلك أنه من الآن فصاعداً إذا طرق شخص الباب ، أو كان على أن أخرج لألتقط رسالة أو طرداً ، أو كان على أن أواجه أحداً غير (آرثر) أو أمى أو الدكتور (سنجرمان) كان لابد إذن أن أضع هذا الشيء فى صدرى .

وفى أحد الأيام وكان ذلك بعد أسبوع من رفع الضمادات ، كان على أن أذهب إلى السوق القريب لشراء بعض الطلبات اللازمة لإعداد وجبة فراخ بالزيتون . وكنت فى مثل هذه الحالات وقبل استئصال الثدى ، أضع نفسى فى زوج من البنطلونات وأرتدى فوقه قميصاً

وأهروول خارجه . ولكننى الآن كان على أن أضع الصديرية وأثبت فيها هذا الشيء المصنوع من النايلون ، وعندئذ فقط أكون جاهزة للظهور على الملأ فى السوق .

وفجأة أصابنى الجنون من هذا الروتين .. اللعنة ، لماذا لا يمكننى الخروج فوراً إلى السوق لشراء علبة زيتون بحالتى هكذا .. من يعنيه ذلك بحق الجحيم ؟

ولكننى لم أجروء على ذلك أبداً .. ربما لأننى أنا التى يهمنى ذلك فى المقام الأول .

قد يلاحظ الناس الفرق .. ولكننى لن أحتمل مواجهة نظراتهم .. لن أحتمل الصلعة والدهشة على وجوه الآخرين .. ففى أمريكا ، الأجسام كاملة والأسنان مستقيمة ، ورؤية شخص مشوه - مثل - تُصيب بالإحباط .. إذ ليس من الوطنية أن يكون المرء مشوهاً .

وتذكرت أول مرة رأيت فيها شخصاً مشوهاً وكان عمرى ست سنوات تقريباً وكنت أقف على رصيف المترو مع أمى . وكان هناك رجل على مقربة منا يبيع أقلام الرصاص .

وقد لفت انتباهى لأنه كان أقصر منى .. وكانت هذه أول مرة أرى رجلاً ناضجاً أقصر منى . والسبب أن ساقيه كانتا مبتورتين . وتجمدت فى مكائى حين رأيت ذلك .. لأن الأشخاص الوحيدى الذين رأيتهم غير كاملى الأجسام ، كانوا وحوشاً خيالية أراها فى الكتب ولم يكونوا أشخاصاً حقيقين .

وأخيراً جاء القطار وجنبتى أمى من يدى وهى تسألنى ماذا بى ولم أعرف كيف أقول لها فأجبتها بلا شيء .

تذكرت هذه الحادثة حينما ذهبت إلى محل البقالة لأشترى الزيتون وأنا أرتدى ذلك الجهاز . وأنا أرتديه ، أبدو طبيعية ولكن من الغريب أنني كنت أفكر ماذا ستفعل طفلة في السادسة لو رأتنى بدون ملابسى .. لا شك أنها ستفزع مثلما حدث معى وأنا أرى ذلك الرجل عند المترو .

شئ آخر تذكرته وأنا أجذب شيش نافذة حجرة نومي قبل أن أدخل ملابسى . فإغلاق شيش النافذة شئ كنت أفعله كل ليلة طوال حياتى حتى لا يتلصص على أحد هؤلاء الفضوليين فيغريه جمال جسدى باقتحام المنزل ومحاولة اغتصابى . ولكننى الآن أدركت أننى أفعل ذلك لسبب آخر .. ألا وهو ألا يرى أحدهم هذا الجسد ، فيغشى عليه أو يفر هاربًا .

## الفصل الثامن عشر :

إن ذلك الثدي المزيف لم يكن مجدداً أبداً ، ولم أكن أعرف أبداً كيف أبقيه فى مكانه ثابتاً . حتى حينما كنت أثبتته بالدبابيس وأضيق الصدرية إلى أقصى درجة ، فإنه بعد أقل من نصف ساعة يطفو من جديد إلى أعلى مثل العوامة . وقد أُنجح أحياناً فى أن أبقيه فى مكانه أكثر من ذلك بقليل إذا ضيقَت الصدرية إلى أقصى درجة ممكنة ، ولكن ذلك كان يؤلنى إذ ينغرز فى تجويف الصدر مكان الجرح تحت إبطى . كما أن هذا الشيء الملعون أيضاً لم يكن له حلمة ... ولم يكن هذا ليهمنى لو أن حلمة الثدي السليم الآخر لم تكن ظاهرة بشكل لافت ... وكان الحل الوحيد هو العودة إلى محل الرعب ذلك الذى يبيع تلك الأشياء الصناعية من أجل شراء ثدى بمواصفات خاصة .

ولكن الزيارة الثانية كانت أقل رعباً من الزيارة الأولى . كان لديهم أنواع مختلفة وبأحجام مختلفة (كالأحذية تماماً) وكانوا متأكدين من أن إحداها لأبد سيناسبنى .. « ثدى للبيع » . يالها من تجارة .. إنها تماماً كأي تجارة أخرى .

كان لديهم ثدى صناعى يناسب مقاسى وكان مصنوعاً من السيليكون ، وناعماً ولونه وردى بلون الجسم ووزنه مناسب .. ولكن كان عيبه الوحيد أنه لم يكن له حلمة . وقلت :

- هل لديكم واحد مثل هذا ولكن له حلمة ؟ وقالوا بدهشة :

- حلمة ؟ ؟ !! يالها من فكرة !!

ولم يكن لديهم مثل هذا الشيء الذى أطلبه ولكن كل ما لديهم هى هذه الأشياء المفلطحة فقط .. وشرحت لهم مشكلتى مع الحلمة الباقية وكيف أنها بارزة ظاهرة .. وقبلنى صمت شديد من جانبهم وكأنى نطقت كفرة ..

والتقطت الثدي الأصلي المصنوع من الداكرون وألقيته فى صدريتى دون أن أثبتته بالدبابيس وعندما وصلت إلى المنزل كان هذا الشيء قد طفا إلى ما يقرب من عنقى .

رائع !! هكذا فكرت .. إننى إذن منبوذة فى مجتمع المنبوذين . إننى لست فقط امرأة ذات ثدى واحد فى عالم ثنائى الثدي .. إننى أيضاً امرأة ذات حلمة بارزة لثدى واحد فى عالم أحادى الثدي مفلطحى الحلمات . وتذكرت أغنية للأطفال كنت قد شاهدتها على التلفزيون قبل أسابيع ، تحكى عن ولد صغير له رأس مستدير يعيش فى عالم كل الناس فيه لهم رؤوس ملبية ، ولذلك نبذوه وأبعده إلى غابة بعيدة حيث لا يهتم أن تكون له رأس مستديرة أو ملبية لأنه ليس هناك أحد ليراه .

واتصلت بجمعية (الوصول للشفاء) وقالوا لى عن مكان يبيع مثل هذه الأشياء فى كاليفورنيا . واتصلت بالمختص فى كاليفورنيا وقال لى : إنهم فعلاً يصنعون الحلمات . وأنها تلبس بداخل الصدرية ، وقال : إنه سيرسل لى الكatalog ومعه نشرة بالتفاصيل .

وكنت قد بدأت تصوير عمل جديد خلال ذلك اليوم ، وكنا سنستأنف العمل خلال الليل أيضاً . كانت المشكلة أنه قد استقر فى ذهنى أننى لن أستطيع الخروج من المنزل دون هذه الحلمة .. وخطر لى خاطر غريب أننى أستطيع أن أصنعها بنفسى .. يكفى أن ألصق شيئاً صغيراً مستديراً بذلك الثدي المصنوع من الداكرون لتكون لى حلمة وتناولت صندوق الحياكة وأخذت أبحث بين بكرات الخيط والأزرار والدبابيس والإبر عن شىء يصلح لهذا الغرض . وأخيراً وجدت فى أحد أركان الصندوق شيئاً أسود ملفوفاً تحت زرار أخضر .. وكانت قطعة صغيرة من قماش أسود تشبه الحلمة . وأدركت فى الحال أن هذه هى الشىء المطلوب . وخلصت

بلوزتى على الفور وقارنتها بحلمة ثدى الأيمن التى لازالت موجودة فى مكانها ووجدتها مطابقة تماماً . وقلت لنفسى : هذا ما أريده تماماً كان الحجم والشكل ملائمين تماماً واللون أسود .. ولكن ماذا يهم اللون فأتا بالطبع لا أتوى أن أرتدى بلوزة شفافة .

وما إن بدأت فى تثبيتها بحماس حتى حضر (آرثر) وسألنى :

- ماذا تفعلين ؟ فقلت :

- لقد اخترعت لتوى حلمة وهأنذا أحاول تثبيتها .

كان هدفى الثانى هو أن أستغنى عن مشد الصدر (الصديرية) ، فبعد ذلك بأيام قليلة اشتريت بكرة من الشريط اللاصق الذى يستعمله الجراحون (البلاستر) ثم ألصقت الثدي الصناعى بحلمته الجديدة إلى صدرى بشريطين من أعلى وشريطين من أسفل ثم ارتديت قميص أسبور (تى شيرت) وتأمّلت نفسى من الأمام ومن الجانب وكانت النتيجة مدهشة تماماً . ولم أطق صبراً على الانتظار ووددت لو أذهب لأرى أصحاب محل بيع هذه الأشياء الصناعية اختراعى . وغازننى كثيراً أننى لن أستطيع أن أجعل كل شخص أعرفه يرى بنفسه اختراعى المدهش ..

لقد كان الزهو بالاختراع قوياً ، ولكنه لم يكن أقوى من المشاعر الأخرى كالإحساس بالتشوه لقد حولنى هذا الإحساس إلى شىء لم أكنه من قبل .. حولنى إلى امرأة متواضعة ... .. لقد كان هناك بوتيك فى الشارع الثالث والخمسين وقد توجهت إليه فى أحد الأيام ، ولكن ما إن تذكرت حجرات خلع الملابس حتى هرولت خارجة منه فى الحال .

بدا لى اختفائى وسط الزحام كشىء معقول ومقبول .. أما أن أختبئ داخل منزلى فذلك شىء آخر .. وحتى ذلك الحين لم يكن قد رأتى دون أربطة سوى الدكتور (سنجرمان) وممرضته . وكان من المحتم أن يرانى (آرثر)

أيضاً إن عاجلاً أو آجلاً ولم أكن لأستمر في الاختباء داخل منزلي . وكنت أتمنى أن يطلب مني أن أرى بنفسه ولكنه لم يفعل ، ولذلك فقي أحد الأمسيات وكنت في البانيو آخذ حماماً ناديته :

- آرثر !!

- ماذا ؟

- تعال هنا لحظة .

وفتح الباب برفق واختلس النظر ، وكانت هناك قاعدة غير مكتوبة بيننا منذ أن أزلت الضمادات وهي أن يكون « حمامي خاص » وكانت يدي وذراعي الأيسر يغطيان الجانب الأيسر من صدري . وسألته :

- هل تريد أن ترى .

- بالتأكيد .. ... قالها وهو غير مستريح للفكرة الطارئة .

وأدركت فجأة أنها لم تكن فكرة طيبة على الإطلاق ولكن .. بعد قوات الأوان . وكنت قد أنزلت ذراعي ليرى فحملني جامداً ثم قال :

- هذا ليس سيئاً جداً ثم أردف قائلاً :

- إن هذا لا يزعجني بالمرة .

- هذا شيء جميل .

ثم انزلت تحت المياه داخل البانيو .

وألقيت نظرة على الكتالوج الذى وصلنى من كاليفورنيا وبحروف كبيرة سوداء على خلفية زرقاء كتبت كلمات مثل : « الزميل الملائم » وبحروف أصغر كتبت كلمة « الثدى الصناعى » وفى داخل الكتالوج كانت هناك صورة لسيدة ترتدى رداء يقصد به أن يكون مثيراً ، وهى تقدم العشاء لرجل تحوم حوله بلهفة وشوق .. ثم كلمات مثل :

استعدى ثقتك بنفسك واستمتعى بالحياة . وفى الصفحات التالية كان هناك حوالى عشرين سؤالاً وإجابة مثل :

س : هل هذا الثدي الصناعى ممتلىء بالسائل ؟

ج : لا ، إطلاقاً ، فإن ذلك النوع الممتلىء بالسائل من الممكن أن يسبب حرجاً بالغاً . وهو أيضاً ليس من الإسفنج الذى يُمتص ويتآكل ويتحلل .

ثم بعد ذلك يقول لنا الكتالوج : إن هذا النوع المسمى (ماتش ميت) بمعنى « الزميل الملائم » مصنوع من نوع خاص من الفينيل البلاستيك المعالج كيميائياً بمعنى أنه لا يتأثر بإفرازات الجسد أو أى عناصر خارجية . وتعجبت فى نفسى ، عناصر خارجية مثل ماذا ياترى ؟؟ الرياح والمطر والجليد والحريق ؟؟؟ !!

لا بأس بهذا كله ، ولكن كاليفورنيا بعيدة جداً ، أبعد من أن يذهب إليها المرء من أجل حفنة من الفينيل ... وقررت أن أقوم بزيارة إلى (تيريز لاسر) رئيسة جمعية (الوصول إلى الشفاء) وهى أحد فروع جمعية السرطان الأمريكية . وكانت لمسز (لاسر) شهرة كبيرة فى معرفة كل شىء يتصل بتلك الأجهزة الصناعية وقد أكدت لى هذا المعنى بنفسها حين قالت لى على التليفون وأنا أحدثها :

- إذا لم أكن أدرى به فليس لهذا الشىء وجود إذن !!

والمسز « لاسر » سيدة فى منتصف الخمسينات من عمرها ذات شخصية مهيمنة وحين ذهبت إليها كانت تجلس خلف مكتب كبير عليه أكوام من الصور والخطابات والصدور الصناعية التى أرنتى إياها على الفور .

وكانت كل هذه الصور والخطابات عن نساء أجريت لهن تلك الجراحة .

وأمسكت بيدها إحدى الصور لعروس شابة وقالت :

- أليست رائعة ؟

ووافقت على ذلك واستدرت من فوري أبحث عن الثدي المنشود ، وقبل أن أنتقل إلى موضوع الحملات نهضت وذهبت إلى دولا ب في الناحية الأخرى من الحجرة وعادت وهي تقول لي بكل فخر : « جربى هذا » .

وناولتنى ثديا ناعم الملمس وردى اللون شبيهاً بتلك الأشياء التي رأيتها في محل الرعب ذاك وأيضاً بلا حلمة . ولكن له وزن إلى حد ما . وتفحصته بعناية وقرصته ثم قلت :

- ملمسه لطيف ولكن أعتقد أنه كبير جداً .

- ليس لدى آخر أصغر منه ، جربيه على أية حال .

وأخذته ووضعته داخل مشد الصدر من الناحية اليسرى ، وقالت المسز (لاس) .

- إنه ملائم جداً .

ولكنه لم يكن كذلك ، فقلت :

- ألا ترين أنه كبير نوعاً ما ؟

وقفزت من جديد لتفتح درجاً آخر واتجهت ناحيتي ومعها شيء آخر مصنوع من الداكرون وقالت لي :

- ضعى هذا في الناحية الأخرى .

وبمتهى الطاعة حشوت ذلك الشيء داخل الجزء الأيمن من مشد الصدر ، عندئذ قالت المسز (لاس) وهي تكاد تصفق بيديها :

- الآن ، النتيجة مذهشة !!

كانت هناك سيدتان تنتظران بالخارج وأخرى على التليفون وألقيت نظرة سريعة على المرأة الطويلة خلف باب حجرتها .

أنا الآن ذات صدر كبير ممتلئ أكبر من أى وقت مضى فى حياتى ..  
وشكرت مسز (لاسز) التى كنت أشعر أنها فعلت أقصى ما تستطيع ،  
ووضعت الثدى القديم فى حقبتى وأسرعت إلى المنزل وأنا أرجو ألا أقابل  
أحدًا أعرفه فى الطريق .

وفى اليوم التالى قررت أن أصلح من الخلمة التى صنعتها بنفسى . ولحسن  
الحظ كان هناك فرع لشركة سنجر لماكينات الخياطة عند مركز « روكفلر »  
قريب جدا من إن . بى . سى . محطة التلفزيون الأمريكية حيث أعمل .  
وبعد انتهاء عملى ذهبت إلى هناك واتجهت مباشرة إلى قسم الأزرار وسألت  
البائعة :

- هل لديكم أية أزرار مصنوعة من القماش ؟

فأجابت بالنفى وأرتنى أنواعا من الأزرار التى لديهم . كان هناك مئات  
منها ، مقسمة حسب الألوان . وركرت على الأزرار ذات اللون البنى الفاتح  
وقلت لنفسى : « إنها تبدو جميلة » وتناولت لوحة من الأزرار المستديرة  
ذات اللون البنى الفاتح تبدو ناعمة ولمست إحداها وكانت من البلاستيك  
ولكنها لم تكن ناعمة على الإطلاق ... وكانت هناك أزرار أخرى ذات  
اللون البنى الفاتح الملائم ولكنها كانت صلبة جدًا وكبيرة جدًا . وكانت  
البائعة ترمقنى بنظرة مريبة وأنا أتفحص الأزرار كما لو كنت أفعل شيئاً غير  
لائق بأزرارها . وتحركت قليلا فوجدت نفسى وجها لوجه أمام القسم  
الذى يبيع « الكُلف » ملفوفة حول أكوام من الورق المقوى . كان هناك  
كميات تكفى لتزيين البيت الأبيض كله .

وتوقفت عند آخر صف من أسفل . كان هناك نوع من الكلف على  
شكل كرات صغيرة مستديرة .. كرات مستديرة !! ما أروع هذا !! كان  
بعض هذه الكرات ذات لون بنى منذهب .. إنها تمامًا فى مثل حجم حلمة

الثدى وفى نفس لونها أيضاً ، وإن كانت أكبر قليلاً لا بأس .. إنها لا بأس بها على الإطلاق .. وفكرت وأنا أحاول أن أخفى تأثيرى ، ثم انحنيت لأمس إحداها لمسة خفيفة ، إنها ناعمة تماماً مثل حبة البسلة المطهية .. ونظرت خلفى ووجدت أن البائعة ذات الشعر المجعد لا تزال ترمقنى فى رية .. وشدت ظهرى ، ومددت قامتى وقلت بلهجة واثقة :

- سأخذ هذه .

وجذبت البائعة اللوح وسألتنى كم يازدة أريد . وفكرت قليلاً ليس من المعقول أن أشتري كرة واحدة فقلت على الفور :

- ربع ياردة من فضلك .

ونظرت إلى وهى تقول :

- إن نصف ياردة هو أقل مقدار نبيعه هنا . فقلت : لا بأس .

وأعطيتها ستة وعشرين سنتا ومضيت مسرعة .

ومجرد أن وصلت للمنزل خلعت الحلمة التى كنت قد صنعتها بنفسى من قبل بمقاص الأظافر وخطتُ الحلمة الجديدة . كانت رائعة ومطابقة تماماً . وكانت هناك سبعة كرات إضافية متبقية من نصف الياردة الذى اشتريته ووضعتهم فى صندوق الحياكة الخاص بى .

يا للعجب ! ثمانى حلقات برع دولار فقط .. وابتسمت لنفسى وأنا أشعر بالرضى .

وبعد أيام عدت إلى السيدة (لاس) لأعيد الثدى الصناعى ولاحظت أن هناك سيدة تقف خارج مكتبها تقرأ إحدى المجلات . كانت فى مثل سننى تقريباً وكانت حلوة التقاطيع وناعمة بشكل ما . ووقعت عينائى على صدرها .

كانت ترتدى قميصاً أسبورا (تى شيرت) وكان الفرق بين ثدييها واضحاً جداً . كان أحدهما مستديراً والآخر مدبباً .

وأشارت لى السيدة (لاس) أن أدخل وأغلق الباب ، وهمست لى :

- هذه المسكينة خرجت من المستشفى منذ ثلاثة أسابيع فقط وزوجها يتوقع منها أن تفعل كل شيء . إنه يدفعها بشدة ، وسألته ماذا تعنى بذلك فأجابت :

- إنه يظن أن الطريقة الوحيدة لمعالجة هذه الأمور هي أن يضغط عليها - بالنسبة لمسألة الجنس - وهي مكثبة للغاية ولقد تحدثت معه فى هذا الشأن ولكنى لا أعرف إن كان هذا يجدى ، وسألتهما :

- كيف ذلك ؟ وهل معظم الأزواج الذين فى مثل هذه الظروف يتصرفون كذلك ؟

- إن معظمهم لا بأس بهم من هذه الناحية ولكن المرأة نفسها هي المشكلة واستطردت قائلة :

- إن أسوأ مشكلة تقع بين الأزواج والزوجات الذين هم فى مثل هذه الظروف هي سوء الفهم ، ففى بعض الأحيان يحاول الزوج أن يكون مراعيًا لظروف زوجته وحالتها النفسية فلا يضغط على زوجته بالنسبة لمسألة الجنس هذه ، فتترجم الزوجة هذا التصرف من ناحية زوجها على أنه قد فقد الرغبة فيها أو أنها فقدت جاذبيتها تجاهه . أو قد تشكو من أن زوجها يضغط عليها كثيرًا من هذه الناحية .. ولكن المشكلة الكبرى فى الحقيقة هي ليست فيما يشعر به الأزواج تجاه زوجاتهم بل ما تشعر به الزوجات تجاه أنفسهن .

وأنهت كلامها ونظرت إلى وحين لاحظت مدى اهتمامى بما تقول استمرت فى الحديث قائلة : إنها تعرف نساء لا يهتمن النظر إلى أنفسهن

أبدًا ، وتعرف امرأة قتلت نفسها أيضًا ، وأخرى تنام فى سرير منفصل عن زوجها بقية حياتها .

وسألتهما إن كان عمر المرأة يؤثر فى رد فعلها تجاه مثل هذه الجراحة فأجابت :

- ليس للمسن علاقة بهذا الشأن إطلاقًا ، إنما له علاقة كبيرة بفرور المرأة واعتزازها بنفسها فالمرأة التى قتلت نفسها كانت فى الستينات من عمرها . ولكنها كانت مغنية أوبرا سابقة وبالرغم من سنها فقد كانت تظن نفسها جميلة . وحين حدث لها هذا الشيء لم تستطع ببساطة أن تحتمله .. وإلى جانب هذه الحالات الشاذة هناك مشاكل أخرى أيضًا .  
وسمعت نفسى أقول لها :

- من الأفضل أن أذهب الآن .. شكرًا على كل شيء .

وفجأة وجدتنى أندفع خارجة .. فعلى الرغم من الحكايات المبالغ فيها التى سمعتها فى المستشفى عن مثل هذه الحالات إلا أنها لم يكن لها أبدًا ذلك التأثير السيئ الذى تركته حكايات مسز (لاس) بى .. لقد كانت مجرد أحزان نساء أخريات .. أما الآن وقد جربت بنفسى بعضًا من هذه الأحزان فالأمر مختلف .

وعلى الرغم أنه لم يكن لمسز (لاس) ذنب فيما حدث لى ، إلا أن حكاياتها قد سببت لى حالة من الاكتئاب بقية ذلك اليوم والأيام التالية له . ولم أكن قادرة أن أزعج من رأسى صورة تلك المرأة الجميلة المسكينة التى رأيتها عندها ذلك اليوم .

ولمعت فى ذهنى صورة أخرى هى صورة (بتى فورد) زوجة الرئيس الأمريكى وهى تلوح للجماهير من شرفة البيت الأبيض . وأدركت على الفور قدر الدعاية التى أحاطت بهؤلاء النساء الشهيرات وعن شجاعتهم ..

وأدركت أكثر من أى وقت مضى القدر الضئيل جداً من الدعاية أو عدمها  
بالمرة عن أيامهن السوداء ومعاناتهن مع المرض . شىء طبيعى !! !! ولكن  
لماذا يكون هذا شيئاً طبيعياً . أن يخفين أيامهن السوداء عن أعين الناس  
ويظهرن فقط الجانب المضىء من الصورة .

كانت كل هذه الصور موحية وملهمة لى .. وتساءلت فى نفسى كم من  
النساء يمكننى مساعدتهن بشكل أكثر فاعلية إذا علموا بالجانب الحزين  
من تلك القصص جنباً إلى جنب مع قصص الشجاعة والبطولة .. لو أننى  
أستطيع الكتابة عن ذلك ، لأمكننى مساعدتهن ... . وقررت فى ذلك  
اليوم وأنا أستقل الأوتوبيس من الشارع الثالث أن أقص قصتى الحزينة لكى  
يشعر كل من عانى من هذا المرض أن لهم رفقاء فى تلك الرحلة ... ..  
وأجعل هؤلاء النساء أصحاب الشجاعة يشعرون بمزيد من الشجاعة ...

ولقد شغلنى الاهتمام بالثدى الصناعى عن الحزن والأفكار الكئيبة  
لفترة .. ولقد كان من الطبيعى لمن كان فى مثل حالتى أن يقضى  
الساعات يفكر فى الثدى والحلمات المثبتة ولكن ذلك فى الواقع لم  
يشغلنى تماماً عن الأفكار المظلمة والمشاعر الكئيبة .. ففى بعض الأحيان  
تتسلل هذه الأفكار خلصة مثل رد الفعل الذى حدث لى وأنا أستمع  
لحكايات مسز ( لاسر ) .

وكانت هناك لحظات سيئة تمر بى . ففى أحد الأيام مثلاً بعد أن استعاد  
ذراعى حالته الطبيعية تقريباً . قررت أن أقوم بعمل بعض التمرينات الرياضية  
التي اعتدت أن أقوم بها كل يوم لمدة خمس دقائق وأنهاها بالجرى فى  
المكان مائة مرة . وعادة لم أكن أرتدى مشد للصدر وأنا أقوم بهذه التمرينات  
الرياضية . فكنت حينما أصل إلى الجزء الخاص بالجرى كنت أمسك  
بثدى حتى لا يترجرجان أثناء الجرى ..

وفى ذلك اليوم وبعد أن انتهيت من أداء بعض التمرينات بدأت أستعد لفقرة الجرى فى مكانى مثلما اعتدت . ودون أن أشعر تحركت يداى لتمسكا بصدرى كالعادة . ولكن فى أقل من ثانية أرسل مخى إشارة إلى اليد اليسرى بأنه ليس هناك شىء تمسك به !! فأزلت ذراعى الأيسر واستمررت فى الجرى فى مكانى ... ولكن .. كان على أن أتوقف قبل أن أصل إلى العدد مائة .. لأننى كنت أبكى بحرقه عندئذ ... !! !

وبعد ذلك بشهور وكنت فى إجازة قصيرة وفى حمام سباحة فى إحدى المناطق بفلوريدا وكنت أرتدى الثدى الصناعى الجديد الذى وضع فى جيب مخصص له فى أعلى المايوه الذى كنت أرتديه (والذى كان قد خيط خياطة إضافية من الأمام مسافة بوصة كاملة ليخفى علامة الجرح فى صدرى) ولذلك لم تكن عندى مشكلة « ثدى » كى تشغل فكرى . ومضى الوقت وكان يوماً رائعاً وأنا راقدة على أحد كراسى البحر والشمس عالية وحارة فوق رأسى ، وعقلى غائب تماماً عن موقع الثدى على صدرى .. ثم نظرت لأعلى فرأيت فتاة تسير بالقرب منى وهى ترتدى مايوه بيكىنى مختصر جداً لونه فوشيا زاهى . وكانت تبختر فى مشيتها متجهة إلى حافة الحمام .. وكان صدرها كبيراً ممتلئاً . وانشغلت عنها بالقراءة ولكن كنت فى كل مرة أرفع عينى عن الكتاب أجدها تتمخطر تجاه منصة الغطس جيئة وذهاباً مرات عديدة وحاولت الاستمرار فى القراءة ولكن دون جدوى .. فلقد استمرت هى فى الاستعراض واستمررت أنا فى النظر إليها .. وهكذا .. وقبل أن أدرك ما حدث لى كنت أنشج بفضاعة ... .. ولحسن الحظ كان معى نظارتى الشمسية لأخفى بها عيونى .. ولكن لم يكن معى مناديل ورقية ، فاندفعت إلى داخل الفندق لأصلح من شأنى .. ولقد احتجت إلى ساعة كاملة قبل أن أكون جاهزة لمغادرة الحجرة .. ومن يومها لم أذهب أبداً إلى حمام سباحة !! !

وليست هذه الحادثة أسوأ من كثير غيرها والمشابهة لها من حيث الحقد على ذوات الصدور المكتملة وذلك فى بادئ الأمر .. ولكن هذه الحادثة آلتنى أكثر من غيرها لأنها جاءتنى فى وقت لم أتوقع أن أشعر بمثل تلك المشاعر بعدما بدأت أتأقلم مع حياتى الجديدة . وربما كنت بدون وعى منى أتوقع أن مثل هذه المشاعر قد انتهت .

إن مثل هذه الحوادث ذكرتنى أنه على الرغم أن شعورى قد تحسن تجاه ما حدث لى وأنه مستمر فى التحسن مع الأيام .. فإن ما حدث لى ينتهى أبداً .. أبداً .

وبعد أسابيع من البحث ذهبت أخيراً إلى (أن . أر . بور) من ميتشجان حيث استقبلنى (دنيس لى) فى بدروم المركز الجامعى الطبى .. وهو مختص بصناعة وعمل الثدى الصناعى حسب الطلب .. وهو الذى وعد بأن يصنع لى حلمة بارزة .. ومن اسمه توقعت أن يكون صينى الجنسية ولكنه لم يكن كذلك ، ولكنه كان شاباً نصف أوروبى وأمريكى وكان أبوه يعمل طبيباً للأسنان ويبدو أن مهنة والده قد تركت بصماتها على تجارة ابنه . إن طريقة المستر (لى) فى صنع الثدى تتطلب أخذ نفس البصمة التى يأخذها طبيب الأسنان . الفرق هنا أنك نفسك موضع السن .. بمعنى أنك تجلس فى كرسي يشبه إلى حد كبير كرسي طبيب الأسنان ثم توضع مؤثرة أو (مريلة) مثل التى يستعملها طبيب الأسنان ، ولكنها هنا توضع حول الوسط بدلاً من الرقبة ، ثم تؤخذ بصمة للصدر مثل التى تؤخذ للسن . وكان الأمر يبدو لى معقولاً حين شرح لى مستر (لى) ذلك ولكننى أعترف بأنه حين أجلسنى على الكرسي وتجردت من ملابسى حتى الوسط ، وحين اقترب منى ومعه وعاء أصفر ممتلئ بمادة طبخت جيداً تشبه إلى حد بعيد دقيق الشوفان المطهو وأخذ يفرشها كلها فوق الجزء العلوى من جسدى بملعقة بلاستيك .. عندئذ بدأت تساورنى الشكوك .

لقد قال لى قبلاً عن دقيق الشوفان هذا إنه مادة مطاطية تتجمد وتحول إلى كاوتش بنفس الطريقة التى تحدث فى الفم .

ولست بحاجة لأن أصف شعورى .. فحينما يتعلق الأمر بالصدر فإن الأمر يبدو مختلفاً . فى بادئ الأمر شعرت بهذه المادة باردة بشكل منفر ثم بعد عشر دقائق شعرت بها دافئة بشكل منفر أيضاً . وقبل أن تتجمد هذه المادة اتجه مستر (لى) ناحيتى ومعه إناء آخر ممتلئ بعجينة كريمة لاصقة . عندئذ لطح هذه العجينة التى تشبه الكريمة فوق العجينة المتكتلة وغطى هذا كله بشاش كى تحفظ العجينة بشكلها كما قال لى .

وحينما تجمد هذا الخليط وكنت قد بدأت أتساءل كيف سيخرجنى من وسط هذا كله التقط مستر (لى) هذا الشيء بأطراف أصابعه وجذبه قليلاً وإذا بالشيء كله ينزلق من فوق جسدى بنفس السهولة التى تنزلق بها قشرة الموز .. وقال لى مستر لى :

هذه كما ترين هى الصورة السلبية . وأخذ معه قالبى المطاطى إلى حجرة مجاورة .

- والآن نملأ هذا القالب بالحشو، ونحصل بعد ذلك على الشكل بصورته الإيجابية ثم ننسخ صورة طبق الأصل من هذا الثدي من الطمى ، وعندئذ نحن نقوم بعمل الثدي الصناعى بدهن خليط خاص من مادة السليكون ، ومادة أخرى حفازة ، ويدهن هذا الخليط على الشكل الجديد ونتركه حتى يجمد ثم نقشره ونملأ ذلك القالب الأخير بالجلسرين حتى نصل إلى الوزن المطلوب ثم نكسى الظهر لدعمه .. وهكذا ...

كان يتكلم وأنا مازلت أجلس فى الحجرة نصف عارية وتلك العصيدة المتجمدة ملتصقة بالمثزرة البلاستيكية التى أرديتها وقلت وأنا أجاهد لأنهض من على الكرسي :

- إن هذا لشيء مثير حقاً .. وقال :
- دعيني أساعدك ، وقبل أن ترتدى ملابسك دعينا نلقى نظرة على هذه !
- ثم ذهب إلى دولاب قريب من الحائط وأخرج منه قليلا من البطاقات عبارة عن عينات للألوان معظمها نحاسي اللون أو بنى فاتح . وسأته :
- لأى شيء هذه الألوان ؟
- هذا لكى نصل إلى اللون المناسب ، ورفع إحدى البطاقات قريبا من بشرة ثديي الأيمن وقال :
- هذا يبدو مناسباً . !! ثم استطرد قائلاً :
- من الطريف أن معظم النساء بصرف النظر عن لون بقية أجسادهن يفضلن هذا اللون للثدى الصناعى . ووافقته على ذلك وتعجبت ماذا سيفعل بياقى العينات إذن !!
- ثم قال :
- والآن نرى اللون المناسب للحلمة .
- قال ذلك وهو يمسك بالألوان الأغمق من اللون النحاسى ويقربها من حلمة ثديي ... ..
- .. ربما لو استعملنا هذا اللون وأضفنا إليه لمسة من الأزرق ...
- ثم رفع البطاقات الملونة وقال :
- أوكى .. يمكنك ارتداء ملابسك الآن .
- ثم عاد إلى الحجره بينما أرتدى مشد الصدر والثدى الصناعى ثم البلوزة فوقها . وحين لحقت به فى الحجره الأخرى كان يجلس خلف مائدة ولم ألاحظ الأشياء التى كانت فوق المائدة إلى أن قال :

- أعتقد أنك ربما تريدین معرفة ماذا نفعل أيضا غير ذلك ..  
ووقع نظری على اللوح الأخضر الموجود فوق تلك المائدة .. وكان  
هناك .. وباللمفاجأة .. ثلاث أذن .. وأصبعان .. وأنف واحد .  
وقلت دون أن أقرب أكثر :

- لمن هذه الأشياء . وأجاب :

- لأناس فقدوا أجزاء من أجسامهم بسبب السرطان أو بسبب  
الحوادث .. لقد جاءت إلى هذا الصباح إحدى السيدات وقد فقدت أصبعها  
الثالث في معركة .

وسألته وأنا أحاول ألا أشير إليه :

- وهل أحد هذه الأصابع هو أصبعها البديل !! ؟ ؟ ؟

- أوه - لا ، إن أصبعها البديل لن يكون جاهزاً قبل أسبوعين . وأنت  
أيضا لن تتسلمى الثدي الخاص بك إلا بعد أسبوعين أيضا .

وأردت أن أسأل المستر (لى) المزيد من الأسئلة دون أن يكون بيننا هذا  
العرض البشرى .. ومن ناحية أخرى لم أكن أريد أن أخرج مشاعره بأن  
أطلب منه أن يعيد هذه الأشياء ... ..

وقررت أن أستمرفى الحديث وأنا أتجنب النظر إلى هذه الأشياء بمحاولة  
النظر إلى عينيه فقط .

وسألته :

- كيف يتأتى أن يكون الثدي الصناعى حسب الطلب شيئا صعب  
الحصول عليه إلى هذه الدرجة .. أعتقد أن كل امرأة فقدت ثديها بسبب  
السرطان تريد تماما بديلاً مائلاً أقرب ما يكون إلى الشكل الطبيعى .

- إن النساء يردن ذلك ، لا بأس ، ولكن ليس من السهل صنعها ..

فكثير قد حاولوا ذلك ولم يوفقوا .. هناك العديد من الأخطاء يمكن أن تحدث ... كأن يكون ظهر الثدي مؤلماً ، أو يكون الثدي ثقيلًا جدًا ، وغير ذلك من الأخطاء التي يمكن أن تحدث . ثم ابتسم وهو يقول :

- إن (تيريز لاسر) لها نظرية حول سبب عدم وجود البديل الصناعي الملائم تمامًا للثدي ، هل تودين معرفة ماذا قالت :

- « لأن مثل هذه الجراحات تجري للنساء فقط . هذا هو السبب الحقيقي - فإذا كانت مثل هذه الأشياء تحدث للرجال ويقطعون مثلاً خصياتهم فإنهم سيعملون جاهدين لصنع شيء بديل على الفور » .

وضحكت وقلت :

- إنها محقة ولا شك .. وكنت قد نسيت وجود تلك الأشياء ، ووقعت عيني دون أن أدري على المائدة التي أمامي فأبعدت عيني على الفور ثم قلت :

- حسنًا ، من الأفضل أن أذهب الآن .

- سأصحبك إلى حيث يمكنك أن تجدي تاكسيا .

ولقد كان المستر (بى) لطيفاً معى بحق .. ومشيئاً عبر ممر طويل ثم صعدنا إلى الطابق الأرضى ثم إلى خارج البوابة . ووجدت تاكسيا فى الحال .

- شكراً جزيلاً وإلى اللقاء .

- إلى اللقاء . قالها وهو يبتسم ابتسامة لطيفة وينحنى قليلاً حتى يرانى من خلال نافذة السيارة . ثم أضاف :

- هناك فقط مشكلة تتعلق بهذه الأشياء . ففى حالة تسرب السائل من الثدي ، دعيني أعرف ... واندفعت السيارة مبتعدة .

## الفصل التاسع عشر :

وفى نهاية الثلاثة أشهر كان هناك موعد مع الدكتور (سنجرمان) وكان هذا هو أول موعد لى معه منذ أن رفعت الضمادات ، وكنت أتطلع إلى هذه المقابلة وكأنها موعد غرامى ، وفى نفس الوقت كان يخالجنى خوف من احتمال أن يجد شيئاً فى الثدي الأيمن .

وكانت النتيجة سلبية فى الجانبين ، لا أورام فى الثدي ولا أشواق تجاه دكتور (سنجرمان) أيضاً . مثل شخص كنت تراه جميلاً ثم صار قبيحاً من فرط البدانة فلم أعد وأهّعة فى غرامه مثلما كنت من قبل .. وهو أيضاً بدأ أقل اهتماماً بى ، ولكنه من الناحية الطبية فقد فحصنى فحصاً جيداً وأبدى اهتماماً بالثدى الصناعى الذى أستعمله ولكن بلا مشاعر خاصة .. فأننا الآن مريضة قديمة قادمة للفحص الدورى كل ثلاثة أشهر . بل إن أسلوبنا فى الحديث قد تغير أيضاً .

وبهذا التحول الجديد استطعنا أن نرددش بصراحة وإن كانت كلها دردشة حول زيارتى الأولى له قبل إجراء العملية . قال لى مثلاً : إنه كذب على وقتها ، فلم يكن يعتقد أن احتمالات الإصابة بالسرطان لدى كانت ٧٠٪ أو ٦٠٪ ، بل إنه كان يعتقد أنها ٩٧٪ .. ثم جذب الكارت الخاص بى ، وقرأ ما كان قد كتبه فى ذلك اليوم « سرطان أنبوسى فى الأنسجة » . إلى هذا الحد كان متأكداً ، ولقد خمن سؤالى التالى فاستطرد قائلاً وهو يضرب بيده على المكتب :

- اسمعى ، لقد ندمت على أننى أخبرتك بهذا القدر من المعلومات ، لقد ندمت على ذكر أية أرقام أو نسب لك على الإطلاق . لم يحدث أن فعلت هذا من قبل ولن يحدث .. ولن أفعلها ثانية . لقد أخبرنى دكتور « سميث » كثيراً عن شجاعتك وصلابتك وكان يقول لى : إنها مراسلة

صحفية .. إنها صحفية .. إنها تعرف كل شيء عن هذا المرض ويمكنها أن تتحمل الصدمة وتجتاز الأزمة . ثم بعد كل هذا .. انظري ماذا حدث حين أخبرتك .. بدأت أكلمك عن أنواع الجراحات المختلفة وإذا بعينيك تتحولان إلى عيين من زجاج و .. » .

وقاطعته :

- انتظر لحظة كل هذا لأن رد فعلى كان مثل أى كائن بشرى لو كان فى مكانى . ليس معنى ذلك أننى لم أحتمل الصدمة .. أو أننى أضعف من أن أواجه الموقف .. لقد تحملتها ولذلك بكيت .. هذا كل ما فى الأمر .. ولعل هذا كان أفضل .. لقد ساعد على أن تسير الأمور بشكل أسهل فيما بعد . ولكننى أعتقد أن معك حق فى مسألة الأرقام هذه .. لقد كنت على حق فى عدم إخبارى بنسبة ٩٧٪ تلك .. فهذا صعب للغاية . وبالمناسبة ، ما الذى جعلك متأكدًا هكذا من هذه النسبة ؟

- حينما أقرص جلد البشرة فإنها تتثنى ثنيات أو تجاعيد خفيفة .. أحيانا تكون هناك تجاعيد بدون قرص .. وعلى أى الحالات فإنها علامة مؤكدة .

وفى طريقى للخروج لاحظت أن مساعدته التى كانت قد حجرت لى مكانًا فى أول الأمر لم تكن موجودة ، وحلت محلها فتاة أخرى .. وذكرتنى سلة المهملات فى حجرة الفحص بذكريات نزع الضمادة .. وحتى هذه الذكريات بدت كأنها منذ زمن بعيد مثل فقرة قرأتها فى رواية وأنا تلميذة بالمدرسة .

وفى تلك الليلة حينما عدت إلى المنزل اتصلت بى صديقتى (إيريكأ) وكانت فى حالة بائسة ، فبسبب التوفير فى ميزانية المدينة كانت مهددة بفقد وظيفتها فى جامعة المدينة . وكان زوجها يُكثر من الشراب ويتشاجر

معها ، وأولادها يتصرفون بطريقة تدفعها إلى الجنون . وتكلمنا معا أكثر من نصف ساعة .. فلقد كان من عادة (إيريك) أن يتحدث كثيراً في لا شيء .. ولكن في هذه المرة كانت الأمور تبدو حقيقة سيئة . وأنهيانا المكالمة وبدأت في إعداد طعام العشاء وأنا أفكر في صديقتي (إيريك) ومشاكلها . وكنت أفكر بعمق ما الذى يمكن أن تفعله في هذه المشكلة أو تلك ؟ .. وأفكر أيضاً ما الذى يمكننى عمله من أجلها ؟ .. كل هذا وأنا منهمكة في إعداد اللحم ووضعه فى الفرن .. وتوقفت للحظة وسط المطبخ وخطر لى خاطر عجيب .. فتلك هى المرة الأولى التى أفعل فيها شيئاً لم أفعله منذ فترة طويلة - أن يتتابنى القلق على شخص آخر - وسرحت .. أخيراً بدأت أنشغل ولأول مرة بشخص آخر غير نفسى ..

وبدأ العمل يشدنى من جديد وبعد حوالى ستة أسابيع من الجراحة جذب انتباهى موضوع عن صغار المجرمين من الأحداث .. هؤلاء الأولاد الذين يتسمون بالعنف لقد سبق أن قرأت عنهم فقط .. إنهم أطفال وليسوا أطفالاً .. إنهم لا يشعرون بالندم أو الذنب تجاه ما يرتكبون من جرائم مهما كانت فظيعة .. وبعضها فظيع حقاً .. ولأنهم أحداث صغار السن فإن القانون لا يستطيع أن ينال منهم .. فهم أصغر من ١٨ سنة وأقصى عقوبة ينالونها هى ١٨ شهراً حجز بمركز للاعتقال بصرف النظر عن نوع الجريمة التى يرتكبونها .

لقد كان موضوعاً جيداً ومهماً .. وكان على أن أعمل هذا الموضوع مع شخص أحب العمل معه بشكل خاص هو (إيرا سيلفرمان) وهو رجل فنان حساس حلو الكلام ، ولقد سبق أن عملت معه موضوعين آخرين وكانت أعمالاً جيدة .

ومن جديد - بدأت أشعر شعور الأيام الخوالى تقريباً !!

وفى وكالة (إن . بى . سى .) وفى أى موقع ، هناك جزء من العمل

قد يبدو تافهاً أو مملاً .. نوع من العمل لا تستخدم فيه كل إمكانياتك .  
وفي الفترة السابقة شغلت وظائف واحتفظت بوظائف .. ومثل أى شخص  
تعلمت أن أكون جندياً جيداً فيما يختص بمثل هذه النوعية من الأعمال ..  
لا ميداليات ولا شيء ، فقط استيقاظ فى الصباح الباكر . وكانت معظم  
أعمالى فى وكالة (إن . بى . سى) تُعنى بتغطية ما يعرف بأخبار الموقع .  
ذلك النوع من الأخبار المجردة التى لا أفضّلها ، وبعض هذه الأخبار يشد  
الانتباه أو يلفت الأنظار . فمثلاً لا يجب أن يفوتنى تغطية حدث مثل  
الشغب الذى حدث فى أحد سجون فرجينيا القريبة منذ عامين .. أو محاكمة  
(توني بويل) ذى الوجه الذى يشبه الطائر والذى لن أنساه أبداً .. أو تغطية  
أخبار مقتل حاكم برمودا .. إلخ ولكن مثل هذه الموضوعات تهمنى أكثر  
كحجارب حياة أكثر منها كحجارب صحفية ، ومثل هذه الموضوعات تحتاج  
أيضاً إلى قوة احتمال ، تحتاج أن تقف على قدميك ساعات طويلة لكى  
تقوم بتغطية إخبارية واقعية .. إنها أشياء جافة وصعبة ولكنها مثيرة وبعض  
المراسلين يهتمونها التهاماً ، ولكننى كنت أفضل دائماً الموضوعات التى  
يغلب عليها طابع المقال التحليلى للذين يحترمون هذا النوع من الأخبار أو  
المقال التاعم للذين لا يحترمونه . وأنا أحب هذا اللون لأنه يتيح لى الفرصة  
للتحليل والتعمق فيما وراء الأخبار .

وهناك نوع آخر من المهام الصحفية لا يعطينى أى لذة أو اهتمام ، وهو  
أحداث اللا أحداث ، بمعنى أن يرسلوك إلى مكان ما حيث تظل تحوم  
خارج المنزل أو المكتب أو أى مكان آخر يوجد فيه شخص مهم (ودائماً  
يكون رجلاً لا امرأة) لا يريد أن يراك وأنت تنتظره حتى يخرج ، وحين  
يخرج تندفع أنت وسبعة وأربعون صحفياً آخرون ينتظرون مثلك ليسألوه  
سؤالاً لا تحصل على إجابة شافية له تقريباً ، أو تحصل على شيء لا يشبه  
الإجابة ، هذا ما يحدث إذا خرج الشخص وتكلم .. ولكن فى أحيان كثيرة

لا يخرج مثل هذا الشخص على الإطلاق ، أو ربما يتسلل خارجًا من باب آخر .. وفى بعض الحالات لا يكون موجودًا هناك بالمرة . ولكن الصحفيين الذين يكلفون بهذه المهام ينتظرون و ينتظرون فى الخارج حيث يكون الجو إما باردًا كالصقيع أو يغلى كالبركان وهم ينتظرون ، لأنه إذا غادر أحدهم المكان فربما يحصل مراسلو الشبكات الإخبارية الأخرى على « اللإجابة » ولا يحصل هو عليها . والعذر الوحيد للصحفى لكى يغادر المكان هو أن يذهب إلى دورة المياه . ولأن شبكات الإذاعة والتليفزيون كثيرة المطالب ودائمًا تريد المزيد من الأخبار فإنهم لا يتوقعون أن يترك المراسل مكانه ليفرغ ما فى كليتيه ، وهم لا يمكنهم مغادرة المكان إلا إذا تركوا أحدًا يحل محلهم . وليكن على الأقل المصور موجودًا ليلتقط صورة لذلك الشخص الذى يندفع خارجًا من المبنى فى اتجاه السيارة التى تنتظره .

و حينما كنت أ غادر المكان إلى دورة المياه كنت دائمًا أستغرق وقتًا أطول مما ينبغى ، وأنا أتمنى من كل قلبى أن يخرج ذلك الشخص وأنا غائبة عن مكاني .

لقد ذكرت كل هذا لكى أقول : إنه بعد شهر أو شهر ونصف من استئصال الثدي كنت أشعر بسعادة وأنا أودى الجزء الذى أحبه وأفضله من عملى ، وفى نفس الوقت ، كنت أشعر بشعور قوى لا يخطئ ومتزايد بالأ أقوم بالجزء الآخر .

ولم أفكر كثيرًا وبوعى فى الموت منذ ذلك اليوم الرهيب .. ولكن فوضى الأرقام والنسب كانت مختبئة فى ذاكرتى تمامًا . مثلما تختبئ الصراصير فى الأركان المظلمة ، وأكاد أنسى وجودها تقريبًا ، ولكن فى كل مرة أضىء النور أكتشف أنها موجودة .

وفكرت .. إذا كنت سأموت قريبًا .. فإننى لا أريد أن أفضى الوقت الباقى لى فى تقشير البطاطس . بمعنى أننى لم أكن أريد أن أفضى الأسابيع الباقية

لى ، أو الشهور أو حتى السنوات الباقية من عمرى لكى أتواجد فى أماكن الأحداث لتغطيتها . كأن أتواجد فى مكان حريق أو أن أدفع بالميكروفون فى وجه أحد الشخصيات البارزة من ذوى الأفواه المغلقة أو حتى المفتوحة على أحسن الفروض ولكن هذه هى طبيعة الوظيفة .. أو على الأقل جزء منها . كان كل هذا يتصارع فى داخلى .. وكنت أكتب أكثر وأكثر وأكتب عما جرى لى وكنت أعرف تمامًا أننى لا أكتب من أجل نفسى فلم أفعل ذلك أبدًا ، ولم أكن لأبدئه الآن . ولكن فكرة النشر جعلتنى لا أشعر بارتياح أيضًا .. فأنأ لا أكتب عن فلان أو إعلان أو عن الأمومة أو أى موضوع آخر ، إننى أكتب عن نفسى .. مادة شخصية بحتة . فإذا كتبت كتابًا - وهى الطريقة الوحيدة لتناول هذا الموضوع - فليس من أجل أن أخفيه .. ولكن ، هل أنا حقيقة أريد أن يعرف العالم أو حتى المدينة التى أعيش فيها . أن يعرفوا جميعًا شيئًا خاصًا جدًا بى عن مشكلة حلمة ثدى !! ؟ ؟ أو ما يعتمل فى نفسى ؟ ؟ أو شىء عن (آرثر) ؟ ؟ هل أنا حقيقة أريد العالم كله أن يعرف هذه التفاصيل ؟ ؟

ولم أكن قد وصلت إلى قرار عندئذ ، ولكن فكرة كتابة كتاب عن هذا الموضوع ظلت تراودنى وتلح على .. ولم يعد هناك بُد من تنفيذ الفكرة .. وهكذا .. فقد بدأت مشاغل جديدة أهم من البحث عن ثدى بديل وحلمة ملائمة .. ولكن النشر يعنى التقدم .. والتقدم يعنى مزيدًا من النقود يعيش بها المرء وكل هذا يصلح عذرًا مقبولاً لترك وكالة (إن . بى . سى .) لفترة . وسألنى أحدهم :

- لقد سمعت أنك قررت أن تلدى نقودًا للعلاج النفسى وتؤلفين كتابًا !! ؟

وأجبتة بكل ثقة :  
- نعم .. هذا صحيح تمامًا .

## الفصل العشرون :

وكان الناس يتساءلون عما إذا كان هجرى (لآرثر) له أية علاقة بالعملية ، وبالطبع كان له علاقة ، ولكن ليست بالشكل الذى يتصورونه .. ولم يكن السبب أن رد فعل (آرثر) تجاه ما حدث لى كان يتسم بالنذالة أو اللامبالاة .. لا لم يكن كذلك .. بل إنه استطاع أن يرتفع فوق مخاوفه من أن يتلى بشيء مشابه لما حدث له مع أمه .. أو على الأقل تصرف كأنه ارتفع فوق هذا الأمر .. بل إنه أيضاً لم يجعلنى أشعر بأننى إنسانة غير مرغوبة أو غير جذابة أو أى شيء من هذا القبيل . فى الواقع لقد كان معى مثلما كان دائماً .. وتلك كانت المشكلة !! فقد أصابنى الفزع فجأة بعد العملية من الأسلوب الذى تسير به حياتنا .. فلقد تركت جانباً كل ما أحبيته فى (آرثر) وركزت تفكيرى على كل ما هو خطأ .. وفى الفترة الأخيرة كانت هناك أشياء كثيرة خطأ .. فلقد كنا نتشاجر أكثر .. وكان هو قد بدأ يشرب أكثر .. وكنت أنا أكثر نقداً وأكثر سخرية .. وبدأنا نناوش بعضنا أمام الآخرين وفى الحفلات التى ندعى إليها . وكان الآخرون يعتبرون أننا مثيرون للضحك .. ولقد كنا كذلك فعلاً .. ولكننا لم نكن نشعر بذلك نحن أنفسنا .. وفكرت كثيراً فى هذا الأمر .. وكلما فكرت فيه ازدادت خوفاً . وكان الأمر كله يبدو أمام عيني وكأنه فيلم سينمائى متعاقب المشاهد .. يعرض أمام عيني . وباستمرار المشاهد السيئة التى جمعتنا معاً !! وكان أحد المشاهد قد وقع قبل شهرين تقريباً من إجراء العملية .. وكنا فى إجازة فى (جامايكا) ومرضت واحتجت إلى طبيب .. واعتقد (آرثر) أننى أدلل نفسى ولم يشأ أن يستدعى الطبيب ولما صرخت من الألم ، استدعى الطبيب أخيراً واتضح أن درجة حرارتي كانت ٤٠° وأننى مصابة بتسمم غذائى .

وهناك أيضاً مناسبة عيد زواجنا الفظيعة فى أغسطس الماضى . وكنت قد استيقظت فى الخامسة صباحاً لألحق بطائرة لتغطية أخبار « نيلسون

روكفلر « فى إحدى المناطق .. وفى محاولة العودة فى الموعد المناسب من أجل أن نتناول أنا و (آرثر) طعام العشاء معاً ، كدت أضيع الموضوع الذى جئت من أجله .. واستطعت أن أصل فى الموعد أخيراً حوالى الثامنة والنصف وكنت ألث من شدة التعب والإجهاد ولكننى كنت أشعر بالنصر لأننى استطعت اللحاق « بآرثر » ولكن بعدها بلحظات بدأت أتئأب من النعاس ولم يكن (آرثر) متسامحاً مع الذين يغلبهم النعاس مبكراً .. وكنت أعلم ذلك .. ولكننى لم أتمالك نفسى واعتقدت أنه ربما يتساح معى هذه المرة ، لشدة تعبى ، ولكنه لم يفعل وثار غاضباً وثررت أنا أيضاً وذهبت إلى السرير. وظل هو ساهراً وأكثر من الشراب تلك الليلة وفى الصباح كنت عابسة واجمة بينما ذهب هو ليلعب التنس . وليس هذا بالطبع بالمشهد الخطير ، ولكنه مشهد عابس آخر . ولم نستطع أبداً أن نعقد العزم على عدم تكرار هذه المشاهد بل كانت تختفى لفترة لتظهر من جديد ..

وكان (ديفيد) هناك غير بعيد فى فيلادلفيا ينتظر أن أتخذ خطوة .. ولكننى لم أكن أريد أن اتخذ هذه الخطوة .. فلقد أحبيت زوجى وأعرف أنه يجنبى بطريقته .. وبجانب الكثير الذى عرفته عن الحياة فلقد تعلمت ألا أتوقع الكثير .. وأن المشاكل هى جزء من هذه الحياة ، وقلت ذلك لنفسى بنفس الطريقة التى يمكن أن تقولها أمى لى . فالمشاكل هى بالتأكيد جزء من أى زواج .. وعليك أن تعمل على حلها أو تعيش بها ولكن لا تترك الزواج .. فالأزواج لا يتغيرون مثلما يتغير شركاء الرقص ..

وعند هذا الحد توقفت الموسيقى وشعرت بالخوف وكلما شاهدت المزيد من هذه المشاهد السيئة ازدادت خوفاً . ثم تذكرت شيئاً .. ولم يكن منظرًا أو مشهداً بل كان نوعاً من الحضور بينى وبين (آرثر) .. وهذا ما أزعجنى أكثر من أى شىء .. النساء الأخريات .. ولم يكن (آرثر) زير نساء وكنت متأكدة أنه لن يهجرنى .. وأقصى ما كان يفعله .. هو مغازلة النساء أو

مداعبتهم .. وفكرت .. إنه إذا حدث ذلك الآن فى ظروفى هذه فلن أستطيع التعامل مع مثل هذه المواقف .. ببساطة لن أستطيع .

والواقع أننى لم أكن بحاجة للتعامل مع هذه الأمور لأن (ديفيد) كان هناك ولم أكن متأكدة أننى سأستطيع أن أحبه ولكننى تصورت أن من المحتمل أن أحبه لو أننى فقط أخرجت (آرثر) من نظام حياتى فسيكون هناك فراغ .. عندئذ أستطيع أن أحب (ديفيد) . على أية حال لقد كان الأمر يستحق المحاولة ، لأن (ديفيد) قبل كل شىء كان شخصاً رائعاً . ليس بسبب وده لى فى المستشفى ، أو لأنه يريد أن يتزوجنى رغم ما حدث لى . فبغير ذلك كله كان شخصاً كاملاً ، وكان جذاباً ووسيماً ومسلماً أيضاً (لم يكن مسلياً مثل « آرثر » .. ولكن لا يهم ذلك) وكان أيضاً عطوفاً وسهل المعشر وسلساً تجاه كل شىء . ولم يكن يهيمه كثيراً ذلك التدى المفقود ، وأيضاً (آرثر) لم يهتم بذلك الأمر ولكنه كان يتجاهله بينما كان (ديفيد) يقول كثيراً من الأشياء الجميلة مثل :

« إننى أحبك لشخصك وليس لجسدك » . وكان (ديفيد) ناضجاً يرتدى البدل وأربطة العنق ويذهب إلى مكتبه مثل أى رجل محترم ، ومثل أبى ، وكان يحبنى جداً ولقد قال ذلك مرات عديدة وكنت أصدقه ، وكان يكرر ذلك فى مناسبات كثيرة وبطريقة رائعة كأن يقول مثلاً : « لم أحب أبداً أحداً فى حياتى بمثل الطريقة التى أحبك بها » وكان يقبلنى فى الشارع وفى المطبخ - على الرغم من أننا لا نذهب إلى المطبخ كثيراً حينما نكون فى منزله - لأن لديه عدداً من الخدم . فلقد كان (ديفيد) إلى جانب كل ذلك ثرياً .. ثرياً جداً .

ولم يحدث أن ارتبطت من قبل برجل غنى .. لقد عرفت بعضهم ولكنهم كانوا كبار السن أو يعيشون على الملل أو متعجرفون حتى ولو كانوا صغار

السن . ولكن (ديفيد) كان مختلفاً . لقد كان غنياً ولكنه لم يكن كذلك .. وقد كان هذا شيئاً لا يُصدق . وكنت قد قررت أن أصدقه وأستمر .. ولم لا ؟ وماذا أنتظر .. ليس هناك وقت للانتظار . لقد حدث زلزال فى حياتى ، وتبعثر الأثاث وطارت الصور من فوق الجدران .. وإذا كان لا بد من عمل تغيير مهول فى حياتى ، فهذا هو الوقت المناسب لهذا العمل ، فكل شىء يعيش فى فوضى .. والموت قابح هناك .. فقيم الانتظار فلا تفعل هذا التغيير الآن وفوراً . وقلت لنفسى هيا - اقبرى ، وقد فعلت ..

وبالطبع لم أفكر كيف سيكون الحال وأنا أجمع أشتائى وأهجر زوجى وأغادر منزلى . ولقد فعلتها فى المساء مثل أى لص بينما كان (آرثر) عند طبيب الأسنان . ولا أظن أننى شعرت يوماً أننى أكاد أنشق نصفين مثلما شعرت فى ذلك اليوم .. لقد شعرت أن بداخلى شخصين ، أحدهما جامد كالصلب ممتلئ بطاقة ونشاط آلين يشجب الأشياء خارج خزانات الملابس بلا تردد ، والآخر مصنوع من البورسلين الرقيق متوقع هناك فى أحد الأركان يكاد ينكسر . ولكن الشخص الأول استطاع أن يُنجز مهمته بإتقان .. كانت يده باردتين وهو يحزم الأمتعة ويضع الملابس فى الحقائب كأنه يضع جثثاً داخل كفن . ولكن انتهت المهمة . وخرجت من هناك على الفور ..

لم أكن فى حالة جيدة حينما وصلت إلى فيلادلفيا . كانت مغادرة نيويورك مثل عملية جراحية أُجريت لى ، وكنت أشعر بالضعف من جراء الجراحة الحقيقية أصلاً .. وحين وصلت كان (ديفيد) هادئاً جداً ، وكان مهزوزاً أيضاً ، ولكننى عرفت ذلك فيما بعد ولم يجعلنى أشعر بذلك فى حينه وكان هذا جميلاً منه ، بل إن هذا فى الحقيقة من أفضل مزاياه .

ومشينا كثيراً فى البداية وكانت لنا خطة . وكانت الخطة أن أحاول الحصول على الطلاق بأسرع ما يمكن وأن نتزوج ونعيش سعداء معاً إلى

الأبد (فيما أظن) . ذلك على الرغم من أنني علمت من خلال مناقشاتي التليفونية مع (آرثر) فيما بعد - أنه لن يمنحني طلاقاً سريعاً .

وأخبرت أصدقائي المقربين (إيريك) و (بات) و (جوانا) و (ليو) بما حدث وكنت أقول لهم : إن الحياة أسطورة خرافية فقط يلزمها مشاهد من الرعب فى بادئ الأمر ثم تسير الحياة بشكل طبيعي .. انظروا إلى لقد كان الثمن أوفيتين من اللحم فقط .. لقد قاسيت فى بادئ الأمر ولكننى هأنذا أحياء من جديد .. انظروا إننى أعرف أن هذا عالم عادل .. مثلما كنت تقولين دائماً يا أمى .. فإن ابتك تستحق الأفضل .. فقط كان عليها أن تنال الأسوأ .. أولاً ..

واتصلت بأمى وحدثتها عن (ديفيد) وكيف أنه اتصل بأحسن طبيب فى السرطان فى فيلادلفيا وأخذ لى موعداً معه .. ليس هذا فقط بل صحبني إلى الطبيب بنفسه وقلت لها « هذا زوج سيعنى بى يا أمى » .

وأصدقائي عبر المكالمات التليفونية البعيدة قلت لهم :

« لقد أردت أن أتزوج من شخص ناضج فلقد تغيرت احتياجاتى .. هذا كل ما فى الأمر أريد شخصاً يكون لطيفاً معى .. لطيفاً بمعنى الكلمة وطيباً بدرجة كافية ويهتم بى أيضاً » .

وأجابتنى (إيريك) فى صوت خفيض :

- « ولكن (آرثر) كان يعنى بك أيضاً » .

- لا ، لم يكن كذلك ، كان فقط لا يريد أن يفقدنى - وهذا شىء

مختلف .

- حسن ، ولكنه شىء من هذا القبيل . هكذا أجبتنى (إيريك) .

ولم أتصل « بإيريك » لمدة أسبوع .. لم أكن أريد أن أسمع شيئاً عن (آرثر) وعن عنايته بى .. لم أكن أريد أن أسمع عنه شيئاً بالمرّة . وكان هو

فى كل مرة يتصل بى يتوسل إلى على غير عادته كى أعود إليه .. وكان يتصل فى بادئ الأمر مرة أو مرتين فى اليوم ، وكنت أبكى فى كل مرة حتى يكاد صدرى أن ينفطر ، وكنت أخشى أن يفتح الجرح فتوقفت عن الرد على التليفون ، وهنا بدأت خطاباتى .. كان هناك تقريباً خطاباً فى كل يوم ، وكانت أسوأ أثراً من المكالمات التليفونية :

« عزيزتى .. لقد كنت ومازلت مستعداً أن أعيش معك بإخلاص تام .. ولا أحد سواك . لقد كان هذا جزءاً من طبيعتى البشرية ، وحينما أجريت لك الجراحة كنت أنوى أن أحدثك بذلك بكل وضوح . لقد كنت أعرف أنك كنت تشكينى .. وآسف جداً لأننى لم أحاول أن أبعد شكوكك .. أعلم أن الجراحة قد هزتك حتى أطراف أصابعك .

إن فقدك جعلنى أشعر بعدم الثقة والخوف والتردد ، وجعلنى أدرك الآن كم كنت أنت تعانين من مثل هذه المشاعر بفقدك لأحد أجزاء جسدك .. وأنتى أعتقد أن قرارك بهجرى له علاقة وثيقة بفقدانك الثقة حتى ولو كان شخصاً مثلك على درجة من الوعى والثقافة إلا أن عدم شعورك بالأمان مع زوجك جعلك تنجذنين إلى الأمان والراحة والعناية بعيداً عنه .. أنا لا أعلم شيئاً عن مشاعرك تجاه ذلك الرجل فلم يحدث أن تحدثت معى فى هذا الأمر ، ولكن ، ربما أردت عدم جرح شعورى ، ومع ذلك فقد جرحتنى بالفعل . »

وهالنى الخطاب ، فمنذ أن توقف عن الاتصال بى وبدأ فى الكتابة إلى توقعت المضايقة والغیظ والغضب .. ولكن هذه كلها أمور أستطيع أن أتناولها .. أما هذا النوع من الألم .. الناتج عن الفهم أخيراً .. فلا .

وانهزت من أول خطاب ثم تماسكت ونهضت .. شكرالله فإن صديقتى (بات فيشر) تصادف أنها كانت تسكن فى مسكن مؤقت قريب من منزل

(ديفيد) . وخلال الأسبوع الأول الذى مكته فى فيلادلفيا كانت (بات) تأتى إلى بعد أن يذهب (ديفيد) إلى عمله فى الصباح وقبل أن يصل البريد أيضا .. وبذلك لا أكون وحدى مع رسائل (آرش) .. وبمجرد أن أرى خطاب (آرش) كنت لا أحتمل قراءته وأخرج على الفور للمشى مع (بات) .

إن منطقة (هيل) فى فيلادلفيا هى المكان المناسب لحكام مثلى . فالشوارع القديمة هادئة كالجنة ، وهناك جو من العظمة والأبهة والنظام يمنع المرء من الصباح بصوت عال .. وكنت أنا و (بات) تتبادل الحديث دائماً خلال تلك الزهات .. ولكننى لا أتذكر شيئاً من أحاديثنا بقدر ما أتذكر ما نراه أثناء زهاتنا .. واجهات المنازل الجميلة ، السيدات العجائز بمعاطفهن وهم يميون دائماً « صباح الخير » و « مساء الخير » حسبما يترأى لهن .

وفى مايو تحسنت حالتى وتحسن الجو وأصبح دافئاً وبدأت جولاتنا تطول وبدأ الناس يجلسون فى الحدائق على المقاعد وعلى الحشيش الأخضر ووجوههم إلى الشمس .. وكنت أنا و (بات) نضع معاطفنا على الأرض ونجلس برهة على الحشيش الأخضر ونصفنا تحت شجرة والنصف الآخر فى الشمس .. وكانت (بات) شخصية جريئة مرحة ولذلك لم تنح الأمور معها ناحية القسوة أو العبوس أبداً .

وحيثما كانت الشمس تغيب وراء مبنى (مركز بن) كنا نعود إلى المنزل لتناول الشاى ثم نعود (بات) إلى منزلها وأجلس أنا لأكتب قليلاً - وكان هذا يحفظ لى توازنى النفسى - إلى أن يعود (ديفيد) إلى المنزل ثم نتكلم عن عمله الذى لا أنهممهم رغم أنى أحاول ، ثم نتحدث قليلاً عما كتيته فى ذلك اليوم ، ثم نتناول العشاء ويسير كل شىء على ما يرام إلى أن يأتى اليوم التالى والخطاب التالى :

« .. أظن أننى تغيرت كثيراً فى نواحي كثيرة منها أننى - بصرف النظر عن الطريقة التى تصرفت بها - أرى أننى آخذ زواجنا على نحو جاد

وأشعر بالتزام كل واحد تجاه الآخر . لا زلت أشعر أنني زوجك رغم صعوبة ابتلاع حقيقة أنك مرتبطة بشخص آخر . أرجو ألا تندفعي .. أتمنى أن تحاولي إمكانية رؤية أنني ربما أكون الأكثر نضجاً من ذلك الآخر (رغم اعترافي بأنه يقوم بدور الأب بالنسبة لك على ما يبدو) .. » .

وقالت لي (إيريك):

- إذا كانت خطابات (آرثر) تؤثر فيك إلى هذه الدرجة فمن الأفضل أن تعودى إليه .

- كيف تقولين ذلك ؟ أنت تعلمين أن (آرثر) صعب للغاية . ولا تنسى أنه كاتب صناعته الكتابة ويعرف جيداً كيف يتعامل مع الكلمات على الورق .. لماذا إذن لم يقل لي أبداً شيئاً مما يقوله الآن حينما كنا معا !! ؟ إنني متأكدة أن ما فعلته هو الشيء الصواب .. ثم إن « ديفيد » شخص رائع .

- إذن لماذا تكثين بسبب خطاباته !! ؟

- « إيريك » ، من الطبيعي أن يحدث لي هذا ، آرثر كان زوجي .. وأنا أحبه أقصد كنت أحبه .. لا أستطيع أن أشرح لك ذلك .

والواقع أنني كنت مصدومة ومرعوبة ولم أكن مهياًة لمعايشة الألم الذي يستشعره (آرثر) .. لقد شعرت بالألم أنا أيضاً ، ولكن كان هو بعض ألمي .. ولقد أخذ الألم شكلاً آخر عضوياً ، فقد بدأ جرحي يؤلمني أكثر ، وبدأت معدتي تؤلمني وفقدت بعض وزني ، وازدادت نحافة حتى أن خواتمي كانت تسقط من أصابعي . ولكنني تماسكت وقلت لنفسى لا بد أن ينتهي كل هذا ، عندئذ يصبح كل شيء على ما يرام . وقلت ذلك « لديفيد » أيضاً حينما عاد إلى المنزل في المساء ولاحظ مظهرى المضطرب .. وقال بصوته الكامل : « أنا أعلم ، لم أكن أتوقع أن يكون الأمر سهلاً » .

وبدأت أتساءل هل هو حقيقة يشعر بما أعانيه ؟ وعند هذه النقطة لم أكن أريد أن أعرف الإجابة .. ماذا لو أنه لا يشعر بي تمامًا بعكس ما بدا لي من صوته الكامل ؟ ؟ .. ولم أكن مستعدة لمثل ذلك .. وتذكرت كم أنتظر عودته للمنزل كل مساء ، وكيف أترقب دخوله حينما أشعر بالفتاح يدور فى الباب . وفيما عدا (بات) صديقتى ، كان (ديفيد) هو كل ما لى فى فيلادلفيا .. هو الشخص الوحيد الذى أتحدث إليه .. ليس هذا فقط ففى كل مرة يدخل المنزل أفكر .. ها هى ذى حياتى الجديدة قادمة ، آخذة فى الاعتبار كم كنت عظيمة وكم كان هو ودودًا .

لقد قضينا أوقاتًا رائعة فى تلك الفترة .. كنا نسمع الموسيقى ونلعب الطاولة وتناول العشاء وتحدث .. وكان كل ذلك رائعًا .. حياة هادئة .. على خلاف حياتى الزوجية السابقة تمامًا .. لا معارك .. لا ضغوط بل حديث هادئ لطيف .. فيما عدا أتنى كنت أشعر فى معظم الأحيان بأننى غير موجودة وكنت أؤكد لنفسى أتنى سأشعر بوجودى حالاً وأقول لنفسى أيضا : انتظرى قليلاً وانتظرت ولكننى كنت مخطئة .. فلقد كنت أشعر كأنه دور جديد ألعبه أكثر من كونها حياة جديدة أعيشها ..

ولقد رأينا أنه من الأفضل لى ألا أذهب إلى نيويورك لفترة .. وكان هذا يوافقنى تمامًا فلقد كان السبب الوحيد الذى يتطلب ذهابى إلى نيويورك هو رؤية دكتور « رومفيلد » وفكرت أنه يمكننى الاستعاضة عن زيارته بالتليفون ولقد وافق هو على ذلك .. وكان غريبًا علىّ فى بادئ الأمر أن أرقد على سرير (ديفيد) فى الحادية عشرة صباحًا وفى أذننى ترن لكنة دكتور « رومفيلد » الألمانية .. ولكن سرعان ما اعتدت على ذلك . ولقد قمنا بخمس جلسات تقريبًا عن طريق التليفون .

وقال لى الدكتور « رومفيلد » :

- « .. لقد أجريت جراحة أخرى ، فالانفصال مثل الجراحة ، إنه عملية استئصال » .

آه .. هذا ما أردت سماعه تمامًا .. إذن فإن مشاعرى المجنونة المضطربة هذه كانت منطقية .. ثم بعد ذلك أضع السماعة وأنا أشعر بتحسّن كبير . ثم أسمع صوت الخطابات وهى تنزلق فى فتحة البريد الموجودة فى الباب الأمامى ، وأسير ببطء خارج الحجرة وأهبط إلى الطابق الأسفل وأنحنى لألتقط البريد كله .. وبعد أن أضع البريد الخاص « بديثيد » جانبًا أبدأ فى فتح الخطاب الذى يخصنى وأقرأ تلك الكلمات :

« .. إننى أخشى تمامًا أنه حتى إذا كنت تحبيننى فى النهاية وليس هو وإذا شعرت بثقة متجددة فى نفسك وفى أيضا ، وأردت العودة فستشعرين بالذنب وربما تقولين لنفسك عندئذ إن الألم هو نصيبك وأنه غير مسموح لك بأن تكونى سعيدة بعد الآن .. وإن كل ما تحتاجينه هو الراحة والأمان فقط .. وأنه قد قام برعايتك خلال الفترة الحرجة التى تمرين بها .. وهكذا ..

هلا قرأت هذا الخطاب بكل عناية وأن تقرئيه أكثر من مرة من فضلك ، وحاولى فهم ما أقصده .. فإذا كنت قد ارتكبت خطأ فهلا حاولت رؤيته وإصلاحه ، وهلا حاولت أن تكونى شجاعة بالقدر الكافى لعودتك وإعطائى فرصة أخرى !! .. فأنا لا أشك فى أنه يستطيع أن يحيا بدونك ..

وحتى لا تشعرين بالذنب تجاهى أيضا ، أريدك أن تعرفى أننى لم أعد أعانى المزيد من الألم .. بل إننى أحيا وسأظل كذلك .. ولكننى فقط لازلت

أحبك ولازلت أشتاق إلى عودتك .. وأحتاجك .. وأشعر بأننا شخصان  
فى إحدى التراجيديات اليونانية القديمة بمقادفنا قوى خارجة عن إرادتنا  
الواعية .

ولكن فى النهاية فإن مصيرنا فى أيدينا الأربعة ، يديك ويديّ .. وفى  
إمكاننا تماماً أن نضع أيدينا معاً من جديد .

أشتاق إليك يا زوجتى الجميلة المحبوبة .. وأفتقدك روحاً  
وجسداً .. » .

ملحوظة : إذا أعطيتنى الفرصة ، أعدك بأن أكون سهلاً ليّناً ، أقل ثورة ،  
أقل مطلباً .. إلخ .. إلخ .. إلخ .

ولحسن الحظ ، فإن البريد يأتى قبل الظهر حيث يكون لدىّ أكثر من  
ست ساعات أنتزع نفسى فيها من تأثير خطاب (آرثر) قبل أن أنهياً لاستقبال  
(ديفيد) عند عودته إلى المنزل فى المساء .

\*\*\*

## الفصل الحادى والعشرون :

قالت لى أمى على التليفون :

- « إننى أشعر بالقلق تجاه شىء ما !! »

وقاطعتها قائلة :

- « يا أمى ، إن صحتى جيدة ولقد قال طبيب السرطان الشهير :  
إننى بخير . أوكد لك أننى نسيت العملية تمامًا ولا أكاد أذكرها » .

ولقد كان هذا صحيحًا ، ففى ما بين تفكيرى فى « ديفيد و آرثر » لم  
تكن هناك فرصة للتفكير فى أى شىء آخر حتى ولو كان السرطان .

وقالت أمى :

- ليس هذا ما أود أن أقوله ، أعرف أن (ديفيد) رجل لطيف ولكنى  
فقط آمل ألا يكون لقرارك هذا دخل بنقوده لأننى أنا وأباك ننوى أن نترك  
لك ... .

وقاطعتها قائلة :

- يا أمى ، هذا ليس له دخل بالنقود .. أنا لا أحتاج نقوده ولا أحتاج  
نقودكم أيضا فأننا أكسب الكثير من المال .. أتذكرين ؟

وقالت أمى :

- إننى فقط كنت أتساءل ، لأنه إذا كانت المسألة لها علاقة بنقوده فأننا  
وأبوك نخططنا ل ..

وقاطعتها مرة أخرى :

- لقد سمعتك فى المرة الأولى يا أمى من فضلك !

ولكن ، كان للنقود دخل فى هذا الأمر بطريقة ما ، رغم أننى لم أكن

أظن ذلك في بداية الأمر . ليس لأننى كنت أريد الرفاهية .. وهى لا بأس بها على أية حال ... . ولكننى فقط لم أكن أطمع فيها أو أشتهيها . إلى جانب أنه كان بمقدورى أن أوفر لنفسى قدرًا من الرفاهية من مالى الخاص بدون (ديفيد) . ورغم ذلك فقد كنت أشبه ما يكون بشخص به قشعيرة ، وكانت نقود (ديفيد) أشبه بكومة من الأغطية الصوفية الناعمة الموضوعة على الجانب الآخر من السرير .. إنها أكثر مما أريده أو أحتاجه ، ولكن وجودها مريح يكفى أن تعرف أنها هناك لتشعر بالدفء .

وفى سبتمبر وافق (آرثر) أخيراً على منحى الطلاق ، فذهبنا أنا « وديفيد » إلى « هايتى » من أجل ذلك . كان كل شيء سهلاً ، فليس هناك أطفال ولا نفقة . كان طلاقاً سريعاً يستحق ثمن تذكرة الطائرة .. وكانت السماء تمطر فى (هايتى) ولقد بكيت كثيراً .. بل إننى فى الواقع لم أكف عن البكاء .. وكان هذا شيئاً مملأً ولكننى لم أكن أستطيع مقاومته .

ولقد كان طلاقى مثل زواجى تقريباً .. دقيقتان فقط فى حجرة صغيرة فى بلد غريب مع شخص له « لكنة » خاصة . الفرق أثنى هذه المرة كنت وحدى فى الغرفة ولم أبتسم فيما بعد . ولقد قالت لى سكرتيرة المحامى التى لاحظت شفتى المرتعشة :

- « من الطبيعى أن تشعرى بذلك » . وقلت فى نفسى :

- أتعشم ذلك ، أتعشم ذلك .

وتغيرت الأمور كثيراً بعد زواجى من (ديفيد) .. فى الحقيقة ، تغير كل شيء . فى بادئ الأمر توقفت خطابات (آرثر) وبدأت أشعر أنه حقيقة خرج من نظام حياتى واستغرقتنى حياتى مع « ديفيد » ، وشعرت أثنى أحبه الآن فقط .. وأظنه شعر بذلك فلقد قال مرة : إنه يعرف ذلك وأن ذلك يسعده كثيراً .. ولكن الشيء المضحك والغريب أنه لم يكن يبدو

سعيداً مثلما كان من قبل . عندما كنت أمنحه الحزن . والشيء المضحك الآخر أنه لم يكن لطيفاً تماماً معي مثلما كان حينذاك . وكلما كنت أزداد حُباً له كلما ازداد هروياً مني . وكان يبدو مستاءً نوعاً . وكلما أظهرت التزاماً أكثر تجاه حياتنا معاً كلما أظهر لامبالاة ... وكان لا يزال يقول كل هذه الأشياء الجميلة عن مدى حبه لي ، ولكنه بدأ يقول أشياء أخرى غير جميلة أيضاً . وفي إحدى الأمسيات بعد العشاء نظر إلى وقال لي : إنه لم يكن متأكدًا من حبه لي . وقررت ألا أثير ضجة حول هذا الموضوع وقلت له : « لا تقلق ، فحينما تعيش مع شخص فأنت لا تشعر بالهوس تجاهه في كل دقيقة .. وليس معنى ذلك أيضاً أنك لا تحبه » .  
فأجاب : « أوه » .

حسن ، أعتقد أنه على حق .. انظروا إلى الظروف التي جعلته يمر بها ، والآن جاء دوره ليرد لي بعض ما فعلته به .. ولقد فعل .. بدأ يشكو كثيراً .. يشكو من الماضي وكيف أنني جعلته يعاني منه ومن المستقبل وكيف أنني جعلته يخشاه وربما أجعله يعاني منه أيضاً . وقلت له : « الماضي ليس يدي ، ولكنني أستطيع أن أفعل شيئاً تجاه المستقبل ، فقل لي ماذا أستطيع أن أفعل ؟ »

ولم يكن يعجبه أن أعمل في نيويورك حتى ولو استطعت أداء عملي من فيلادلفيا (وهذا ما كنت أحاول أن تسمح لي به محطة إن . بي . سي.) إذ لابد من عمل المونتاج وإتمام العمل في نيويورك ) ولم يكن يعجبه ذلك أيضاً فقلت له :

- أوكي ، سأترك وظيفتي .

ولم تعجبه أيضاً طريقتي تجاه فكرة إنتخاب الأطفال (وهي سلبية) . ولم يكن هذا أسلوباً جديداً في حياتي . فلقد كتبت مرة موضوعاً في

مجلة (لوك) أقول : « إن الأمومة يجب أن تكون اختياراً وليس عملاً  
أتوماتيكياً يعقب الزواج » . ولم أكن شخصياً ملتزمة بشدة بهذه الفكرة  
ولكننى كنت أميل إلى هذا الاتجاه . وكان (ديفيد) يعرف ذلك ، وفى  
نفس الوقت كنت أعرف أنه يريد أطفالاً - بالرغم من شعورى أنه يجب  
فكرة إنجاب الأطفال أكثر من حبه لوجود أطفال حوله - والآن .. هو  
يصر على أنه بالطبع يريد أطفالاً .. بل إنه قال إنه لا يستطيع أن يعيش  
بدونهم . ولقد فاجأنى هذا القرار خاصة وهو يعلم شعورى تجاه هذا  
الأمر . وأيضاً بالنظر إلى أنى أكبر قليلاً من السن التى تسمح بإنجاب  
أول طفل .. وأيضاً بالنظر لما حدث لجسدى من جراحة ... ورغم كل  
ذلك أصر على موقفه ... .

- أوكى ، سأفعلها ، سأنجب أطفالاً . وبعد أن فكرت فى الأمر بأيام  
قليلة بدأت تروق لى فكرة الإنجاب .. لقد بدا من العدل بالنسبة له أن  
يطالبنى بأشياء .. حتى ولو كانت أشياء صعبة .. ألم يعطى هو  
الكثير .. !! ؟ ؟ ؟

ولكن العجيب أننى كلما قلت إننى سأفعل ما يريده ، بدأ يريد أكثر ،  
وبدا أقل امتناناً تجاه رغبتى فى تحقيق طلباته .. وفكرت بينى وبين نفسى  
« إذن فهو ليس كاملاً كما ظننت » .

وفى أحد الأيام أثناء زيارة إلى الطبيب أخذت الأمور مجرى سبيل ،  
فلقد خطر لى أن أسأل إن كان إنجاب الأطفال يتعارض مع حالتى الصحية  
كمريضة بالسرطان .. وكقاعدة لم يعد (ديفيد) يصحبنى لمواعيد الطبيب ،  
ولكنه كان معى فى هذه المرة ... ..

وحين ألقىت سؤالى على الطبيب تردد قليلاً ثم قال ببطء :

- « من المحتمل ألا يكون هناك ضرر .. ولكن هناك بعض المخاطرة

فى ذلك ، فأتناء الحمل تحدث زيادة فى مستوى « الأستروجين » ، وإن كانت هناك لا تزال أية خلايا سرطانية فى الجسم - وأعتقد أن هذا غير وارد فى حالتك - فإن الأستروجين يساعد السرطان على النمو .  
وشعرت على الفور بأن معدتى قد تقلصت ونظرت إلى « دثفيد » ووجدته ساكنا .

ثم أضاف الطيب قائلاً :

- ولكن هذا موقف عليه تحفظات فالنساء يحملن بعد الاستئصال و ...  
وقاطعته بسؤال تعلمت أن أسأله :

- لو أن زوجتك فى مكاتى ، فهل تدعها تحمل ؟ ! فأجاب دون لحظة تردد واحدة :

- لا .

وحينما ركبنا السيارة ، فردت يدى فى حجرى وأخذت أنظر إليهما ثم قلت « لدثفيد » :

- إننى بالطبع سأكون سعيدة فى أن أتبنى طفلاً !! !

ولكننى كنت أدرك أنه إذا لم يفلح ذلك وإذا لم يكن راغباً فى الاستمرار فى زواجى فلا بأس ... لأننى كنت أعرف شعوره فى أن ينبج أطفاله لا أن يتبنى أطفال الآخرين . وطلبت منه أن يقرر ماذا يريد ويسرعة . وقال : إنه أصيب بخيبة أمل ولكن لا بأس !! وسألته « هل أنت متأكد أنه لا بأس » فأجاب « بنعم » .

ولم تتكلم فى ذلك الموضوع مرة أخرى لفترة فلقد كنا نشعر بخيبة أمل أكبر من أن نتحدث فيه ثانية .. ولكن بعد مرور أسبوع كنت على يقين بأننا يجب أن نتحدث فى هذا الشأن مرة ثانية وقلت له :

- أعلم إلى أى حد أنت تريد الأطفال ، وهذا يجعلنى أريدهم أنا أيضاً ..  
وأنا شخصياً أتمنى من كل قلبى أن أمنحك شيئاً . ولكن ، حتى لو تبيننا  
أطفالاً فأعدك بأن أكون أمّاً جيدة لهم .. فأنا أريد ذلك فعلاً .. وسأتوقف  
عن العمل .. و ..

ووضع (ديفيد) رأسه بين يديه دون أن يتكلم . فأكملت : « يا عزيزى  
إذا كنت لا تحتمل هذا فلا بد أن تنتهى من هذا الموضوع ، أو نصل إلى  
قرار بشأنه حتى نشعر بالراحة .. أعنى أن كثيراً من الناس يتبنون أطفالاً  
ويحبونهم وتسير الحياة بشكل عادى » .

ونظر إلى بشكل غريب وكان صوته خافتاً حتى إننى لم أتأكد فى البداية  
من أننى فهمت ما قاله ولكننى بعد ثوان فهمته تماماً وقال :

- إن الطبيب لم يقل بالضبط أنه ليس بإمكانك إنجاب أطفال .. هل  
قال شيئاً مثل هذا .. ؟  
وحملت فيه وأنا أقول :

- هذا صحيح ولكن هناك خطر فى ذلك . صحيح ليس هناك خطر  
كبير ولكنها حياتى وأنا أكره أن أجازف بها . ونظر إلى « ديفيد » وقال :  
- يجب أن تتأكدى أننى لن أطلب منك أى شىء يعرض حياتك  
للخطر .

وظل (ديفيد) يلح فى هذا الموضوع ويضغط علىّ وتحدث فى هذا الموضوع  
مرة ثانية مع الطبيب الذى قال له : إن من المحتمل أن يكون هناك خطر  
على هذا الحمل . ولم ييأس واستشار خبيراً فى السرطان الذى قال له : إن  
هذا ممكن بعد عامين وأن ليس هناك دليل قاطع بوجود خطر . وقلت  
« ديفيد » ونحن فى السيارة مساء يوم أحد :

- ولكن هذا هو لب الموضوع .. ليست هناك دراسة عن امرأة واحدة  
فى: التسبعة والثلاثين من عمرها أصيبت بسرطان الثدي ثم حملت لأول  
مرة .. تلك هى الحقيقة المجردة التى لا يعرفها هؤلاء الأطباء .  
- إنهم يعرفون على الأقل أن الحمل يمكن أن يكون فى أمان بعد ستين  
أو ثلاث من الجراحة .

- ولكن بعد ثلاث سنوات من الجراحة سيكون عمري ٤٢ سنة .  
وهكذا كان يدور الحوار حول هذا الموضوع . وفى مرة أخرى اتهمنى  
بأننى خائفة بدون داع ولقد حيرنى هذا كثيرا . ربما كنت كذلك .. ولم  
أعد أدري كيف أفكر .

وفى هذا الوقت كنت أذهب إلى نيويورك مرة كل حين وفى إحدى  
المرات ذهبت لأرى (رومفيلد) وحكيته له ما جرى فhez رأسه ثم قال :  
- لقد عوقبت بمرضك .. والآن « ديفيد » يعاقبك بسبب العقاب .  
وأدهشنى ذلك كثيرا ، فلقد كان شيئا غير عادى بالنسبة لمحلل نفسى  
« كرومفيلد » أو أى محلل نفسى آخر أن يكون حاد النقد هكذا .. ووجدت  
نفسى أذافع عن « ديفيد » وأقول « لرومفيلد » :

- إن كثيرا من الرجال يريدون أطفالاً ينجبونهم ، أليس كذلك ؟  
- نعم ، ولكن إذا لم يكن بالإمكان إنجاب أطفال فإنها ليست غلطتك  
أليس كذلك أيضا ؟ ؟ ؟

- لا ليست هذه غلطتى ، كما أنها ليست غلطته هو أيضا .  
ثم أخذت تاكسى إلى المحطة وكنت متعبة وأشعر بالآلام متقطعة فى موضع  
حلمة الثدي المفقود . خط مترو ٤٣٠ لم يكن قد وصل بعد فاشترت  
بعض المجلات لأقرأها ، ولكنى جلست هناك ممسكة بهم لفترة وأنا أحرق

فى الكرسى الذى أسمى .. ثم فكرت فى حل مجنون رائع لمشكلة الطفل .. فى الحقيقة لقد كان موضوعاً فى أحد هذه المجالات هو الذى أوحى لى بالفكرة . ولم أذكر شيئاً « لديفيد » حينما عدت إلى المنزل .. فلقد أردت أن أجرى بعض الاتصالات أولاً . وقضيت تقريباً معظم اليوم التالى على التليفون . وكانت الفكرة هى (التلقيح الصناعى) . فبإمكاننا أن نجد شابة صغيرة السن صحيحة الجسم وفقيرة تقبل أن تكون على استعداد لأن تحمل جنيناً من أجل مبلغ كبير من المال ، وبمجرد أن تضع الطفل استلمه أنا ... هذا هو الحل الأمثل ، أو هكذا ظننت .. وبذلك نحصل على طفل من صلب (ديفيد) بجينات « ديفيد » بما أن هذه النقطة هامة جداً بالنسبة له . وسيكون طفلاً صحيح الجسم وأن أمه أو أمها لن تكون مصابة بالسرطان . واتصلت بالطبيب ووافقنى على أنها فكرة رائعة ووعد بأن يبحث الأمر . ثم اتصلت « بجودى رامسى » وهى صديقة كاتبة ساعدتنى من قبل فى مسألة الحصول على ثدى صناعى . وقالت : إنها فكرة عظيمة وقالت أيضاً : إنها ستبدأ على الفور فى البحث عن تلك الفتاة التى ستقوم بدور الأم البديلة واتصلت بأمى وأخبرتها فقالت إنها ستكتب إلى قريب لها يستطيع أن يساعدنا فى البحث عن فتاة تصلح لهذا الدور . وقالت إنها فكرة رائعة وسيكون هذا عملاً رائعاً . ولم أدر بالضبط بالنسبة لمن سيكون هذا العمل رائعاً ... .. ولكنى لم أتوقف لأسأله فالمجلات كانت تدور بسرعة وكنت منفعلة جداً بهذه الفكرة ، ولم أطق الانتظار أكثر من ذلك لأخبر (ديفيد) . فاتصلت به فى المكتب وأفرغت كل ما عندى وحينما أدركت أنه لا يجب بشيء توقفت عن الكلام وتنهى هو فسألته :

- ألا تعجبك الفكرة ؟

- لا ، لا تعجبنى .

ولم يتكلم أى منا لمدة ثوان ثم قال هو بصوت خفيض :

- أريد أن أنجب أطفالاً من المرأة التي أحبها !!

وعلى الرغم من ذلك واصلت البحث في هذا الموضوع آملة أن يغير رأيه ، ولكنه لم يفعل . وبدأت أشعر بشعور فظيع ، كرهت جسدى المشوه الناقص .. كرهت ما يحدث لى « ولدثيفيد » .. وأصبحنا مثل عدوين كل واحد له موقف يزداد صعوبة وتحجراً يوماً عن يوم . هو يعتقد أنني أبالغ فى مخاوفى حتى لا أطلب بفعل شىء لم أرغب يوماً أن أفعله ... ألم أطرده من قبل أى فكرة لإنجاب الأطفال قبل أن يدخل السرطان حياتى بوقت طويل؟؟ ألم أكتب مقالاً أُمجد متعة عدم الإنجاب والتخلص من عبء الأمومة . وكان « دثيفيد » يعتقد أيضاً أن الطبيب الذى قال : إنه لو كانت زوجته فى مكانى ما جعلها تنجب - كان يعتقد أن هذا الطبيب يمثل وجهة نظر واحدة ، لا أكثر ولا أقل ، وأن وجهة النظر الأخرى إته لا بأس من أن أنجب أو على الأقل أفكر فى مسألة الإنجاب بشكل جاد . وكنت فى بعض الأحيان ، من تأثير التعب والملل أكثر من أى شىء آخر أفكر فى الاستسلام أى أن أفعلها وأصبح حاملاً ... ..

ولكزت ( دثيفيد ) وهو نائم ذات ليلة « هاى ، ربما أفعلها .. »

واستدار ناحيتى وضمنى إليه وقال :

- أوه !! إن هذا سيسعدنى كثيراً ...

- سيحدث .. سيحدث .

قلتها فى نفسى وأنا أراقبه يغط فى النوم .

وحددنا موعداً لإعلان زواجنا رسمياً وأخبرنا الأصدقاء بذلك الموعد ، ولكنه عاد يقول : إنه غير رأيه وأنه يرى تأجيل هذا الإعلان . وأصبح غريب الأطوار وساءت علاقتنا الحميمة ولكنه كان لا يزال لطيف الحديث ..

غير أنني بدأت أرى مسافة بين ما يقوله وما يفعله واشتقت إلى (آرثر) ..  
اشتقت إليه كثيراً ... ..

وانفجر الموقف كله فى يوم أحد بارد مظلم فى أواسط ديسمبر ، الليلة السابقة على تحديدها لموعد جديد لإعلان زواجنا .. بعده بدا واضحاً أن كلينا كان مكتئباً . وفى الصباح التالى كان لدينا موعد للذهاب إلى مزرعة أحد الأصدقاء .. ولقد ساعدنا وجودنا مع الآخرين هناك على التغلب على حالة الاكتئاب التى أصابتنا ، وجعل من السهل أن يتحاشى كل منا الآخر باندماجنا بالحديث مع الآخرين . ولكن حين انتهى ذلك وكان لابد من الرحيل أصبحنا وحدنا من جديد فى السيارة مع هذا الصمت الرهيب الذى طرأ على حياتنا .

وحينما عدنا إلى المنزل وخلعت معطفى انتابتنى رعشة من البرودة التى تبعتها إلى الداخل وظلت جاثمة على المكان . وكان « ديفيد » قد صعد إلى أعلى ، وحينما اقتربت من حجرته سمعت صوت تكتكة الريموت كونترول . لشد ما أكره صوت ذلك الشيء والطريقة التى يستعمله بها « ديفيد » خصوصاً حينما يكون هناك شىء يشغل باله أو يقلقه ، عندئذ يمسك به ويظل يغير القنوات واحدة تلو الأخرى ... وأحياناً يفعل نفس الشىء حينما يتحدث فى التلفون وعلى الأخص حينما يتحدث إلى أخته الصغرى . ولست أدرى لماذا تسبب لى هذه الحركة هذا القدر من الإزعاج .

ورفع رأسه حين دخلت الحجرة وظل يتكلم بذلك الشىء . وكانت معظم المشاهد على الشاشة لكرة القدم أو أفلام قديمة .. وفى النهاية أغلق التلفزيون . وجلست على حافة السرير ونظر كل منا للآخر وسألنى :

- لماذا لا أشعر بالارتياح لهذا الزواج ؟

- وكذلك أنا أيضاً ، أظن أننا لا نشعر شعوراً طيباً تجاه أحدنا الآخر !!

- أظن ذلك .. ، قالها بصوت خفيض ميت ، وكان هناك حديث آخر ولكنه لا يهم الآن . وقال : إنه يريد أن يخرج قليلاً .. ثم غادر المكان .. وحزمت أنا حقائبي ... . وارتعشت شفطاي ولكنها لم تكن مثل حالتى حينما حزمت حقائبي أول مرة وأنا أغادر شقة (آرثر) .. لم تكن أبداً بذلك السوء .

وحين وصلت إلى محطة (بن) طلبت (آرثر) تليفونيا وقلت :

- أريد أن أقابلك .

- متى ؟

- هل يوم الأربعاء مناسب ؟

(وتركت لنفسى ثلاثة أيام كي أجمع شتات نفسى قبل أن ألقاه) .

- نعم مناسب . هل تقولين لى لماذا تودين لقائى ؟

- لا ، ليس الآن .

ووضعت السماعة ثم أسندت رأسى على يدى التى لازالت على السماعة ومكثت كذلك لمدة عشر ثوان تقريباً وعيناي مغمضتان ودون حركة على الإطلاق .

## الفصل الثانى والعشرون :

لقد مرت الآن تسعة أشهر منذ أن أُزيل الثدي وعشر غدَد ليمفاوية مساعدة . وحين أخذت حمامًا فى ذلك الصباح وحلقت تحت إبطى شعرت حقيقة ولأول مرة بالشفرة على بشرة الإبط الأيسر . ومنذ ذلك الحين وأنا أتحسس هذه المنطقة من آن لآخر مثل طفل يكتشف أعضاءه لأول مرة . لقد عدت الآن إلى نفسى القديمة تقريبًا . فمعنوياتى مرتفعة بدرجة معقولة الآن ولم أعد مكسبة . بل إننى الآن مشغولة من جديد بعملى فى وكالة إن . بى . سى . بنفس الطريقة القديمة العادية .. وعمومًا أرى الحياة تتحرك بنفس الطريقة المعتادة وبنفس السرعة .

إننى الآن أعيش مع أمى ولقد مات أبى منذ شهرين بأزمة قلبية مفاجئة وهو فى المنزل ولم أكن أريد أن تشعر أمى بالوحدة .. كما أننى أيضًا لم أستوعب موت أبى بعد .. وحينما أتصفح صورهِ الموجودة فى أحد الأدراج أشعر بجفاف فى حلقتى ومرارة ومع ذلك أشعر أن وفاته لم تؤثر فىّ بعد . ربما أكون قد فقدت الشعور بسبب الأشياء التى مرت بى . إن ما يؤلمنى الآن هو حزن أمى .. وإن كانت أحسن حالاً الآن عن ذى قبل .. ولقد ساعدها وجودى معها كثيرًا كما قالت لى فيما بعد - وأظن أن هذا صحيح . إن الشقة صغيرة ومن المحتمل أن أتركها بعد شهر أو اثنين أو حينما أتأكد أنها بخير عندئذ أنتقل أنا ولكن لست أدرى متى ؟ ..

ولقد تقابلت أنا وآرثر حسب الموعد فى ليلة الأربعاء فى مطعم الفصول الأربعة ، لقد أردت أن أذهب إلى هناك فقط لأنه مكان جميل .. ولقد كنا فى غاية اللطف معًا ، وكنا أيضًا مهزوزين جدًا .. وكان (آرثر) كذلك على وجه الخصوص . قال لى : إنه يشعر مثل شخص جاء من العالم الآخر عاد بعد الموت .. وبكىنا قليلًا وتماسكت أيدينا وسأل كل منا عن أحوال صاحبه وعن عمله وشربنا كثيرًا .

ومنذ ذلك الحين تقابلنا عدة مرات وكانت لقاءات لطيفة ولكننا كنا حذرين إلى حد ما تجاه أى علاقة مستديمة فهو لا يزال يخشى من احتمالات عودتي « لديفيد » - وكنت أسمع من « ديفيد » من حين لآخر وكان يكتب لى خطابات يقول لى : كيف أنتى حطمت كل شىء بسبب إلحاحى عليه ثم يقول : إنه لا يزال يحببنى ويتنظر أن أعود إليه يوماً ما .

وكنت أريد أن أتأكد من نفسى ومن أنتى لا أريد العودة إلى (آرثر) كرد فعل لما حدث مع (ديفيد) ولكن من أجل (آرثر) نفسه ، ومن أجل ما نكونه معاً دون المقارنة بأى شخص أو بأى شىء .

كما كان يشغلنى أيضاً أمر التغييرات التى طرأت أو التى لم تطرأ على كل منا إذا نحن حاولنا العودة من جديد . وآرثر قلق بالنسبة لهذه النقطة أيضاً .. وهو شىء مطمئن فى حد ذاته .

إننى أعتبر نفسى و (آرثر) محظوظين بطريقة ما .. لقد مررنا بتجربة غير عادية .. لقد اقتحمنا أحلامنا واكتشفنا أننا نجب الواقع والحقيقة أكثر من أى شىء آخر .. فإذا لم أكن قد مررت بهذه التجربة بكل أبعادها مع (ديفيد) لظلمت طول عمرى أعتقد أنه ذلك الرجل الكامل الذى لم أفرز به . وكذلك (آرثر) اعترف لى بأنه أقام علاقات لا بأس بها ولكنها لم تجعله يشعر بالسعادة بطريقة ملائمة ..

كذلك كان من الخير أننا أنهينا زواجنا .. لأننا إذا ما تزوجنا من جديد فسيكون زواجاً جديداً بمعنى الكلمة .. صحيح أننا لا نزال نفس الشخصين وأن الكثير من طباعنا لم يتغير ، ولكن لا بأس أن (ديفيد) الكامل جعل (آرثر) الغير كامل فى صورة حسنة بالنسبة لى .

ورغم ذلك ، فمن الأفضل لكليتنا ولى على وجه الخصوص ألا أتخذ أى قرار إلا بعد فترة مناسبة ، وألاً أفعل شيئاً إلا بعد فترة مناسبة أيضاً . ويعلم الله أنتى قد فعلت الكثير ..

وبالنسبة لجسدى ، لم أعد مهووسة بالبحث عن ثدى صناعى بمواصفات خاصة .. وإن كنت لا أزال أبتلع ريقى بشدة حينما ألمح جسدى العارى فى المرآة وأرى آثار المجزرة واضحة على صدرى ..

لا بأس من أن أبتلع ريقى بشدة فهناك أشياء أسوأ من ذلك بكثير .. كما أن هناك جراحات تجميل متقدمة .. وربما يوماً ما أجرى إحدى هذه الجراحات ..

وفى نفس الوقت فإن الثدى الذى اشتريته من (ميتشجان) لم يفسد بعد ، ولا تزال الحلمة فى موضعها وتعطى مظهرًا جميلاً طبيعياً للثدى ، ولكن ما يضايقنى حقيقة فيها هو ذلك القدر من العمل الذى يتطلبه تثبيتها وخلعها .. تماماً مثلما يكون للمرء طقم أسنان يقوم بتنظيفه مرتين يومياً . إن هذا عمل لا نهاية له ..

وحتى بدون الجراحة التجميلية ، فأنا أعتقد أننى لازلت جميلة . وعند ارتدائى ملابسى أبدو جذابة أيضاً ، ويرى (آرثر) أننى لازلت جذابة بل ومغرية أيضاً .. صحيح أننى أفتقد أحد أدواتى الغائبة ، حتى وإن قال (آرثر) إنه لا يفتقده . بل إننى أعتقد أنه يفتقده حتى وإن قال غير ذلك . وحينما يتصادف أن يطول أحد الرجال النظر إلى فى الشارع أو فى الطائرة أو فى أحد الحفلات أجدنى أفكر ماذا لو أنه علم حقيقة أمرى ؟

وأتساءل أيضاً بينى وبين نفسى ، كيف يكون الحال مع رجل جديد إذا لم أعد إلى (آرثر) كيف أستطيع أن أتناول هذا الأمر ؟ وكيف أتعامل معه !! ؟ ومتى أقول له الحقيقة ؟ ؟

من الواضح أنه ليس من العدل أن أنتظر حتى يضمنا سرير واحد ثم أخبره بالحقيقة .. كما أنه ليس أيضاً من المناسب أن أخبره مباشرة بهذه الحقيقة قبل أن تتوثق علاقتنا .. وأيضاً حينذاك وإذا لم يعد راغباً فى هذه العلاقة

فسيشعر بالحرج فى أن يقول ذلك .. إذن فمن الأفضل أن أخبره من البداية ..  
ولكن كيف ؟ يمكننى أن أتحدث عن الكتاب فيما أظن ويكون هذا مدخلاً  
طبيعياً للحديث فى هذا الموضوع .

وحتى إذا لم يُدِ اهتماماً بهذا الموضوع ، فماذا سيكون شعورى أنا !  
قد يكون لا بأس به . ولكننى غير متأكدة فى الواقع . وإذا عدت (لآرثر)  
فلن أدرك أبداً حقيقة شعورى ، وهذا أحد الأسباب التى تجعلنى أرجئ  
قرار العودة لآرثر .. أريد أن أتأكد من أننى لن أعود إليه فقط لأتجنب  
مشكلة التعامل مع رجل جديد أكون مضطرة لأن أحكى له عن ذلك  
الذى فقدته ..

أما بالنسبة للآخرين ، فإننى حين أرى أحد الأشخاص يتفحص صدرى  
بفضول بدلاً من أن ييدى بعض العطف . مثلاً أتعمد أن أفاجئه بالقول  
« إنه الذى الأيسر » ثم أستأنف الحديث بشكل عادى . وعدا ذلك فكل  
المشاكل تعتبر ثانوية إذا ما قورنت بقلقى من ارتداد السرطان ومن الموت ..  
ولكننى لا أفكر فى الموت فى معظم الأحيان بشكل مباشر .. بمعنى أننى  
لا أجلس محاولة أن أتصوره أو شيئاً من هذا القبيل .. إنه فقط يمر بخاطرى  
فى بعض الأحيان كلافئة أحد الإعلانات .. وخصوصاً قبل أن أذهب للنوم ..  
فهو يطير على جناح الريح ويأتى فى الليل قبل أن أنام .

إننى حقيقة لا أعتقد أننى مأموت .. وهذا شىء غريب حقاً .. فلازلت  
أعتقد أن الأشياء الكريهة لا يمكن أن تحدث لى .. لا بأس فلازلت أظن  
أن ما حدث لى حدث بطريق الخطأ .. فالحوادث تحدث ولكننى قد أخذت  
نصيبي منها .. لقد أخذت حادثتى .. وهذا يكفى فليس هناك من تصدمه  
السيارة مرتين !!

ولكن هذا يحدث عادة لمرضى السرطان .. صحيح أن المصابين بسرطان  
الذى وكانت غددهم الليمفاوية نظيفة وخالية من السرطان ، فإنهم عادة

لا يموتون .. ولكن الإصابة بالسرطان مرتين شيء من المحتمل حدوثه أكثر من الإصابة بحادثة سيارة مرتين .

حسن ، أظن أنني سأنتفس بارتياح حينما تمر ثلاث سنوات أو حتى ستين - وهى الفترة المحتملة لارتداد السرطان . وفى نفس الوقت وكما يقولون : على المرء أن يتعلم أن يعيش به . وفى بعض الأحيان كنت أعيش به بصورة أفضل عن ذى قبل ، ولكن الآمى الثانوية كانت أسوأ ما يحدث لى .. فمئذ إصابتى بالسرطان أصبحت موسومة بشكل فظيع .. فأى ألم بسيط يصيب أحد أعضاء جسدى يصيبنى بفزع مهول .. فإذا أصبت بالصداع مثلاً ظننت أنه ربما يكون سرطان المخ .

وإذا آلمتني قدمي بسبب ضيق الحذاء أظن أنني مصابة بسرطان فى أصابعي ، واكتسبت حالة من الغضب الدائم تجاه جسدى ، جسدى الذى كنت أثق به دائماً قد خذلى .. ويصعب على غفران ذلك .. الحقيقة أنني نفس السيارة التى كتتها من قبل عدا أن هناك انبعاجاً فى حاجز الاصطدام الأمامى . صحيح أنني أميل إلى تهوين التغيير الذى طرأ على شخصيتى .. ومثال ذلك أنني كنت يوماً أتحدث مع أمى عن بعض مظاهر التغيير التى طرأت على شخصيتى ، وكنت أقول لها بجدية : « إننى الآن نافذة الصبر جداً ، لا أريد أن أضيع الوقت ، ولا أريد أن أتحدث مع الناس الذين لا أربغ فى الحديث إليهم ، أو أتواجد مع أناس لا أحبهم .. وأعتقد أنني الآن أقل أدباً عن ذى قبل » .

وفاجأتني أمى قائلة بركة : « ولكن يا حبيبتي أنت لم تكوني مؤدبة من قبل أبداً !! » .

ولكن هناك بالتأكيد بعض التغييرات التى حدثت بالرغم من ذلك - ليس فى شخصيتى كما كنت أظن - ولكن فى الطريقة التى أرى بها بعض

الأشياء . فحينما يكون احتمال الموت واردًا فى عقل أحد الأشخاص فإن مشاكل الحياة مهما كبرت تبدو تافهة .. وحين تسير الأمور على ما يرام فإننى أشعر بنفس السعادة التى كنت أحسها قبل العملية ولكن إذا حدث العكس فإننى لا أحزن ولا أتألم بنفس القدر الذى كان يحدث قبل العملية .. أشياء مثل المشاكل التى تحدث فى العمل لم تعد تقلقنى بالصورة التى كانت تحدث من قبل . أصبح تأثير ذلك على أقل بكثير عن ذى قبل .. كما أن شعورى المتزايد تجاه الموت زاد من شعورى الإيجابى تجاه الحياة .. وكان هناك دائمًا سؤال يدور فى رأسى :

هل أنا أفعل

ما أريد أن أفعله

لو أننى سأموت !! ؟ ؟

وحين تكون الإجابة بلا ، فإننى لا أفعل هذا الشيء فى أغلب الأحيان .. وفى بعض الأحيان كنت أفعل ذلك الشيء .. ولكننى وقد تعارفت على الموت .. ومهما كان هذا اللقاء مرعبًا وغير كامل .. فإننى أظن أنه سوف يخفف من صدمة لقائى معه حين يحدث ذلك بشكل مكتمل . وأتمنى ألا يحدث سريعًا ، لأن معاشتى للموت أعطتنى معلومات جديدة عن الحياة كلها ، ساعدتنى على أن أكون أفضل من ذى قبل ، وبشئى من التدريب أستطيع أن أكون أفضل وأفضل . فإذا لم يرتد لى المرض وإذا لم أمت بسرعة فكل ما فقدته هو ثدى ، وهذا ليس سيئًا جدًا .. أقصد ليس سيئًا إلى هذا الحد !!

## الخاتمة

### أفضل سنى عمري

وبعد مرور خمس سنوات على الجراحة تحكى (بتي رولين) كيف أن السرطان قد غير من نظرتها إلى الحياة بصورة أفضل كما تقول :

« إننى على وشك الاحتفال .. ليست هناك حفلة بقبعات مضحكة .. ولا أنا أتوقع بطاقات تهنئة فى البريد .. وإن كان على مصممي البطاقات أن يضيفوا بطاقة جديدة إلى قائمة بطاقات المناسبات .. وهى الذكرى السنوية للسرطان .. فغداً تمر خمس سنوات على استئصال ورم خبيث من ثديي الأيسر ومع الورم ثديي أيضا .. وأن أحيا لمدة خمس سنوات بعد العملية فإن هذا له معنى كبير فى دوائر السرطان .. وليس هناك سحر بالنسبة للرقم ولكن الحقائق تشير إلى أنه إذا عشت هذا العدد من السنوات بعد تشخيص المرض فإن معنى ذلك أن لديك فرصة للحياة الطبيعية بنسبة ٨٠٪ .

ربما يكون لمصممي البطاقات التذكارية الحق فى أن يتجاهلوا تخصيص بطاقة لمثل هذه المناسبة . ورغم ذلك إلا إننى أشعر شعوراً طيباً لمجرد احتمال عدم ارتداد السرطان مرة أخرى بل وأكثر من ذلك فإننى أشعر شعوراً طيباً تجاه إصابتي به بادئ ذى بدء ! وهنا يكمن التناقض . فرغم أن السرطان كان أسوأ ما حدث لى إلا أنه فى نفس الوقت كان أفضل ما حدث !! فلقد أثرى حياتى وجعلنى أكثر حكمة وأسعد حالاً .. وهذا تناقض آخر !! فعلى الرغم أننى على استعداد لأن أفعل أى شىء ممكن حتى أتجنب حدوثه مرة ثانية .. إلا أننى فى نفس الوقت راضية أنه قد حدث .

هناك نظرية عن الأشخاص الذين يتعرضون فى حياتهم لخطر الموت

تفسر حالة التناقض التي يمرون بها .. فبعد النجاة من الموت ولمدة ستة أشهر يظل المرء مهزوزاً وشاعراً بالامتنان في نفس الوقت . وحين يكون المرء مسلحاً بحس قوى عن كنه النهاية فهو عندئذ يبدأ في أن يعيش الحياة بطريقة مختلفة .. فيتوقف أثناء سباق الحياة ليلحظ نمو أوراق نبات الزينة في منزله أو يعطى اهتماماً أكبر لمن يجهم ، وكما يقولون ، يكتسب نظرة جديدة للأمور . وبعد مرور الشهور الستة وطبقاً لهذه النظرية فإن تلك الرؤية الجديدة تتلاشى تدريجياً وتعود إلى نفس الجنون الذي عشت به حياتك من قبل أن تصدمك عربة السرطان . الذي حدث هو أنك توقفت عن الشعور بالخوف لأن التصادم قد حدث بالفعل .

ولكن الأمر يختلف بالنسبة للأشخاص الذين صدمتهم ميارة السرطان ، فقد تقف بعيداً عن أماكن الخطر ولكنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً لمنع ما حدث في جسدك من أن يحدث ثانية إلا إذا كنت تخفي رأسك في الرمال .. فأنت تعلم تمام العلم أنه قد يرتد ثانية .. وبالنسبة لحالتي فقد قال الأطباء : إن هذا مستبعد وعلى الرغم من ذلك فإن الاحتمال وارد .. وحقيقى بالنسبة لى . صحيح أن مرور خمس سنوات هو شيء يبعث على التأكيد والاطمئنان ، ولكننى أعلم جيداً أننى سأظل خائفاً قليلاً طوال البقية الباقية من حياتى ، ولكننى شجاعة ومستعدة .. فبعض السموم بجرعات صغيرة يكون فيها الشفاء أيضاً . وأن يكون المرء خائفاً قليلاً من الموت فإن هذا يفعل العجائب بالنسبة لحياته .. ولقد فعل ذلك بالنسبة لى .. فالشعور الدائم بالموت غير من حياتى اليومية إلى الأفضل .. فحينما يكون المرء خائفاً قليلاً من الموت فإنه يكون أقل خوفاً من أشياء أخرى مثل : الرؤساء ، الأزواج ، السرقة ، الاغصاب ، الفشل ، الانفلونزا والألم وغيرها . ولقد فقدت بعد ذلك كثيراً من مخاوفى الكبيرة والصغيرة أيضاً .. فلقد اعتدت مثلاً أن أكون فى حالة متوترة أمام كاميرات التليفزيون خشية

ألا أكون ذكية وجذابة ومنتصرة بشكل جيد .. بالطبع لا يزال يسعدني أن أسمع من أحد غير أمي أو زوجي أنني كنت رائعة أو شيئاً من هذا القبيل .. إلا أنني فقدت الخوف من ألا أكون كذلك في نظر الآخرين .. لقد جعلني السرطان أقل قلقاً وأقل اهتماماً بما يظنه الناس سواء على المستوى العملي أو الاجتماعي .

كما أنني أيضاً أقل اهتماماً باتجاه مستقبلي .. فأنا لا أعرف إلى أين يتجه ولا أفكر في ذلك .. كل ما أفكر فيه هو أين أنا وماذا أفعل وهل أستمتع بما أفعله .. والنتيجة هي أنني هذه الأيام يبدو أنني أفعل باستمرار ما أحب أن أفعله فقط .. وربما أكون أيضاً أكثر نجاحاً من ذي قبل حينما كنت أحرص على النجاح .

وكتابي هذا الذي بين يديكم قد أعطاني الكثير من المتعة والسرور أكثر من أي شيء آخر في حياتي العملية كلها .. وهو مثال على ذلك النجاح غير المقصود الذي أتحدث عنه . في البداية كانت فكرة أن أترك عملي في التلفزيون لمدة ستة أشهر لأتفرغ للكتابة عن مرض السرطان فكرة غير معقولة .. ولكن حين حدث السرطان لم أتوقف لأسأل نفسي هل هذا عمل معقول أم لا .. لقد أردت أن أكتب هذا الكتاب فقط .. وأن أكتبه بالطريقة التي تلائمني وترضييني وليس بالضرورة من أجل السوق .. لذا فقد خذلت الناشر الذي أراد لهذا الكتاب أن يكون على طريقة (كيف تغلب على السرطان ؟) تلك الطريقة التعليمية الجافة . لقد كنت أرغب في كتابة مثل هذا الكتاب سواء حدث لي المرض أو لم يحدث .. ولكن كان من المحتمل جداً ألا يخرج هذا الكتاب إلى النور لو لم يكن حدث لي ما حدث . لأنني بالفعل كنت أخشى الانقطاع عن التلفزيون هذه الشهور الستة وأتصور أنني لو كنت قد كتبه قبل ذلك فربما لم أكن لأتكلم بمثل هذه الصراحة التي كتبت بها تجرّبي . وتحدثت بها عن مشاعري وأخص

خصوصياتى .. وكنت وأنا أكذب أتذكر وأقول لى نفسى : « ربما تموتين ، فماذا يهيم ما يظنه الناس بك أو يقولونه عنك » . صحيح أن كثيراً من الناس يكتبون بصراحة وأمانة دونما حاجة إلى تجربة مرضية .. ولكن بالنسبة لى لا أظن أننى كنت أستطيع الكتابة بمثل هذه الصراحة لو لم أمر بتلك التجربة ..

إن لمسة من السرطان تحولك إلى مريض بالوسواس ، فحين تشعر بحرقان فى الزور تتصور أنه سرطان الحنجرة .. وحين تصاب بكالو من زوج أحدى ضيق تعتقد أنه ورم خبيث قد أصاب قدميك ولكن - وهنا الجانب المضىء - فأنت تقلق ولكن حين يتضح أن هذا شىء آخر غير السرطان فإنك تسعد بذلك وتحفل به كأى مناسبة سعيدة وتقول مثلاً « الحمد لله إنها إنفلونزا » وهذا ما قلته لى نفسى منذ أسبوعين .

بعض الأطباء ذوى حساسية أكثر من غيرهم فيما يختص بالقلق المتسبب عن السرطان . وفى زيارة لطبيب النساء الخاص بى ، وكان يحدثنى عن المتاعب التى تسبق انقطاع الطمث (متاعب سن اليأس) . دون أن يلحظ وهو يحدثنى أننى قد تحولت إلى حجر جامد جالس أمامه وكان كل ما يهمنى سؤال واحد فقط : هل هو سرطان ؟ وأخيراً همست له بذلك السؤال فنظر إلى باستغراب شديد وقال : « بالطبع لا » وكأنما يقول كيف تفكرين فى هذا الشىء وهو لا يدرى أن هذا هو كل ما أعابأ به !!

وحين زرت المجرى مؤخرًا بسبب بعض الآلام فى ركبتى ، وبعد أن أخذ لى صورة أشعة وقبل أن ينطق بكلمة عن ماهية المشكلة قال : « إنه ليس كما تظنين .. إنه تمزق عضلى » ويومها عدت إلى منزلى سعيدة .

لقد كنت أستمتع بالحياة على طريقتى أينما وكلما استطعت ذلك ..  
كما أنني كنت أستمتع أيضًا بإنفاق النقود فمئذ مرضى وأنا أنفق أكثر  
ما اعتدت صحيح أن لدى الآن نفودًا أكثر من قبل ، ولكن معظمها كان  
بسبب هذا الكتاب الذى هو أحد فضائل السرطان !!

و كنت دائما شديدة البخل - قد يقول البعض هذا شيء كرهه - ولكننى  
لم أعد كذلك . بل يخيل لى أيضا أننى أصبحت كريمة مع الآخرين ..  
فمئذ السرطان وأنا أعطي هدايا قيمة فى المناسبات . وكما أن السرطان أيضًا  
يقتل الشعور بالذنب . فأنا الآن أستعمل إجازاتى .. وأخذ إجازة من وقت  
لآخر لأنه ليس فقط ربما أموت فى العام القادم بل أيضًا لأننى أشعر بأنه  
بعد كل الذى مررت به فأنا أستحق تلك الإجازة . وأيضًا أدركت بعد  
مرور هذه السنوات بأن ما مررت به ليس كثيرًا إذا ما قورن بما يمر به  
بعض الناس .

وشىء آخر ، فمئذ اللحظة التى أصبت بالمرض تحسن ذوقى فى الرجال  
بدرجة كبيرة .. فرغم خشونة زوجى الأول معى حتى أنه كان يقر بذلك  
بنفسه إلا أننى كنت مولعة به للغاية .. والآن .. فإن كل من يعرف الرجل  
الذى تزوجته أخيرا ومئذ عام فقط يعتقد أننى محظوظة ، بما فيهم أمى  
وكذلك أنا نفسى أعتقد ذلك .. ولكننى أعرف أنه ليس الحظ أو الصدفة ..  
بل إنه السرطان الذى جعلنى أرغب فى الارتباط بشخص رائع .. ربما لم  
أكن لأرغب فى ذلك من قبل ..

ولقد أدهشنى كثيرًا هذا التغيير فى ذوقى تجاه الرجال لدرجة أننى ذهبت  
لاستشارة طبيب نفسانى ، الذى أكد لى أننى بخير ولا أتوهم أشياء وكل  
ما فى الأمر أن التخريب الذى حدث فى جسمدى قد فعل العجب برأسى .  
ربما تكون السعادة هى الشىء الذى لا يوجب الكلام عنه كثيرًا ، ولكن  
لا مفر من الحديث عنها .. ولقد وجدت أنه كلما عملت على الوصول

إليها أشعر بشيء من التحسن .. إن قدرًا كبيرًا من السعادة يكمن في ملاحظتها .. فإذا لم تكن قد مرضت أبدًا فإنك لن تلاحظ أنك في صحة جيدة كما أنك لن تستمتع أيضًا بحالتك الصحية الجيدة هذه .. إنني حتى ألاحظ صحة زوجي الجيدة بينما هو نفسه لا يلاحظها وأدهش كيف يفعل ذلك !!

ولعله من الملاحظ أنني لم أذكر في هذه الخاتمة شيئًا عن ثديي المفقود !! هذا على الرغم من الضجة التي أثيرتها على مدى خمس سنوات .. ربما لأن هذه الخسارة تبدو لي الآن لا تستحق مجرد ذكرها .. فمنذ سنوات خمس مضت ، شعرت بالأسى والأسف لنفسى لأننى لن أستطيع ارتداء ملابس السهرة عارية الصدر . واليوم أشعر بأن فقدت ثديي قد أنقذ حياتي وأننى كنت محظوظة بالفعل . وحين أفكر فى كل الأشياء الطيبة التى جاءت نتيجة لهذه الخسارة ، فإننى أنظر إلى المكان الخالى الذى كان يرقد فيه ثديي المفقود وأقول : يا له من ثمن زهيد لما أنا فيه من سعادة !! بل إن كثيراً من أصدقائى وصديقاتى الذين تخطوا الأربعين يشعرون بمرور كل سنة وكأنها تقربهم من الموت ، بينما يعنى مرور السنوات بالنسبة لى ، البعد عن الموت !!

ولكن .. ماذا لو ارتد المرض ثانية ؟ ! أوكى حتى لو حدث هذا فسأنظر خلفى إلى السنوات التى مضت منذ بداية الجراحة بوعى كامل بأننى قد عشت هذه السنوات وحصلت على أفضل ما فيها .. ولا بد أن أعترف بأن المرض الذى كاد أن يقضى على حياتى هو نفسه الذى جعلنى أحيائها بشكل أفضل !!

# فهرس

صفحة

٥	مقدمة
٧	الفصل الأول
١١	الفصل الثاني
١٦	الفصل الثالث
٢٦	الفصل الرابع
٣٧	الفصل الخامس
٤١	الفصل السادس
٤٥	الفصل السابع
٥٢	الفصل الثامن
٦٦	الفصل التاسع
٧٣	الفصل العاشر
٧٩	الفصل الحادى عشر
٨٩	الفصل الثانى عشر
٩٤	الفصل الثالث عشر
١٠٣	الفصل الرابع عشر
١٠٨	الفصل الخامس عشر
١١٤	الفصل السادس عشر
١٢٠	الفصل السابع عشر
١٨٥	

صفحة

١٢٨	الفصل الثامن عشر
١٤٥	الفصل التاسع عشر
١٥١	الفصل العشرون
١٦٢	الفصل الحادى والعشرون
١٧٣	الفصل الثانى والعشرون
١٧٩	الخاتمة : ( أفضل سنى عمرى )



رقم الإيداع	١٩٩٧/٩٢٣٩
الترقيم الدولي	ISBN 977-02-5444-2

١/٩٥/٤

طبع بمطابع دار المعارف ( ج . م . ع . )